مزرعة الحيوانات - جورج اورويل - ترجمة محمود عبدالغني

1. Notice

This book was produced in EPUB format by the Internet Archive.

The book pages were scanned and converted to EPUB format automatically. This process relies on optical character recognition, and is somewhat susceptible to errors. The book may not offer the correct reading sequence, and there may be weird characters, non-words, and incorrect guesses at structure. Some page numbers and headers or footers may remain from the scanned page. The process which identifies images might have found stray marks on the page which are not actually images from the book. The hidden page numbering which may be available to your ereader corresponds to the numbered pages in the print edition, but is not an exact match; page numbers will increment at the same rate as the corresponding print edition, but we may have started numbering before the print book's visible page numbers. The Internet Archive is working to improve the scanning process and resulting books, but in the meantime, we hope that this book will be useful to you.

The Internet Archive was founded in 1996 to build an Internet library and to promote universal access to all knowledge. The Archive's purposes include offering permanent access for researchers, historians, scholars, people with disabilities, and the general public to historical collections that exist in digital format. The Internet Archive includes texts, audio, moving images, and software as well as archived web pages, and provides specialized services for information access for the blind and other persons with disabilities.

Created with hocr-to-epub (v.1.0.0)

ترجمة: انور الشامي جورج أورويل | #اتكنض واس

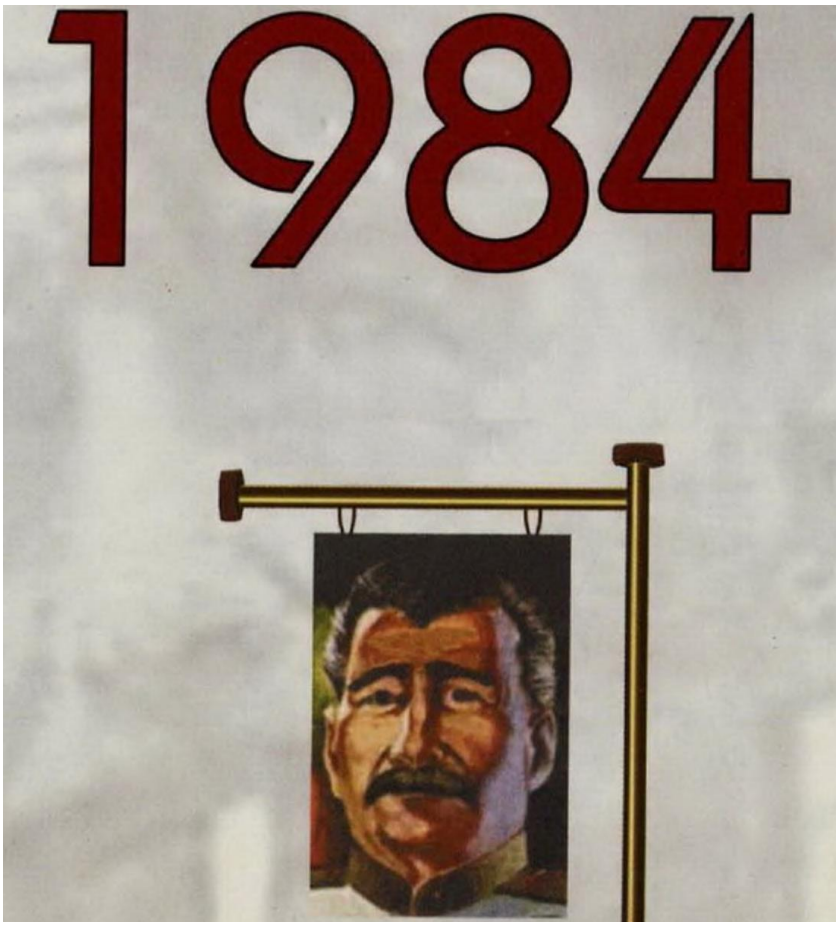

The text on this page is estimated to be only 48.90% accurate

مس هن الكَسَيٍ المجانيه” صره ٠. 364 - 45 لوا

جورج أورويل 104 رواية ترجمة: أنور الشامى ا اكزانتان المي

جورج أورويل 1964 80015-01

تأليف جورج أورويل ترجمة أنور الشامي الطبعة الأو لى؛ 2006 الترقيم
الدولي: 9-144-68-9953 :158215 جميع الحقوق محفوظة الناشر المركز الثقافي
العربي الدار البيضاء المغرب ص .ب: 4006 (سيدنا) 2 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 2303339 - 2307651 فاكس : 06 2-5-2 212+ :لق بيروت - لبنان ص
.ب : 5158 - 113 الحمراء شارع جاندارك بناية المقدسي هاتف : 01750507 -
01352826 فاكس : 1 -ه--061-+ 010-80015

الكتاب

1984

تأليف

جورج أورويل

ترجمة

أنور الشامي

الطبعة

الأولى، 2006

الترقيم الدولي:

ISBN: 9953-68-144-9

جميع الحقوق محفوظة

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 2303339 ـ 2307651

فاكس: 2305726 ـ 2 212+

Email: markaz@wanadoo.net.ma

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 01750507 ـ 01352826

فاكس: 01343701 ـ 961+

The text on this page is estimated to be only 30.00% accurate

80015-01

الفصل الأول كان يوماً بارداً من أيام نيسان بسمائه الصافية» وكانت الساعة تشير صدره اتقاءً مسرعاً عبر الأبواب الزجاجية لمبنى النضر» ولم يحل عه يسريع دون دخول دوامة من الريح المحملة بذرات الغبار كان الممر الذي » كبا بروائح الملفوف المسلوق والفرش المهترئ» وعند نهاية هذا ة ملونة وذات حجم كبير لا يتناسب مع مثل ذاك الممر الضيق» عرضه على المترء وهو وجه رجل في الج جميلة وإن كانت لا تخلو من خشونة وصرأمة. كتّان. مشى ونستون باتجاه السلالم للصعودء يعمل» إما بسبب عطل وإما لانقطاع التيار الكهربائي معظم ساعات النهار» انسجاماً مع خطة توفير الطاقة استعداداً لفعاليات لأسبوع الكراهية». كانت الشقة التي يقصدها ونستون في الطابق السابع وكان عليه أن يصعد سلماً طويلاً» ولأنه في التاسعة والثلاثين من عمره ويشكو من دوالٍ فوق كاحله الأيمن» فقد راح يرتقي درجات السلم بخطى وئيدة متوقفا للاستراحة عدة مرات. وعند كل منعطف من منعطفات السلم السبعة» وعند كل محطة من محطات المصعد وبمواجهة الباب» كانت 7 80015--0

تنتتصب صورة الوجه الضخم لتحدق في وجه كل قادم. إنها واحدة من تلك الصور المرسومة على نحو يجعل المرء يعتقد أن العينين تلاحقانه أينما تحرك. وكان يوجد أسفل تلك الصورة عبارة بارزة تقول: «الأخ الكبير يراقبك». عندما دخل ونستون إلى الشقة سمع صوتاً يسرد قائمة أرقام تتعلق بإنتاج الحديد الخام» وكان الصوت ينبعث من لوحة معدنية مستطيلة الشكل تشبه مرآة معتمة معلّقة على الحائط الأيمن. أدار ونستون مفتاحاً فخفتت حدة الصوت قليلاً وإن ظل الكلام واضحاً كان بمقدور ونستون تخفيض صوت هذا الجهاز والذي كان يسمى «شاشة الرصد». ولكن لم يكن بوسعه إيقاف تشغيله بشكل تام. انتقل ونستون نحو النافذة بجسمه النحيل الضئيل الذي زاد من ضآلته الزي الأزرق» وهو لباس الحزب» وكان شعرومائلا للخقرة روحعيه قديد الاحمرار» أمايقرت: فكاتك مخشوشنة من أثر الصابون الرديء وشفرات الحلاقة غير الحادة وبرودة فصل الشتاء الذي كان قد شارف على نهايته . وعلى الرغم من أن زجاج النافذة كان موصداً فقد كان الجو خارجها يبدو بارداً وفي الشارع كانت زوابع الرياح تثير الغبار والأوراق الممزقة فتتصاعد لأعلى في أشكال حلزونية. ورغم أن الشمس كانت ساطعة والسماء داكنة الزرقة فقد بدا كما لو أن كل الأشياء قد طمس لونهاء ما خلا تلك الصور التى كانت معلقة فى كل مكان. فمن كل زاوية كان ذلك الوينة شن الشاري الأشوة يطل ملفا في رجه العسارة وعلى واجهة المنزل المقابل كانت تنتصب واحدة من تلك الصور المكتوب تحتها بأحرف بارزة عبارة «الأخ الكبير يراقبك»» وكانت العينان السوداوان تنفذان إلى أعماق ونستون. وفي الشارع كان ثمة ملصق آخر ممزق من إحدى زواياه وتظهر عليه تارة وتنحسر تارة أخمرى عبارة إنجسوك (الاشتراكية الانجليزية)» وذلك بحسب هبات الرياح. وفي 8 80015-01

الأفق البعيد كانت تُحوم طوافة ب بين السطوح تقترب تارة وتبتعد تارة فتبدو آضيا يحفياه زركاءه ل تطلن مطل دن مسان أخر. ولم تكن هذه الطوافة غير دورية شرطة تتلصص على الناس عبر النوافذ» غير أن الطوافة لم تكن ترهب الناس كما ترهبهم شرطة الفكر. كان الصوت المنبعث من شاشة الرصد ما يزال يكرر إحصائيات إنتاج الحديد الخام ويعيد نبأ تحقق أهداف الخطة الثلاثية التاسعة. وكان الجهاز يرسل ويستقبل في آن واحدء فبإمكانه التقاطا كل صوت» يصدر عن ونستون» كتعاور ند هيات الخافتة» فضلاً عن أنه يبقى مراقباً بالصوت والصورة ما دام موجوداً في مدى رؤية هذه الشاشة المعدنية. ولم يكن هنالك بالطبع من طريقة ة لمعرفة ما إذا كنت في مرمى المراقبة أم لا في أية لحظة. أما كم مرة أو كيف يمكن أن تخترق شرطة الفكر حياتك الخاصة فهذا أمر لا يمكن التنبؤ به» وإن كان من المفروض أنها ترصد الناس جميعاً بلا انقطاع» إذ باستطاعة هذه الشرطة أن تدخل» متى شاءت». على خط أيّ كان. كان عليك أن تعيش» بحكم العادة التي تحولت إلى غريزة» مفترضاً أن كل صوت يصدر عنك مسموع وأن كل حركة مرصودة. وقف ونستون مديراً ظهره لشاشة الرصدء فقد كان يظن أن هذا أسلم عاقبة بالرغم من أن أمر المرء يمكن أن ينكشف من ظهره أيضاً. وكان مركز عمله يبعد مسافة كيلومتر واحد عن وزارة الحقيقة» التي يرتفع مبناها ذو اللون الأبيض وسط منظر طبيعي كالح. وفكر ونستون وفي نفسه شيء من التقزز والامتعاض» «أهذه هي لندن المديئنة الرئيسية في القطاع الجوي رقم واحد؟ وثالث أكبر مقاطعات أوقيانيا سكاناً». لقد حاول جاهداً أن يسترجع بعضاً من ذكريات الطفولة محاولاً أن يتبيّن ما إذا كانت هذه هى صورة لندن فى كل الأوقات؟ أتراها كانت بمثل هذه الطرقات المزدحمة و المنازل المتهالكة؟ أكانت على هذه الحال في القرن التاسع عشرء حيث تظهر على جوانبها دعائم من الخشب»
01-80015

ونوافذها عرد دع من الكرتون وسقوفها من صفائح الحديد المطعج.
وأشزؤان حدائقها مهدّمة ونافرة في كل الاتجاهات؟ أكانت موجودة تلك الأماكن التي أحدث القصف فيها حفراً كبيرة تعبق بالغبار» وتبدو للعين أوراق الصفصاف مختلطة بأكوام النفايات» وقد ظهرت هناك مجموعة من الأكواخ الخشبية أشبه بأقفاص الدجاج؟ ولكن عبثاً حاول» فلم يكن باستطاعته أن يتذكر شيئاً عن ذلك الماضي: إذ لم يبق له من ذكريات الطفولة إلا صور غير واضحة المعالم. كانت وزارة الحقيقة - مينيترو في اللغة الجديدة - تختلف اختلافاً ينا في مظهرها عن أي بناء آخر تقع عليه العين» فهي بناء هرمي ضخم من الأسمنت الأبيض اللامع؛ يرتفع عالياً يناطح السحاب». طبقة فوق طبقة؛ ثلاثمائة متر في السماء؛ ومن مكانه؛ كان باستطاعة ونستون أن يقرأ على الحائط الأبيض كتابة ذات أحرف كبيرة بارزة» هى شعار الحزب المؤلف من جمل ثلاث : 1 الحرب هي السلام الحرية هي العبودية الجهل هو القوة. كانت وزارة الحقيقة تتألف». حسبما يقال» من ثلاثة آلاف غرفة فوق الأرضء فضلاً عن أقبية تابعة لها تحت الأرض. ولم يكن في لندن سوى ثلاث بنايات شبيهة بها من حيث المظهر والحجمء وهذه البنايات كانت تحجب ما حولها من منازل» ولذا كان من الممكن لمن يقف فوق سطح مبنى النصر أن يرى البنايات الأربع في آن واحد. وكان يشغل هذه البنايات أربع وزارات تشكل الجهاز الحكوميء فوزارة الحقيقة تختص بشؤون الأخبار ووسائل اللهو والاحتفالات والتعليم والفنون الجميلة» ثم ارس بي بشؤون الحروب؛ ثم وزارة الحب وهي المسؤولة عن حفظ النظام وتطبيق القانون» ثم أخيراً وزارة الوفرة وهي ترعى الشؤون الاقتصادية . 10 80015-01

كانت وزارة الحب في الواقع مصدرا للرعب والخوف» فهي بناء بدون نوافذ على الإطلاق. لم يسبق لونستون أن دخل هذه الوزارة» بل لم يحدث أن اقترب منها حتى مسافة نصف الكيلومتر» إذ كان لا يسمح بدخولها إلا في مهمّة رسمية» وحتى هذا الدخول يكون عبر سياج من الأسلاك الشائكة والأبواب الحديدية مروراً بمرابض للمدافع والرشاشات المخيفة» كما أن الطرقات المؤدية إلى المبنى كانت دائماً مراقبة من قبل حرس ذوي وجوه كالحة يرتدون بزات سوداء ويحملون الهراوات المديبة . استدار ونستون بعد أن رسم علامات التفاؤل التام على وجههء وهو ما كان يُستحسن فعله عندما يواجه المرء شاشة الرصدء واجتاز الغرفة إلى المطبخ الصغيرء إذ فاته تناول طعام الغداء في المطعم بسبب تأخره في الوزارة. وكان يعلم أن المنزل خالٍ من الطعام إلا من قطعة خبز سوداء كان تركها لتكون إفطاراً له في صباح الغد. تناول عن أحد الرفوف زجاجة تحتوي على سائل لا لون له وقد ألصق على الزجاجة ورقة كتب عليها #2جن النصر»ة. وكانت تنبعث من هذا الشراب رائحة ممرضة أشبه برائحة الزيت كأنما هو كحول مستخرج من الأرز الصيني. ومع ذلك صبّ ونستون لنفسه بعضا منه في كوب شاي ثم استجمع قواه وتجرّعه كما لو كان يتجرع دواء . وفي الحال انقلب وجهه قرمزياً وسالت الدموع من عيئيه » فقد كان الشراب شبيهاً بحامض الصوديوم: فضلاً عن أنه عندما ابتلعه شعر كما لر أنه ضُرب على مؤخرة رأسه بهراوة من المطاط. لكن بعد لحظات كانت حدة الألم الذي شعر به في جوفه قد خمّتء, وأخذ الشعور بالراحة والانشراخ يسري في جسده. وعندئذ مد يده إلى علبة السجائر وهي أيضا تحمل اسم «اسجائر النصر» واستل منها سيجارة» وما كاد يرفعها من العلبة حتى راح ما فيها من تبغ يتناثر على الأرض» فاستبدلها بأخرى كانت احسن حالاً: ثم عاد إلى الغرفة فجلس إلى طاولة صغيرة كانت ممه .جه مم8

إلى يسار شاشة الرصد وفتح درجاً كان بها فأخرج ماسكة قلم ومحبرة ودفتراً صغيراً ذا ورق سميك وخلفية حمراء وغلاف رخامي اللون. ولسبب ماء كان الجهاز في غرفة الجلوس موضوعاً في مكان غير اعتيادي» فبدلاً من أن يوضع. كما جرت العادة» عند نهاية الجدار حيث يستطيع كشف الغرفة كلهاء وُضعٌ الجهاز في الجدار الأطول مقابل النافذة» الذي كان فى جانب منه تقعّر خفيف جلس فيه ونستون. ولعل هذا التقعر قد قُصد به أن يكون مكاناً لخزانة الكتب. وهكذا بجلوسه في ذلك المكان وظهره مُسندٌ إلى الوراء» كان ونستون خارج مدى رؤية شاشة الرصدء مع أن الجهاز كان باستطاعته التقاط ما يصدر عن ونستون من أصوات. وقد كان تصميم الغرفة وجغرافيتها هو الذي أوحى له وألهمه جزئياً بذلك العمل الذي كان ينوي القيام به في تلك اللحظة. ولكن هذا الإيحاء كان مصدره أيضاً ذاك الدفتر الذي أخرجه من درج المنضدة وقد كان دفتراً جميلاً للغاية» إذ كان ورقه الناعم ذو اللون الأبيض» والذي أكسبه القِدم شيئاً من الاصفرارء من نوع تم التوقف عن إنتاجه منذ أربعين عاماً على أقل تقديرء ومع ذلك كان بالإمكان التكهن بأن الدفتر أقدم من ذلك. وكان قد عثر عليه معروضاً في واجهة حانوت خردوات صغير فى حى من الأحياء الفقيرة (لا يتذكر اسمه أو موقعه), وما إن وقعت عليه عيناه حتى تملكته رغبة عارمة في امتلاكه. ورغم أنه لم يكن مسموحاً لأعضاء الحزب بالتردد على مثل هذه الحوانيت العادية الكائنة في الأسواق الحرة» كما كانت تسمىء, فلم يكن هذا القانون يطبق بصرامة» لأنه كانت هنالك أشياء كثيرة» مثل أربطة الأحذية وشفرات الحلاقة» يتعذر على المرء الحصول عليها بغير هذه الطريقة. وكان ونستون وهو فى طريقه إلى هذا الحانوت يتلفت ذات اليمين وذات الشهال .وهو يتوعين خيقة». بل وَل .يالف ليدعتو اللمآن إلى ان الهذاً لا يراقبه» ثم اشترى الدفتر بدولارين ونصف الدولارء دون أن يكون لذية عقف عد م وزاء شزائد لوتانط الدفدن متكنيا إياه بعتاية وحملة 12 80015-01

إلى منزله كمن يحمل إثماً» إذ كانت مجرد حيازة مثل هذا الشيء مدعاة للشبهة حتى لو كان خلواً من أي كتابات . والفكرة التي راودته حينذاك هي أن يستعمله كمفكرة» ولم يكن في ذلك ما يخالف القانون (ليس لأن ذلك مسموح به بل لأنه لم يكن هناك قانون في الأصل يحدّد ما هي المخالفات). ومع ذلك إذا ما افتضح أمره فإنه كان حتماً سيعاقب بالإعدام أو السجن لخمس وعشرين سنة في معتقل من معتقلات الأشغال الشاقة. وضع ونستون ريشة في ماسكة القلم ثم مصّها قليلاً ليخلّصها مما علق بها. كان القلم أداة زخرفية قديمة نادراً ما استعمله حتى في التوقيع. لقد حصل عليه بشكل سري وبصعوبة بالغة إذ كان يعر أنورقا تاعما:أبتقن 'اللوة مكل "هذا الووق يحت أن يكتب عليه بريشة حقيقية لا أن يخربش عليه بقلم جف مداده. كان ونستون في الواقع غير معتاد على الكتابة باليد إلا في حال تدوين بعض الملاحظات القليلة» لقد كان معتاداً على أن يملى كل شيء على «الآلة الكاتبة الناطقة»» وهذه بالطبع كان من غير الممكن أن يسجل عليها ما يروم تسجيله في مفكرته. ثبت الريشة ثم غمسها في المحبرة» وبدا كما لو كان مترددا في أمر ما لبرهة واحدة» وسرت القشعريره في أوصاله. فمجرد أن يخط بيده على الورقة كان يمثل له قراراً حاسماً وخطيراً» وكتب بأحرف صغيرة غير مقروءة جيداً على صدر الصفحة: 4 نيسان 4. ثم اعتدل في جلسته. وقد تملّكه شعور بالعجز التام. فقبل كل شيء لم يكن متأكداً أن العام كان 1984» فقد يكون الزمان قريباً من ذلك التاريخ. لأنه كان متأكداً أن عمره لم يتجاوز التاسعة والثلاثين» وكان يعتقد أنه من مواليد 1944 أو 1945؛ ومع ذلك كان من المستحيل في هذه الأيام تحديد أي تاريخ مضى عليه سنة أو سنتان. بعد ذاك راح يتساءل: لمن يكتب هذه المذكرات؟ أيكتبها للمستقبل؟ أم للأجيال القادمة؟ وأطرق للحظة وهو يفكر في هذا التاريخ 13 80015-01

المشكوك في صحته والذي دوّنه فى صدر الصفحة الأولى» وسرعان ما امتدت يذه ليتناول قاموس اللغة الجديدة وبحث باهتمام عن كلمة «التفكير المزدوج»»
فلأول مرة يستشعر خطورة ما أقدم أو ما هو مقدم عليه؛ وتساءل في نفسه كيف يمكن أن يتسنى له الاتصال بالمستقبل؟ إن مثل. هذا العمل مستحيل فى حَدّ ذاته» إذ إن المستقبل إما أن يكون شبيهاً بالحاضر وبالتالي لن يتجاوب معه؛ أو مغايراً له وحينئذ لن يكون لتكهناته التي يعيش من أجلها أي معنى. مضت لحظات وهو يحدق فى الورقة التى أمامه ببلادة. وكانت فنافقة ترمد قن اكقلت: لأذاعة مو سيك تك نه اعناجية .وق حر ذه الفزع ليس لأنه فقد القدرة على التعبير عما تجيش به نفسه فحسب» بل لأنه نسي كلياً ما كان يحيك في صدره ويهيّئ له نفسه منذ أسابيع. لقد كان يظن أنه لن يحتاج إلى شيء آخر غير الشجاعة والإرادة» إذ الكتابة أمر يسير ولا تحتاج إلى كثير عناء» وما عليه إلا أن ينقل ما كان يجول بخاطره لسنوات من حوارات طويلة مع النفس إلى الورق» تلك الحوارات التي كانت تعتمل في رأسه وتسبب له القلق وعدم الارتياح. بيد أنه في هذه اللحظة بدا له كما لو أن ينابيع هذه الأفكار قد جفّتء بل لقد بدأ يشعر بألم الدوالي في ساقه اليمنى» ولم يجرؤ على حكها خوفاً من أن تلتهب كالسابق. كانت الثواني تمضي بسرعة؛ ولكنه لم يكن يعي من حوله غير الصفحة البيضاء التي أمامه» والألم الذي في كاحله. وصوت الموسيقى الصاخبة وشعور خفيف بالدوار بتأثير شراب الجن. وفجأة وجد نفسه يكتب» وقد تملكته حالة من الرعب. لم يكن يدرك تماماً ما كان يفعله. كان خط يده الشبيه بخط الأطفال يميل فى تغرصات إلى أغلن وإلى أتفل وفنالقصلت الأخرفف الأول والحقط وعلامات الوقف عن الكلمات» وقد كتب ما يلي: «الرابع من نيسان 4؛ ذهبت إلى إحدى دور السيئما وكانت جميع الأفلام التي تعرض أفلاماً حربية؛ وكان الفيلم الذي يلقى إقبالاً هو 14
01-80015

ذلك الذي في مشهد منه سفينة ضخمة تتعرض وهي محملة باللاجئين لقصف بالقنابل في مكان ما من البحر الأبيض المتوسطء وقد سُرَّ المتفرجون بمنظر رجل ضخم يحاول النجاة بنفسه ويبتعد عن السفينة الغارقة فيما تلاحقه إحدى الطوافات. في بادئ الأمر بدا وكأنه سلحفاة تسبح في الماء بصعوبة» إلى أن أمطره رماة الطوافة بطلقات ملأت جسمه بالثقوب فاصطبغ البحر من حوله بالأحمر القاني» ثم غرق فجأة كما لو أن المياه قد تسربت داخله عبر الثقوب» وانفجر المشاهدون ضحكاً عندما كانت المياه تبتلعه. ثم رأيت قارب نجاة محملاً بالأطفال وتلاحقه طوافة» وقد جلست في مقدمة المركب امرأة في أواسط عمرهاء ربما تكون يهودية» وكانت تحتضن طفلاً في الثالثة من عمره وهو يصرخ عوفاً وغلعا يننا يلام راسه ايه كدييها» وكانة يريك إن يقد إلن اليا والمرأة تحيطه بذراعيها وتلاطفه رغم أنها كانت هي الأخرى ترتعد ونا ورعباً. لقد كانت تحاول طوال الوقت أن تحتضن جسده لعلّ ذراعاها تدرآن عنه طلقات مدافع الطائرة. في هذه اللحظة ألقت الطوافة قذيفة زنة 0 كيلوغراماً على القارب فغرق بمن فيه ولم يظهر منه غير ذراع طفل تطاير إلى أعلى في الهواء» وقد بدا أن الطوافة تحمل آلة تصوير في مقدمتها تبعت الذراع إلى أعلى» وهنا علا التصفيق من مقاعد رجال الحزب» غير أن امرأة من النساء الجالسات في مقاعد العمال أخذت تضرب الأرض برجليها وهي تصرخ: ١الا يجوز عرض هذه المشاهد بحضور الأطفال». واستمرت فى ذلك حتى تدخل رجال الشرطة وخر هوه تن العامة ول اقلن ان مكروهاً قد اضانها سين ذلك :قايتن: ثمة من يأبه لما يقوله الفقراء؟. هنا توقف ونستون عن الكتابة» وأغلب الظن أنه كان يتألم من الدوالي ولم يكن يدري ما الذي جعله يكتب مثل هذا السيل من الهراء . غير أن الشيء الغريب هو أنه بينما كان يقوم بذلك» إذا يحادثة تلمع بجلاء ووضوح في ذاكرته» إلى حد أنه انكبَّ على كتابتها بلا تردّد» وقد 15 80015-01

كانت تلك الواقعة كما تبين له هي التي دفعته لأن يسرع إلى المنزل ويشرع في تسجيل مذكراته في هذا اليوم. لقد حدثت تلك الواقعة في صباح ذلك اليوم حينما كان موجوداً بالوزارة» إذا صح أن أمراً غامضاً كهذا يمكن أن يحدث. كانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة» وفي دائرة السجلات حيث يعمل ونستون كان الموظفون يجرّون المقاعد من مكاتبهم ويصمُونها في وسط القاعة المواجهة لشاشة الرصد استعنادا لبدء فعاليات «دقيقتى الكراعية»» عان ونمترة قد اشخد عقعيا تذفن الريط عقل دلفنة إلى القاغة شخِصان يعرفهما من بعيد وإث لم يسيبق لهأن تكلم :مع أيهما من قبل. لم يكن ثمة أحد ينتظر قدومهماء أحدهما فتاة طالما التقاها في الممرات» لم يكن يعرف اسمهاء ولكنه كان يعرف أنها كانت تعمل في دائرة الإثارة» لأنه طالما رأى يديها ملطختين بالزيت وتحمل مفك براغي أخيانا . إنها عن"اللواتن: يعملق فن قشم الميكانيك عن إحدى الآلات الخاصة بطباعة الروايات. كانت فتاة جريئة الطلة وفي السابعة والعشرين من العمرء شعرها كثيف ووجهها فيه نمش وحركاتها السريعة تنم عن بسع رياضي كانت تتبنطى تحرام قرمري يشعل ثبارة رايطة الشبيية المناهضين للجنس» وكان الحزام ملفوفا عدة لفات حول خصرها بشكل يبرز خطوط الكفلين. وقد نفر منها ونستون من أول نظرة» وكان سبب ذلك معرفته بالأجواء التى تحيط بمن مثلهاء أجواء ملاعب الهوكى» وحمامات الماء البارد» والرحلات الجماعية؛ وتلك عقيدة العفّة التي كانت تعتنقها. لقد كان يمقت كل النساء تقريباً وعلى الأخص الشابات الجميلات منهن» فقد كنّ أكثر أعضاء الحزب إخلاصاً وتمسكاً بمبادئه» فمنهن الجاسوسات اللواتي يتلصصن على الناس ويحشرن أنوفهن بكل صغيرة وكبيرة بحثاً عن أي مظهر من مظاهر الانحراف عن مبادئ الحزب. ولكن هذه الفتاة» بصورة خاصة:؛ كانت تبدو أخطرهن. ففى إحدى المناسبات عندما التقاها مصادفة في الممر رفقعه يتظرة جائكبة 16 80015-01

وحادة»ء شعر على إثرها كما لو كانت قد اخترقت قلبه وملأته رعباً» وقد خطر له أنها ربما تكون عميلة من عميلات شرطة الفكر. ومع أن ذلك الظن كان بعيد الاحتمال» فإنه ظل يشعر بعدم الارتياح الممزوج بالخوف وبعدائية إزائها كلما رآها على مقربة منه. وأما الشخص الآخر فكان رجلاً يدعى أوبراين»؛ وهو عضو في الحزب الداخلي» ويشغل منصباً ذا أهمية كبيرة وصلاحيات واسعة. ولم يكن لدى ونستون فكرة واضحة عن طبيعته أو منصبه. وما كاد الحضور يرى البزة السوداء التي يرتديها أعضاء الحزب الداخلي حتى خيم الصمت للحظة عليهم. كان أوبراين رجلاً ضخم الجسم, قوي البنية» غليظ العنق» وذا وجه وحشي ساخرء ولكنه ورغم مظهره الذي يلقي بالروع فى النفس فقد كان يحظى بشىء من الجاذبية ودماثة الخلق» وكان من عادته المبالغة في تحريك وتثبيت نظارته على أنفه بطريقة مهذبة جاذبة: وكانت حركته تلك تشبه ما كان يقوم به أحد نبلاء القرن الثامن عشر عندما يقدم علبة سعوطه إلى رجل آخر. وكان ونستون قد التقى أوبراين عشرات المرات على مدى سنوات» وكان يشعر فى أعماقه بشىء من الأنجنات تسوه ولزيكن سيت هذا الاتجذاتب راجما فين الأسان للتناقض الواضح بين أخلاق أوبراين المهذبة وشكل جسمه الذي يشبه أبطال المصارعة» وإنما كان بسبب اعتقاد داخلي؛ أو ربما لم يكن اعتقاداً بل مجرّد أمل يحدوهء بأن ولاء أوبراين السياسي للحزب لم يكن تاماً. فقد كان ثمة شيء في وجهه يوحي بذلك إيحاء لا يقاوم. ولكن ربما كان ما يبدو على وجهه ليس انحرافاً عن ولائه للحزب وإنما كان مجرد ذكاء. بيد أنه وعلى أي حال كان يتمتع بمظهر يوحي بأنه شخص يمكنك أن تتحدث إليه مطمئناً إذا استطعت خداع شاشة الرصد والانفراد به. ولم يحدث أن كلف ونستون نفسه أبداً أدنى عناء للتحقق من ظنونه ولم يكن في الحقيقة أمامه من سبيل إلى ذلك . وفي هذه اللحظة تطلع أوبراين إلى ساعته فرأى أنها قد قاربت الحادية عشرة» فقرر البقاء داخل 17 80015-01

قسم السجلات إلى أن تنتهي فعاليات «دقيقتي الكراهية». وقد جلس على مي و ا ات ا لا كان يشغل أحدهما امرأة ذات شعر رملي تعمل في مكتب مجاور لمكتب ونستون» في حين جلست الفتاة ذات الشعر الأشره شلفه هناك ف وفي اللحظة التالية انبعث صوت مزعج ومخيف من شاشة الرصد فى طرف القاعة»؛ كما لو أنه يصدر عن آلة قد جفَّ زيتها. كان صوتاً تصطك له الأسنان ويقف له شعر الرأس. ولم يكن ذلك إلا إيذاناً ببدء فعاليات الكراهية . وكما جرت العادة» ظهر على الشاشة وجه إيمانويل غولدشتاين عدو الشعب. فتعالت الصيحات من كل أنحاء القاعة» فى حين صدر عن المرأة ذات الشعر الذهبي صرخة امتزج فيها الخوف بالاشمئزاز. كان غولدشتاين هو ذاك الخائن المرتد الذي كان فى وقت ما (وليس من أحد عرق مت كان ذلك)اوعدا من ركو الكون القيادية» وكانت مكانته تكاد تضاهي مكانة الأخ الكبير نفسهء ولكنه تآمر على الحزب وتورّط في نشاطات معادية للثورة فحُكم عليه بالموت» لكنه تمكن من الهرب في ظروف غامضة واختفى عن الأنظار. وكانت برامج «دقيقتي الكراهية» تتنوع من يوم إلى يوم» ولكن لم يكن هناك برنامج إلا وغولدشتاين هو محوره الرئيسي» إذ كان أول خخائن للثورة وأول من سعى إلى تشويه الصورة المشرّفة للحزب» وكل الجرائم في حق الحزب وكل الخيانات والأعمال التخريبية والهرطقة والانحراف عن مبادئ الحزب» كانت نتيجة مباشرة لتعاليمه. وهو ما زال يعيش في مكان ما يدبر المكائد» ريما يكون في مكان ما وراء البحار حيث يعيش تحت رعاية أسياده الأجانب الذين يقدمون له التمويل اللازم» وبين ٠ آونة وأخرى تظهر شائعة أنه مختبئ في مكان ما داخل أوقيانيا نفسها. بسبب الضغوط. لم يكن ونستون يرى وجه غولدشتاين إلا وينتابه خليط من المشاعر المفعمة بالألم» كان وجهه وجه يهودي هزيل البنية» 18
01-80015

تعلو رأسه هالة من الشعر الأشيب» وله لحية أشبه بلحية (تيس)» كان وجهاً يوحي بذكاء صاحبه لكنه في مجمله صورة للخسة المتأصّلة» ويظهر فيه أنف طويل ساخر ترتكز عليه نظارتان» وكان أشبه ما يكون بوجه خروف وصوته كالثغاء . كان غولدشتاين يلقى» كالعادة؛ خطابه الذي يشن فيه هجوماً ضارياً تبرنرا عل مالف الحوبم وكان سحجونة دل ب بالتحارن والمالقات» حتى أن الطفل ليستطيع أن يستشف ذلكء إلا أنها مع ذلك كانت معقولة لدرجة تثير الفزع لدى المرء حينما يتنبه إلى أن هنالك أناسا بسطاءء وأقل إدراكاً لحقائق الأمورء قد ينخدعون بها. كان يصيح متهجماً على الأخ الكبير ويستنكر دكتاتورية الحزب» ويطالب بإرساء السلام مع أوراسيا على الفورء كما كان يطالب بحرية التعبير وحرية الصحافة وحرية عقد الاجتماعات وحرية الفكر. وكان يصيح بحماس هستيري منددا بالخيانة التي تعرضت لها الثورة من الداخل» كل ذلك بكلمات سريعة متلاحقة في محاكاة للأسلوب الخطابي الذي اعتاده خطباء الحزب» بل وكانت خطيه تمن كلمات :من اللغة الجديدة تقوق: ما أطفاد' على امتتخدامة أي من أعضاء الحزب أنفسهم. وفي أثناء ذلك» ومخافة أن يكون البعض قد انخدع بأكاذيبه الخافية وراء خطبته المنمقة» كانت تظهر على الشاشة وراء رأس غولدشتاين جحافل جرارة من جنود أوراسياء صفوف متراصة من رجال ذوي وجوه كالحة وحشية يظهرون على وجه الشاشة؛ كتائب متلاحقة ما إن تختفي واحدة إلا وتظهر أخرى أكثر وحشية وهمجية. وكان الإيقاع الرتيب لأحذيتهم العسكرية بمثابة الخلفية الصوتية لخطاب غولدشتاين وصوته الثغائي . وقبل أن تمضى الثلاثون ثانية الأولى من فعاليات الكراهية» بدأت عالق اس ركان غاضية اشر ين اتستفب السطعور كن العاكرة رن كان الوجد الأقنه يوجه الكروف والححد لفيه درج الخوو فضيلا من الفزع الذي تثيره مشاهد جيش أوراسيا على الشاشة أكثر مما يمكن أن 19
01-80015

يحتمل» هذا إلى جانب أن زؤية غولدشتاين أو حتى مجرد التفكير فيه كانت تملأ قلوب المشاهدين بحالة من الخوف والغضب . لقد كان ما يثيره من كراهية يفوق تلك التي لأوراسيا أو إستاسيا. وقد جرت العادة على أنه عندما تكون أوقيانيا في حرب مع إحدى هاتين الدولتين فهي في سلام مع الأخرى» ولكن الغريب في الأمر أن غولدشتاين هذا ورغم كونه مكروهاً وممقوتاً من الجميع» ورغم أن نظرياته كانت في كل يوم وفي كل لحظة تتعرض للدحض والنقد وتصبح مثاراً للاستهزاء على صفحات الصحف والكتب وشاشة الرصد ومنابر الحزب» كما تُقدم للرأي العام باعتبارها هراء وتخرصء بالرغم من كل هذاء كان تأثيره شديداً لا يضعف . فقد كان هناك دائماً أغرار ينخدعون به» فلا يكاد يمر يوم إلا وتلقي شرطة الفكر القبض على جواسيس ومخربين يعملون تحت إمرته. لقد كان غولدشتاين قائدا لجيش خفي كبير وشبكة سرية من المتآمرين تعمل في الخفاء ولا هدف لها إلا الإطاحة بنظام الحكم. والتي كان يعتقد أنها تسمى رابطة «الأخوة». كذلك كان الناس يتهامسون ويتناقلون القصص حول كتاب مخيف يضم كل الهرطقات التي ألفها غولدشتاين والتي يتم تداولها بصورة سرية هنا وهناك. كان كتاباً بلا عنوان ولذا كان الناس يشيرون إليه؛ إذا أشاروا إليه أصلاء باسم الكتاب. وكانت الشائعات المبهمة هى المصدر الوحيد لأي معرفة عن هذا الكتاب» إذ لم يكن أي من أعضاء الحزب العاديين يجسر على الإشارة في حديثه إلى «الأخوة» أو الكتاب إلا اضطراراً. وفي الدقيقة الثانية تصاعدت الكراهية حتى صارت سعاراًء وراح الناس يثبون إلى أعلى من مقاعدهم ثم يجلسون وهم يصيحون بأعلى صوتهم حتى يطغى على الصوت الثغائي الصادر عن غولدشتاين من الشاشة. وكان وجه المرأة الصغيرة ذات الشعر الذهبي قد احتقن واكتسى باللون الأحمر القاني فيما كان فمها يفتح ويغلق كسمكة طرحها الموج على الشاطئ» وكذلك احمرّ وجه أوبراين الضخم.
أما ونستون فكان 20 80015-01

يجلس منتصباً فوق مقعده فيما كان صدره يعلو ويهبط مع كل شهيق وزفير كما لو كان يتأهب لمواجهة موجة عاتية. وراحت الفتاة ذات الشعر الأسود التي تجلس خلف ونستون مباشرة تصرخ «وغد! وغد! وغد!»» 2 فجأة الثقاطت معجما للغة اللجديدة وقفت: الشاشة به قاصابت غولدشتاين في أنفه ثم سقط أرضاً إلا أن صوت غولدشتاين استمر. وفي هذه اللحظة ألفى ونستون نفسه يصرخ مثل الآخرين ويضرب الأرض وحافة المقعد بقدميه في عنف. ولعل أفظع ما في «دقيقتي الكراهية» هو أن المرء لم يكن مجبراً على تمثيل دور ماء ومع ذلك كان من المستحيل عليه أن يتجنب الانخراط في هذا المشهد. ففي غضون ثلاثين ثانية لن تصبح المشاركة في «دقيقتي الكراهية» بالأمر الضروري»ء ذلك أن نشوة من الخوف والرغبة في القتل والانتقام والتعذيب وتهشيم الوجوه بالمطرقة كانت تتملك الحضور وتسري في أوصالهم وكأنها تيار كهربي يدفع بالمرء رغماً عنه للصراخ والصياح كمن أصابه مس من الجنون. ومع هذا فإن الغضب الذي كان يشعر به المرء آنذاك كان انفعالا طائشاً وغير محدد الوجهة ومن الممكن تحويله من وجهة إلى أخرى مثل لسان لهب متصاعد. وهكذا لم تكن كراهية ونستون في لحظة من اللحظات موجهة ضد غولدشتاين إطلاقاً» وإنما على النقيض من ذلك كانت موجهة ضد الأخ الكبير والحزب وضد شرطة الفكرء ففي مثل هذه اللحظات كان قلبه يخفق تعاطفاً مع هذا المنبوذ الذي يظهر على الشاشة متهما بالهرطقة ومثارا للسخرية» وهو الوحيد الذي يقف حاميا للحقيقة والحكمة في عالم زاخر بالأكاذيب والتزوير. ومع ذلك فقد كان في اللحظة التالية يشعر بما يشعره الآخرون نحو غولدشتاين وبأن كل ما قبل عن غولدشتاين هو حقيقة لا ريب فيها. وفي تلك اللحظات كان مقته المكنون للأخ الكبير ينقلب إعجاباً يقارب العبادة» وكان الأخ الكبير حينذاك يعلو مقاماً ويصبح كحامي الحمى البجسور الذي لا يقهر وكأنه طود عظيم يقف في وجه جحافل الجيوكن الراحقة من أسياء. كما 21 80015-0

غولدشتاين» ورغم العزلة التي فُرضت عليه وحالة العجز التي يعيشهاء بل ووجوده الذي أصبح موضع شكء فإنه يبدو مثل ساحر شرير قادر بقوة صوته فقط أن يقوض بئيان الحضارة . لقد كان بمقدور المرء أن يحوّل كراهيته بهذا الاتجاه أو ذاك بمحض إرادته. وفجأة وبالقوة العنيفة التي يرفع المرء بها رأسه من على الوسادة حينما يستولي عليه كابوس» استطاع ونستون أن يحوّل كراهيته من الوجه الظاهر على الشاشة إلى تلك الفتاة ذات الشعر الأسود الفاحم الجالسة وراءه. وطافت برأسه تخيلات جميلة وقوية. كانت تراوده الرغبة ف أن يضربيا ريا ينضن يها]إلن المورت بهرازة م المطاط ار يدها عارية إلى عمود ثم يرميها بزخة من السهام مثل القديس سباستيان. كم ود لو استطاع أن يغتصبها ثم يحرّ رقبتها عند بلوغه لحظة النشوة. والآن أدرك ونستون أكثر من ذي قبل سبب كراهيته لهاء لقد كان يبغضها لجمالها وصغرها وعزوفها عن الجنس. ولأنه كان يمني نفسه بأن يكون معها في فراش واحد لكن ذلك لم يكن ممكناًء فقد كانت تحيط خصرها | لممشوق الناعم» الذي كان يغري المرء أن يلف ذراعه حوله. بحزام قرمزي كريه هو رمز العفة. وبلغت الكراهية ذروتهاء وأصبح صوت غولدشتاين ثغاء خروف حقيقي بل تحول وجهه للحظة إلى وجه خروف. ثم لم يلبث أن تلاشى ليحل محله وجه جندي من جنود أوراسيا كان يندفع كالعملاق فينشر الرعب وهو يحمل في يده بندقية آلية تهدرء ويبدو وكأنه سيئب من الشاشة» حتى أن بعض المشاهدين الذين كانوا في المقاعد الأمامية كانوا الجميع الصعداء إذ تلاشت هذه الصورة وحلت محلها صورة الأخ الكبير بشعر رأسه الأسود وشاربه الكث ورزانته الغامضة وقوته الفياضة» وكان كان يقوله الأخ الكبير. فقد كانت مجرد كلمات تشجيعية معدودة من 22 80015-0

تلك التي يُتَمتم بها في معمعة المعارك لا يستطيع المرء تمييزهاء بيد أنها كانت تعيد الثقة إلى النفس بمجرد التلفظ بها. ثم تلاشى وجه الأخ الكبير وظهرت شعارات الحزب الثلاثة بأحرف كبيرة بارزة : العرب هي السلدم الحرية هي العبودية الجهل هو القوة لكن وجه الأخ الكبير» ورغم زواله عن الشاشة» بقي منطبعا عليها لثوان أخر» كما لو أن تأثيره الذي تركه في أعين الحضور أقوى من أن ينمحي دفعة واحدة وعلى الفور. أما المرأة ذات الشعر الذهبي فقد انحنت في مقعدها إلى الأمام وصدرت عنها همهمة كأنها تقول «أيها المخلص»» ومدت ذراعيها باتجاه الشاشة» ثم دفنت رأسها بين راحتيها. وكان يبدو من ذلك أنها تتلو بعض الصلوات. وفي هذه اللحظة» انخرط جميع الحاضرين في ترديد إيقاعي ارييية الكريي + الكزيو؛ كالوا برددودها بيط ووضوج ويتومدوه للحظات بين المرّة والأخرى. كان صوت الهمهمة ثقيلا ومفعما بشيء من البربرية» ومن خلفيته كان ينبعث صوت يحسبه السامع وقع أقدام عارية أو دقات طبول بعيدة. استمر ذلك الصوت ثلاثين ثانية. إنه عبارة دوه سي وا م الك ل أو ترنيمة تتغنى بحكمة الأخ الكبير وجلاله؛ والأرجح أنه شكل من التنويم الذاتي المغناطيسي وحالة من تغييب الوعي من خلال الإيقاعات الرتيبة. أما ونستون فقد بدا أن البرد قد أخذ يسري فيه حتى نفذ إلى أحشائه؛ ومع ذلك لم يكن أمامه بد من المشاركة في حالة الهيجان العامة. أَمَا تلك الترانيم الكبير. . الكبير. . فقد كانت دائماً تملأه رعباً. لق عادايرن ى الأعرييي ققد كان مستحيا ان رقمل غير ذلك ل حاو مقاحر امسق رأن حكن فين اقبالا توحوك. وأن تفعل ما كان يفعله كل شخص آخرء كل ذلك كان فعلاً غريزياً. ولكن هنالك 23 80015-01

لحظات يمكن فيها أن تكون تعبيرات عينيه قد كشفت حقيقته. وفي هذه اللحظات تحديداً حدث ذلك الشيء الهامء هذا إن كان قد حدث فعلا. لقد التقت عيناه عيني أوبراين الذي كان قد انتصب واقفاً وهو يرفع نظارته عن أنفه ثم يعيد تثبيتها بإيماءته المميزة. ورغم أن عيونهما لم تلتق إلا لأجزاء من الثانية فقد كان ذلك كافياً حتى يدرك ونستون أن أوبراين كان يفكر في نفس ما يفكر فيه ونستون. لقد كانت تلك النظرة بمثابة رسالة لا يمكن أن متكي المرء دوين كبا كر ان عقل 5 سينا قد انفتح على عقل الآخر فتدفقت الأفكار من واحد لآخر عبر عيونهما. وخيّل لونستون أن أوبراين يقول له «أنا معك» إنني على معرفة دقيقة بمشاعرك» وأعرف كل شيء عما تضمره من ازدراء وكراهية واشمئزاز ولكن لا عليك فأنا في صفك!» عندئذ خبا بريق التخاطر الفكري وبدا وجه أوبراين خلواً من أي تعبير كسواه من وجوه الآخرين ل ل ا حدث فعلاً لأن مثل هذه الحوادث تمر عادة دون أن تكون لها نتائج» وكل ما فعلته هو أنها أبقت على اعتقاده أو أمله بأن هنالك أيضاً آخرين لديهم مشاعر العداء نفسها نحو الحزب. ولربما كانت الشائعات عن وود مؤائرات سرية واسعة النطاق مصسحييحة ؛ بل ربما كانت رابطة والأخرة» موشتروة حنا. لدكان هن التشس عل لمرو بالرغم من الاعتقالات اللانهائية والاعترافات المتتالية وأحكام الإعدام؛ أن يؤمن بأن «الأخوة» إن هي إلا خرافة. وكان ونستون يؤمن أحياناً بوجودها وأحياناً بعدم وجودها. لم يكن هنالك دليل» بل مجرد إشاعات قد تعني شيئاً وقد لا تعنى شيئأء فالمكالمات المسترقة أو الكتابات المسجلة على جلازان بالعر شفع لان أو عض اثقاءا غريعن أن [قتارة يق تلو كانها إشارة سرية للتعارف» كل ذلك مجرد تكهنات ومن المحتمل جداً أن يكون الأمر كله محض خيال لا يوجد إلا في مخيلة ونستون. عاد ونستون إلى مكتبه دون أن يلتفت مرة ثانية إلى أوبراين» ولم 24 80015-01

تخطر بباله فكرة متابعة هذا التواصل العابر. كان الأمر ينطوي على مخاطر شديدة حتى لو عرف كيف يحتاط لهاء لقد تبادلا نظرة غامضة وخاطفة لم تدم أكثر من ثانيتين وهذا كان كل ما في الأمر. ولكن حتى ذلك الأمر العابر كان حدنا د يستحق الذكر في مثل هذا الجو الانعزالي الذي كان يت يتحتم على المرء العيش فيه . ا الشراب يغلي في معدته. أعاد التحديق في الصفحة التي أمامه فاكتشف أنه عندما كان مستغرقاً في التفكير كتب على الصفحة شيئاً ما بدافع عفوي لاإرادي» ولم تكن الكتابة هذه المرة كتلك التى كانت حروفها غير مقروءة جيداً» فقد جرى تلم عله الجرة سيئولة على الوزق الناضى وباحرك كهزة أنقة : ليسقط الأخ الكبير ليسقط الأخ الكبير ليسقط الأخ الكبير ليسقط الأخ الكبير وظل يكتب هذه العبارة حتى ملأ بها نصف الصفحة. وما إن استفاق لما يخطه بيده حتى تملّكه شعور بالفزع والهلع. إن الأمر لا يعدو أن يكون هراء إذ إن كتابة هذه الكلمات لم تكن أشد خطراً من مجرد اقتنائه مفكرة والبدء في تسجيل مذكراته. وقد راودته الرغبة في تمزيق الصفحات التي كتبها ومن ثم التخلي عن ذلك المشروع المغامرة ولكنه لم يفعل ذلك لإدراكه أن تمزيقها لن يجدي فتيلاء وسيان أكتب ليسقط الأخ الكبير أو أحجم عن كتابتهاء وسواء احتفظ بالمفكرة أو لم يحتفظ بهاء فإن شرطة الفكر ستعتقله. فقد اقترف». ومازال يقترف» جرماء بل وحتى لو لم يضع القلم على الورق فقد اقترف أمّ الجرائم التي تنطوي على جميع الجرائم» إنهم يطلقون عليها «جريمة 25 80015-01

الفكرء وهي جريمة ليست بالأمر الذي يمكن إخفاؤه إلى الأبد. فربما يمكنك مواراتها عن العيون لحين من الزمن أو لسئوات ولكن إن عاجلا أو آجلا لا بد أن تقع في قبضتهم . كانت الاعتقالات تقع دائماً تحت جنح الليل» حيث يفزع صاحب الجرم من نومه على يد خشنة تهزه بغلظة» فيفتح عينيه على ضوء ساطع مسلط على عيئيهء ويجد مجموعة من رجال ذوي وجوه عابسة يتحلقون حوله وهو ما يزال فى فراشه. وكانت أغلب هذه الحالات تمر دون مجاكنات أو حت عاضر اعتقال» تديق كان الناتى يخوت آثناء اليل . وكان اسمك يشطب من السجلات ويشطب معه كل شيء يتعلق بك أو لك فيه ذكرء حتى إن النكران يطال فكرة وجودك أصلاً ثم يتم نسيانك . لقد انتهيتَ ثم تلاشى ذكرك وكأنك تبخرت» نعم إنك تبخرت لقد كانت هذه هي الكلمة التي يصفون بها عادة ما حدث. وانتابت ونستون للحظة من الزمن نوبة هستيرية» وراح يكتب بسرعة وبخط متعرج: سيرمونني بالرصاص» بيد أنني لا أبالي. سيطلقون النار عليّ من الخلف غير أنني لا أبالي» وليسقط الأخ الكبير. . إنهم دائماً يطلقون النار عليك من الخلف لكنني لا أبالي؛ ليسقط الأخ الكبير. ثم اتكأ في مقعده وقد شعر ببعض الخجل من نفسه» ووضع القلم جانبا . وفي اللحظة التالية استأنف الكتابة بنشاط ولكن سرعان ما سمع طرقا على الباب. ظل ونستون على سكونه كفأر مذعور في جحره» يحدوه أمل واه بأن الطارق سينصرف بعد المحاولة الأولى» بيد أن الطرق توالى. ولأن أسوأ ما يمكن أن يفعله في مثل هذا الظرف هو التلكؤ في الاستجابة فقد أعد كليه يدق كالطل: ولكن وجي كان حك العادةة جايدا وخلراً 26 80015-01.

الفصل الثاني عندما وضع ونستون يده على مزلاج الباب تذكر أنه ترك المفكرة على الطاولة مفتوحة» وعبارة «ليسقط الأخ الكبير» تكاد تغطي الصفحة بأحرف كبيرة بما يكفي لقراءتها عن بعد. وهنا تنبه إلى أنه ارتكب حماقة تفوق الوصف» لكنه حتى مع هذا الفزع الذي انتابه لم يكن يريد طي الغلاف قبل أن يجفّ الحبر خشية أن تتلطخ الورقة. استجمع شجاعته ثم فتح الباب» وسرعان ما استشعر موجة من الارتياح تسري في أوصالهء فالذي كان في الباب امرأة شاحبة اللون» ذات شعر أشعث ووجه مغضن بالتجاعيد. ابتدرته المرأة بصوت مبحوح وحزين: «آى أيها الرفيق»: لقد شعرت بقدومك» هل بإمكانك المجيء لمعاينة مغسلة مطبخي» فالبالوعة مسدودة»), كانت هذه المرأة السيدة بارصون زوجة جاره فى الطابق نفسه. (كانك علية #ننيدة» مججوحة إلى هاما فى" لحرت ركات تون المفترضن أن يُدعى أيّ كان بلقب «رفيق» ومع ذلك كان يجري استعمالها مع بعض النساء أحياناً بإيحاء من الفطرة). كانت امرأة فى الثلاثين من عمرها على وجه التقريب» ولو أنها تبدو أكبر من ذلك. وكا من وراعنا قولب للديه انطباع بأن غباراً يتخلل تغضّنات وجهها. سارت فتبعها ونستون عبر الممر متململاًء فأعمال الصيانة هذه كانت مصدر إزعاج شبه يومي له؛ لأن كل الشقق في بناية النصر قديمة» حيث يعود تاريخ بنائها إلى 1930 أو ما 27
01-80015

يقرب من ذلك التاريخ» وكانت: ايه متدامية » «السنضتين يتساقط من الأسقف والجدرانء والأنابيب تنفجر بفعل بفعل الصقيع» والأسطح تسرب المياه إلى الداخحل عندما تغطيها الثلوج . وكان نظام التدفئة لا يعمل إلا بنصف طاقتهء هذا إذا لم يتم إيقافه كلية بدعوى التوفير. وأما الإصلاحاتء فيما عدا تلك التي بإمكان الساكن إنجازها بنفسهء فكان يجب أن تمر معاملاتها عبر لجان كانت تتلكأ في تنفيذ أي شيء؛ حتى أن إصلاح لوح من الزجاج كان تنفيذه يحتاج إلى سنتين. ثم قالت السيدة بارصون معتذرة: «ما حصل كان بالتأكيد بسبب غياب طوم عن البيت». كانت شقة عائلة بارصون أوسع من شقة ونستون» ووضيعة مثلهاء ولكن تتميّز بأشياء أخرى. فكل شيء مهشم ومحطم كما لو أن حيواناً هائجاً قد عاث فيها. والكثير من مستلزمات الألعاب الرياضية ملقاة على الأرض كمضارب لعبة الهوكي وقفازات الملاكمة وكرة قدم مفرغة من الهواء فضلاً عن سروالين متسخين؛ وعلى الطاولة كومة من الأطباق المتسخة والدفاتر الممزّقة الزوايا. أما على الجدران فكانت تظهر أعلام رابطة الشباب واتحاد الجواسيس بلونها القرمزي» بالإضافة إلى صورة ضخمة للأخ الكبير. وكانت هناك أيضاً تلك الرائحة المعتادة - رائحة الملفوف المسلوق - التي تنتشر في كل أرجاء المبنى» تختلط معها رائحة عرق يفرزه جسم شخص ماء بيد أن هذا الشخص لم يكن في تلك اللحظة موجوداً بالغرفة. أما في الغرفة الأخرى فقد كان هنالك شخص ما يحمل مشطاً وقطعة من ورق الحمام يحاول أن يعزف بهما مقلّداً إيقاع موسيقى عسكرية كانت لا تزال تنبعث من شاشة الرصد. وقد أشارت السيدة بارصون بعد أن أطلّت إطلالة خاطفة من باب الغرفة المجاورة: «إنهم الأولادء لم يخرجوا من البيت هذا اليوم» وهذا لسبب. ..4. (يظهرأنه كان من عادتها أن ن تقطع الجمل في وسطها) . كانت مغسلة المطبخ ممتلئة حتى نصفها بماء متسخ مائل للاخضرارء رائحته أكثر نفاذاً

من رائحة الملفوف. جثا ونستون على ركبتيه وراح يتفحص كوع الأنبوب.
كان يكره استعمال يديه» كما يكره الانحناء لأن ذلك يسبب له نوبات من السعال» بينما كانت السيدة بارصون تنظر إليه نظرة بائسة. قالت: "لو أن طوم كان موجوداً لاستطاع أن يصلحها في لحظةء إنه يهوى القيام بمثل هذه الأعمالء إنه ماهر اليدين» نعم إن طوم هكذاا. بارصون هذا هو زميل ونستون في وزارة الحقيقة. لقد كان رجلاً مائلاً للسمنةء نشيطاً ولكن عليه علامات غباء مستحكمء بل هو كتلة من الحماس الأحمق» وواحد من ذوي الولاء الأعمى الذين يتوقف عليهم استقرار الحزب أكثر من توقفه على شرطة الرصد. في الخامسة والثلاثين من عمره» اعدكايها عورال الفيات: وكان قبيل أن ينتسب إلى هذه المنظمة قد التحق باتحاد الجواسيس لمدة سنة بعد السن القانونية. أما في الوزارة فكان يشغل منصباً ثانوياً لم يكن يتطلب أي قدر من الذكاءء غير أنه من ناحية أخرى كان من القياديين في الهيئة الرياضية؛ وكل الهيئات المعنيّة بتنظيم الرحلات الجماعية والاستعراضات وحملات الادخار والتوفير والأنشطة التطوعية الأخرى. وكان بإمكانه أن يقول لك بكل فخرء وهو يدخن غليونه» إنه ظل على مدى الأربع سئوات الماضية يحضر جلسات الملتقى المجتمعى كل مساءء ورائحة عرقه النفاذة كانت شهادة كافية على نوع الحياة التي يحياهاء حيث ترافقه أينما حل» بل ويتركها وراءه بعد انصرافه. وضع ونستون يده على البالوعة باشمئزاز وقال: «هل يوجد لديكم مفتاح ربط؟» - «لا أدري» أجابت السيدة بارصون على الفور» بيئما انحنت لتنظر. «لا أدري أين أجده فالأولاد غالبا . كان هنالك صوت وقع أقدام وجلبة ولعب بأسنان المشط يُسمع عندما اندفع الأولاد إلى غرفة الجلوس. وكانت السيدة بارصون قد

وجدت مفتاح الربط وجاءت به. وهكذا تمكن ونستون من تسريب الماء من البالوعة بعد أن أخرج وهو متأفف كتلة شعر بشري كانت تتسبب بانسداد الأنبوب. ثم غسل أصابعه بقدر المستطاع بماء بارد من الصنبور وتوجّه إلى الغرفة الأخرى المجاورة للمطبخ . لكنه فوجئ بصوت وحشي يزعق فيه قائلاً: «ارفع يديك فوق رأسك!» ٰ كان الصوت لصبي جميل ذي مظهر خشنء في التاسعة من عمرهء اندفع من خلف طاولةء وهو يهدده بمسدس زائفء بينما كانت شقيقته» التي تصغره بسنتين» تقلّده وفي يدها قطعة خشب. كلاهما كان يلبس رو أزرق وقتميصا رمادي اللون ورباط عنق أحمرء وهو الزي الرسمي للجواسيس . رفع ونستون يديه فوق رأسه متبرمء فقد كان في مظهر الصبي عدوانية شديدة توحي بأن الحكاية ليست ممجرد مزحة. - «أنت خائن»» صاح به الصبي» «إنك مجرم فكرء إنك من جواسيس أوراسياء سأطلق عليك الثارء سأزيلك من الوجودء سأرسلك إلى العمل في محافر الملح!» وفجأة بدآ يقفزان من حوله وهما يصيحان «الخائن» مجرم الفكر». كانت الصغيرة تقلّد أخاها في كل حركة أو كلمة يأتي بها. لقد كان الأمر مخيفاًء إذ ذكره بمن يداعب صغار النمور التي تتحول حينما تكبر إلى آكلة للحوم البشر. لقد كان يلمح شراسة متنمرة في عيني الصبي ورغبة واضحة في أن يرفس ونستون أو يضربه؛ فضلاً عن شعور بأنه صار في سن تسمح له بذلك. أدرك ونستون بأن من حسن حظه أن المسدس لم كانت السيدة بارصون تجول بناظريها ما بين ونستون وولديها وعلامات الارتباك بادية عليها. وعلى ضوء غرفة الجلوس الأكثر سطوعاً لاحظ ونستون باهتمام أن غباراً حقيقياً كان يتخلل تغضّنات وجهها. «إنهما يحدثان جلبة شديدة»» هذا ما علقت به» واستطردت: «لقد 30 80015-010

استاءا لأنهما لم يخرجا اليوم لمشاهدة أحد أحكام الإعدام شنقاًء هذا كل السبب» فانا مشغولة ولا يسمح لي وقتي بمرافقتهم» وطوم لا يعود من عمله في الوقت المناسب». الماذا لا نذهب للتفرج على عملية الشنق» صاح الولد بصوت زاعق وغاضب. وتغنّت الصغيرة وهى ترقص مرحا «نريد مشاهدة الشئق! نريد مشاهدة الشنق!2. 1 لقد كانت ستجري بالفعل عملية شنق بعض الأسرى من أوراسياء أسرى متهمين بارتكاب جرائم حرب» وذلك مساء في الحديقة العامة. تذكر ونستون أن مثل هذا كان يجري مرة كل شهر تقريبا وكان مشهدا يحظى بشعبية عالية. ودائماً يلح الأطفال في طلبهم لحضوره ومشاهدته. استأذن ونستون من السيدة بارصون وأخذ طريقه إلى الباب» ولكنه لم يكد يخطو بضع خطوات حتى شعر بأن شيئاً قد ضربه على ظهره ورقبته نكا له ألما رحا كتير كايما سلكا ترجا إلى درسة الأحسرار قد لسع ظهرهء فالتفت في اللحظة نفسها ليرى السيدة بارصون تجرجر ولدها إلى الوراء عبر الممر بينما كان الولد يهم بإخفاء مقلاع حصى في جيبه . وما إن أوصد ونستون الباب وراءه حتى صرخ الولد: غولدشتاين. ولكن ما صدم ونستون وآلمه» كان ذلك الخوف البائس الذي ارتسم على وجه المرأة الرمادي . عاد ونستون إلى شقته واجتاز شاشة الرصد إلى كرسى قرب الطاولة وهو ما يزال يتحسس رقبته. كانت الموسيقى التي تنبعث من الشاشة قد توقفت» وحل محلها صوت عسكري جاف يقرأ بلهجة وحشية بياناً عن قوة تسليح القلاع العائمة الجديدة التي كانت قد رست بين أيسلندا وجزر فارو. أدرك ونستون أنه مع مثل هذين الطفلين لا بد وأن تحيا هذه المرأة ' التعسة حياة رعب دائم. فلن تمر سنة أو سنتان إلا وسيكون طفلاها قد انتظما في سلك الجاسوسية يرصدان تحركاتها ليل نهار ترقباً لأي علامات 31 80015-01

انحراف عن نهج الحزب قد تظهر عليها. إن معظم الأطفال في هذه الأيام قد باتوا مصدر رعب لأهلهم. وأسوأ ما في الأمر أن الصغار بانضمامهم إلى منظمات مثل اتحاد الجواسيس كان يتم تحويلهم بشكل منهجي إلى رعاع صغار لا يمكن ضبطهم» وهذا بدوره يقتل فيهم أي ميل إلى الثورة ضد نظام الحزب؛ بل على النقيض من ذلك سيصبحون عبيدا للحزب ولكل ما يتصل به. إن الأغاني» والمواكب»؛ وحمل الرايات» والرحلات الجماعية» والتدريب على الأسلحة الزائفة» والهتاف» وتقديم فروض الطاعة والهتاف بحياة الأخ الكبير» كل ذلك كان نوعاً من اللعب الممتع بالنسبة لهم. أما ضراوتهم وشراستهم فكانتا توجهان إلى الخارج؛ إلى أعداء الدولة»؛ إلى الأجانب والخونة وزمر المخربين ومجرمي الفكر. وكان أمراً طبيعياً لمن هم فوق سن الثلاثين أن يخافوا أولادهم. فلم يكن يمر أسبوع إلا وتنشر فيه جريدة «التايمز؛ قصّة تحت عنوان «بطل صغيرا تروي كيف استطاع «البطل» أن يتنصت على والديه ويشي بهما لشرطة الفكر بنقله ملاحظة تضعهم موضع شبهات. كان ألم حصاة المقلاع قد خف وزال» عندما أمسك بقلمه متململاء وهو يتساءل عما سيكتب في مفكرته» ولكنه فجأة وجد نفسه يفكر في أوبراين مرة ثانية . قبل سنوات» لا يعلم كم على وجه التحديد» ربما سبع سئوات» رأى فيما يرى النائم أنه كان يجول في غرفة حالكة الظلام» فسمع شخصاً ماء على مقربة منه» يقول له وهو يجتازه «سنلتقي يوما في مكان يغمره النور حيث لا ظلام»» قيلت هذه الجملة بمنتهى الهدوء والاتزان» كانت خبراً ولم تكن أمرأء مشى هذا المتكلم دون أن يتوقف. الغريب أن هذه الكلمات التي سمعها في الحلم لم تكن ذات وقع شديد عليه أول الأمرء بيد أن ما ترمي إليه من معانٍ أخذ ينجلي له رويداً رويداً فيما بعل إثه لا يعذكر الآن. ما إذا كانت رؤييه لأردرايقً للمرة الأول فد جاءت قبل هذا الحلم أم بعده؛ ولا هو استطاع أن يتذكر ما إذا كان 32 80015-01

الصوت صوت أوبراين نفسه. ولكن على أية حال كان يظن أنه ميّز الصوت»
وأن أوبراين هو الذي كلمه في الظلام. لم يكن ونستون متأكداًء وحتى بعد تلاقي شعاع عيونهما في ذاك اليوم؛ ما إذا كان أوبراين عدواً أم صديقاًء بل حتى هذا التحديد لم يبد ذا أهمية كبيرة له. لقد جمعهما رباط من التفاهم. رباط أقوى من رباط العاطفة أو الحزبية» «سئلتقي يوماً حيث لا يكون ظلام». لم يكن ونستون يفهم ما الذي يعنيه بهذا القول» لكنه كان يعتقد بأنه بطريقة أو بأخرى سيأتي هذا اليوم . توقف الصوت المنبعث من الشاشة؛ وملأت هواء الغرفة الساكن موسيقى صوت بوق جميل وصاف. ثم عاد ذلك الصوت الذي يثير الأعصاب». يقول: «انتباه» من فضلكم أعيروني انتباهكم» وردنا قرا ما هرمن بيه مالابار. إن قواتنا في جنوبي الهند قد أحرزت انتصاراً باهراً. لقد خولتني السلطات أن أعلن أن تقدمنا على هذه الجبهة» والذي نذيعه لكم الآذء سيمكننا من وضع نهاية لهذه الحرب» فإليكم ما ورد في هذه الإشارة. ..» وهنا خطر ببال ونستون أنها مقدّمة لأنباء سيئة . وهكذا كان» إذ بعد الوصف المروّع لعملية الإبادة التي لحقت بجيوش أوراسياء والأرقام المذهلة لأعداد القتلى والأسرىء. أردف البيان بأنه ابتداء من الأسبوع القادم سيتم خفض حصة الفرد من الشوكولا من ثلائين غراماً إلى هنا تجشأ ونستون ثانية» كان مفعول الشراب آخذاً فى الزوال مخلفاً شعوراً بالكرى :أبن الفاشةة :زربي احتفالاً بالتضر آل للتقطة على نا تخفيض حصة الشوكولاء فقد انتقلت فجأة لبث نشيد «يا أوقيانيا كل هذا من أجلك». وكان من المفروض عندما تسمع النشيد أن تقف في حالة الاستعداد. لكن ونستون لم يكن في مجال رؤية الشاشة. 33 80015-01

تَبع نشيد (يا أوقيانيا كل هذا من أجلك»» موسيقى خفيفة. مشى ونستون نحو النافذة وظهره إلى شاشة الرصد. كانت السماء ما تزال صافية والهواء بارداً. تناهى إلى سمعه صوت قذيفة صاروخية انفجرت بعيداً محدثة دوياً رِجّ الأرض رجّاً. لم يكن ذلك غير مألوف» ففي الوقت الحاضر يسقط ما بين عشرين وثلاثين من أمثال هذه القذائف على ليدن أسوعيا: في الشارع كانت الريح ما تزال تتلاعب بالصورة المعلقة» وكانت عبارة الاشتراكية الإنجليزية المنحوتة بكلمة «اش انك» كما نحتت في قاموس اللغة الجديدة تظهر وتختفي مع كل هبة ريح. ومعها المبادئ المقدّسة التى تشير إليها: التفكير الازدواجى» إمكانية تغييز الماضى . وقد شعر ونستون وكأنه تائه في غابات قاتمة في أعماق البحار» وقد ضلّ في غالموعشي. حيث هو نفسه ذلك الوحش. لقن كان وجيدا: وكان الماضي ميتاً» و المستقبل مجهولاً ولا يمكن حتى تصوّره» كيف له أن يتأكد ما إذا كان هنالك إنسان يقف إلى جواره؟ وكيف له أن يعرف أن هيمنة الحزب لن تدوم إلى أبد الدهر؟ وجواباً عمّا دار في خلده من تساؤلات» عادت الشعارات الثلاثة المكتوبة على واجهة وزارة الحقيقة للظهور أمامه: الحرب هي السلام العبودية هي الحرية الجهل هو القوة. أخرج من جيبه قطعة نقود من فئة الخمسة والعشرين ستتيماء كان على أحد وجهيها هذه العبارات نفسها وقد نُقشت بأحرف دقيقة واضحة» بينما نُقش على الوجه الآخر وجه الأخ الكبير. كانت عيناه» حتى من خلال قطعة النقودء تلاحقانك. على العملة؛ على الطوابع» على أغلفة الكتب» على الأعلام؛ على ألواح الإعلانات» على علب السكاكر. في كل مكان ودائماء عيناه تراقيانك وصوته يحيط بك. وسواء كنت 34 80015-01

مستيقظا أو نائماً. تعمل أو تأكل؛ داخل منزلك أو خارجه؛ في الحمام أو فى
الفراش لا فرقء, لا مهرب لك. أنت لا تملك سوى تلك الستتيمترات المكعبة داخل
جمجمتك . مالت الشمس نحو الغروب فانحسرت عن نوافل وزارة الحقيقة الكثيرة»
والتي بدت كثيبة وأشبه بكوى في أسوار قلعة. كان قلبه يرتجف أمام هذا الشكل
الهرمي الضخم. رأهاجمنا ميا لآ يمكن اتساضه لحت إن آلافاً من القذائف الصاروخية
تعجز عن النيل منه. مرة ثانية تساءل لِمَن يكتب ما يكتبه في مفكرته» أتراه يكتب
للمستقبل أم للماضي» أيكتب لعصر ربما لن يوجد إلا في خيالاته؟ وأمام عينيه لم يكن
الموت فحسب يقف متربصاء بل الفناء. والمفكرة ستتحول إلى رماد وهو نفسه سيموت
ويتحول إلى بخار. لن يكون هنالك أحد غير شرطة الفكر يقرأ هذه الأفكار وذلك قبل
أن تمحوها من الوجود والذاكرة معاً. كيف يمكن أن تكتب للمستقبل» إذا كان لا يمكن
لأي أثر لك أن يبقى لهذا المستقبل» ولا حتى كلمة على قصاصة ورق مجهولة الكاتب.
دقت ساعة الشاشة الثانية يعد الظهرء وعليه أن ينصرف فى غضون عشر دقائق ليعود
لعمله مرة ثانية في الدقيقة الثلاثين بعد الثانية ظهراً. أحسّ أن دقات الساعة بدت كأنها
قد بعثت في كيانه ووعنا جلية٥: كان كشبح وحيد يتمتم بينه وبين نفسه بالحقيقة
دون أن يسمعه أحد على الإطلاق» ولكن ما دام يمكنه الاستمرار في ذلك فإن هذه
التمتمة ستتواصل ٠ فليس بمجرد إسماع الآخرين صوتك بل ببقائك سليم العقل يمكنك
مواصلة حمل التراث الإنسانى. عاد ونستون إلى الطاولة وجلس على الكرسي :قم
كتاول العلم وبذاً يكتتك: فإلئ المشقبل' أو الماضي؛ إلى الزمن الذي يكون الفكر فيه
حراً طليقاً» إلى زمن يختلف فيه الأشخاص عن بعضهم البعض ولا يعيش كل منهم في
عزلة عن الآخرء إلى زمن تظل الحقيقة فيه قائمة ولا يمكن فيه لأحد أن يمحو ما
ينتجه الآخرون. 35 80015-01

وإليكم» من هذا العصر الذي يعيش فيه الناس متشابهينء» متناسخين» لا يختلف الواحد منهم عن الآخر. من عصر العزلة» من عصر الأخ الكبير» من عصر التفكير المزدوج » تحياتي!» شعر آنذاك كأنه في عالم الأموات» وبدا له أنه في هذه اللحظة فقطء لحظة بات فيها قادراً على صياغة أفكاره» قد اتخذ الخطرة الحاسمة. إن عواقب كل عمل تكمن فى العمل نفسهء وكتب: (إن جريمة الفكر لا تفضي إلى الموت» إنها الموت نفسه». الآن وقد أدرك أنه ميت لا محالة أصبح من الأهمية له أن يبقى على قيد الحياة قدر ما يتاح له ذلك. نظر إلى يده فوجد أن إصبعين من يمناه كانتا ملطختين بالحبر. وهذه هي بالضبط الأشياء الصغيرة التي يمكن أن تكن بش "فركنا بسي اللن بين بنش المتعسدمين اليرت فق الوزارة (امرأة مثلاً كتلك المرأة ذات الشعر. الرملي أو تلك الفتاة ذات الشعر الأسود التي تعمل في دائرة الإثارة) في التساؤل لماذاء ما الذي يجعله ينصرف إلى الكتابة ساعة الغداء؟ ثم لماذا يستعمل هذا النوع القديم من الأقلام في الكتابة» ثم ما الذي كان يكتبه يا ترى! ثم ترسل بتلك التساؤلات إلى المسؤول المختص . فأسرع إذ ذاك إلى الحمام» وراح» بحرص» يزيل الحبر بتلك الصابونة الخشنة التي تقشط الجلد قشطاً وكأنها شيف عتضيفا] ليله القاية. وبعد ذلك أعاد المفكرة إلى درج المكتب. ليس لأن إخفاءها أمرٌ ممكن» فمن العبث أن يفكر في ذلك» بل ليكون قادرا على معرفة ما إذا كان أحد قد توصل إليها أم لا. إن شعرة يضعها على نهاية تلك الصفحة يمكن كشفها بسهولة» ولذلك التقط بطرف بنانه ذرة غبارأبيض ووضعها على إحدى زوايا الغلاف» حيث يكفي مجرّد تحريك المفكرة لإزاحتها عن الغلاف. 36 80015-01

الفصل الثالث كان ونستون يحلم بأمه. حرك ذاك الحلم ذكراها في داخله» وفكر أنها لا بد قد اختفت وهو بعد في العاشرة أو الحادية عشرة من عمره. كانت امرأة طويلة ممشوقة القوام كتمثال؛. تميل إلى الصمتء» بطيئة الحركة» ولها شعر أشقر جميل. بعدئذ تذكر والده على نحو أكثر تشوشاًء فما يذكره عن والذه أنه أسمر البشرة؛ نحيف.» ويرتدي دائماً ملابس سوداء أنيقة (وأكثر ما يذكره ونستون عن والده أنه كان ينتعل حذاءً ذا نعل رقيق) ويضع نظارة على عينيه. وقد قضى والداه نحبهما في إحدى موجات التطهير الواسعة التي جرت في الخمسينات . لل الاح لاج انه جلي وى وان مر لجن رفي لحمل شقيقته الصغرى بين ذراعيها. وأما شقيقته شقيقته فلم يكن يتذكر شيئاً عنها على الإطلاق فيما عدا أنها كانت طفلة نحيلة» ضعيفة» دائمة الصمت وذات عينين واسعتين شاخصتين. كلتاهما كانتا تتطلعان إليه. فكلتاهما كانتا في موضع ما أسفل الأرضء ربما في قاع بئر مثلاً أو في قبر عميق عميق» ولكنهء رغم بعد المكان عنه وعمقهء فإنه كان ما زال يهوي إلى أسفل . كانتا على سطح سفينة تغرق وتنظران إليه عبر ظلمة المياه. كان ما يزال هناك بعض الهواء الذي تتنفسانه» وما يزال باستطاعته أن يراهما وترياه وكانتا تغرقان وتغرقان إلى الأعماق السحيقة حيث المياه الخضراء التي ستواريهما عن الأنظار إلى الأبد. كان هو في الهواء الطلق وتحت أشعة

الشمس» أما هما ففي الماء الذي يشدهما نحو الموت. لقد كانتا حيث هما لأجل أن يكنؤن هو في :مكاتة الذي هو فيه. كان يدرك ذلك كما تدركانه» ويراه على وجهيهما. لم يكن هنالك ملامة على وجهيهما أو في قلبيهما نحوه» كأنهما تعرفان أنه كان يجب أن تموتا من أجل أن يظل هو علق" قيد الحياة" وكا عذااجوءا من تداز لأ عفر امن لم يكن باستطاعته أن يتذكر ما الذي حصلء لكنه عرف في حلمه بطريقة ما أن أمه وشقيقته قدمتا حياتيهما فداء لحياته هو. لقّد كان حلما من تلك الأحلام التي» رغم محافظتها على المشهد المميز لأجواء الأحلام» تبقى امتداداً لحياة الإنسان الفكرية» والتي يصبح المرء فيها وعي بالحقائق والأفكار التي تبقى محفورة في ذاكرته حتى بعد أن وما خطر لونستون هو أن موت أمه تند كلاقين سنة اتقريباً: كان مأساة محزنة بشكل لم يعد موجوداً. فالمأساة» كما يفهمهاء باتت شيئاً يخص العالم القديم» وينتمي لزمان كان ما يزال فيه خصوصية وصداقة وشب » لزمان كان ماتيزال أفراك العائلة'الواععدة يققوة فيه جما إلى حدتن دونما حاجة إلى معرفة السبب. كانت ذكرى وفاة أمه تمرّق قلبه» فقد كانت تحبّه» وماتت وهي تحبّه. فيما كان هو صغيراً وأنانياً أعجز من أن يبادلها حبّاً بحب. ولسبب لا يعرفه لم يكن يتذكر كيف ضحت بنفسها في سبيل مفهوم من الولاء كان خاصاً بها وغير قابل لأن يتحوّل أو يتزعزع. ورأى أن أشياء كهذه لا يمكن أن تحدث في هذه الأيام التي باتت زماناً للخوف والكراهية والألم» ولا مكان فيها للعواطف السامية أو للأحزان العميقة أو المعقدة المتشابكة . كل هذا بدا له أنه يراه فى عيون أمه وأخته الواسعة عندما كانتا تتطلعان إليه عبر المياه الخضراء» وعلى بعد مئات الفراسخ في الأعماق» وهما تغرقان لأسفل وتغرقان. وفجأة رأى نفسه واقفاً على أرض يكسوها عشب ربيعي في نهاية 38 80015-01

نهار صيفى حيث أشعة الشمس المائلة للغروب تذهّب الأرض . إنه المشهد نفسه الذي يتكرر مراراً فى أحلامه حتى بات يشلك فيما إذا كان قد رأى ذلك في اليقظة أم في المنام . في أوقات اليقظة كان يسمي هذا المشهد: الريف الذهبي . إنه مرعى قديم كانت ترعى فيه الأرانب» ويجتازه متلوياً ممر ضيق وحفر جِلْدٍ هنا وهناك. أما على السياج في الجانب المقابل من الحقل فقد كانت أغصان شجر الدردار تتمايل على نحو خفيف مع النسيم بينما تحف أوراقها متحركة بكتلها الكثيفة مثل شعر النساء. وعلى مقربة ينساب جدول صاف ورقراق حيث تسبح الأسماك في برك تحت أشجار الدردار. وعبر الحقل» كانت الفتاة ذات الشعر الأسود تسير نحوه. وبحركة وأنئرة تدعت ثيابهيا"ورحها جنات ذون اكشرات: كان جييدها تاغهاً وبشرتها بيضاءء لكن ذلك لم يثر فيه أدنى رغبة» بل إنه بالكاد تطلع إليها. لكن الذي استهراه من ذلك كله هو تلك الحركة التي نزعت بها ثيابها وطوحت بها أرضاً. فبرشاقتها وعدم مبالاتها بدا كأنها تقوّض ثقافة كاملة وتنقض نظاماً فكرياً بكليته» كما لو أن الأخ الكبير والحزب وشرطة الفكر يمكن أن تذهب أدراج الرياح بحركة بارعة كحركة ذراعها. لقد كانت هذه الحركة أيضاً من بقايا الزمن القديم. واستيقظ ونستون وكلمة كانت شاشة الرصد ترسل صفيراً يصِمّ الآذان استمر على وتيرة واحدة لثلاثين ثانية. وكانت الساعة تدق السابعة والربع وهو وقت استيقاظ العاملين بالمكاتب. قفز ونستون من فراشه عارياء إذ كان العضو العادي بالحزب لا يتسلم إلا ثلاثة آلاف قسيمة ملابس سنوياًء وكانت البيجامة تكلف وحدها ستماثة» لبس على عجل بعض الملابس الداخلية المتشيفة وسروال" كان معلفا على كرفي انك افيه السارين الرياقدة ستبدأ في غضون ثلاث دقائق. وفي اللحظة التالية تملكته نوبة سعال عنيفة) كانت تنتابه تقريباً بعد استيقاظه» أجهدت رئتيه بشدة حتى أنه لم 39 80015-01

يكن يستطيع التنفس إذ ذاك إلا بعد أن يستلقي على ظهره ويشهق شهقات عميقة. انتفخت عروقه من أثر السعال كما بدأت الدوالي تؤلمه ثم تعالى صوت أنثوي قوي لامرأة تزعق: «المجموعات من ثلاثين 27 رجاءء خذوا أماكتكم! من ثلاثين إلى أربعين!». قفز ونستون متخذا وضعية الاستعداد أمام الشاشة. ظهرت امرأة شابة نحيفة لكنها مفتولة العضلات ترتدي بذلة وحذاء رياضياء ثم صرخت : «مع ثني الذراعين ومدّهماء تابعوا معي واحدء اثنان. ثلاثة أربعة» واحدء اثنان» ثلاثة» أربعة» هيا أيها الرفاق» لتكن حركاتكم أكثر حيوية. واحدء اثنان» ثلاثة. أربعة! واحدء اثنانء ثلاثة» أربعة. . .» لم يصرف ألم السعال ذهن ونستون عن الانشغال بما أثاره ذلك الحلم داخله. بل إن تلك الحركات المتناسقة من التمرين الرياضي قد أبقت على هذا التأثير. فبينما كان يحرك بصورة آلية ساعديه إلى الأمام وإلى الوراءء إلى فوق وإلى تحتء متظاهراً بالانشراح» وهو ما كان يعد أمراً ضرورياً أثناء التمارين الرياضية» كان يحاول جاهداً استرجاع تلك الفترة التي يلفّها من طفولته المبكرة» ولو أن ذلك كان في غاية الصعوبة» فبعد الخمسين يتلاشى كل شيء من الذاكرة. وإذا لم يكن هنالك سجلات يمكنك الرجوع إليهاء فإن خط حياة الإنسان قد يُمحى أثره من الذاكرة. قد تخطر على ذاكرته أحداث كبيرة من المحتمل ألا تكون قد وقعتء أو تفاصيل أحداث دون أن تكون قادراً على استكناه الأجواء والظروف التي رافقتها. ومن الممكن أن تكون هناك فراغات اك يدك اد وي ىن اياك لقد تغير كل شيء؛ حتى أسماء البلدان ومساحاتها على الخرائط تغيّرت. فالقطاع الهوائي رقم لسن عدر سعد ل الخال لم ون دك اشم تن تلك الأ كان يسمى إنجائرا أو بريطانياء آنا لندن» حسيما كان شعي فقد كانت :دوما تسمى لندن.

010-80015 040

لا يذكر ونستون على وجه التحديد وقتاً لم تكن فيه بلاده في حالة حرب» ولكن كان من الثابت له أنه كان هنالك فترة طويلة من السلام قد تخللت طفولته» لأن من ذكريات طفولته الأولى يذكر غارة جوية فاجأت الجميع على حين غرة. ربما كان ذلك عندما ألقيت قنبلة ذرية على كولشيستر. وهو لا يذكر الغارة نفسهاء لكنه يذكر يد والده وهي تقبض على يديه بينما كانا يُهرعان نازلين إلى مكان عميق تحت الأرض على سلم حلزوني يرن تحت قدميه. مما آلم ساقيه واضطره للتوقف وأخذ قسط من الراحة. فيما أمه بحركتها الهادئة الحالمة كانت فى صف طويل وراءهما وهي تحمل أخته الصغيرة» أو لعل ما تحمله كان صرة من البطانيات. فهو ليس متأكداً مما إذا كانت أخته قد وُلدت أم لا. أخيراً وصلوا إلى مكان مزدحم يعج بالضجيج»؛ وهو حسبما اعتقد»؛ محطة قطار أنفاق. كان هنالك أناس يجلسون على أرض مرصوفة بالحجارة» بينما آخرون يتزاحمون بشدة وهم يجلسون على مقاعد معدنية الواحد فوق الآخر. استطاع ونستون وأمه وأبوه أن يجدوا لهم موطئاً. وبالقرب منهم كان رجل وامرأة طاعنان في السن يجلسان جنباً إلى جنب على مقعد. كان الرجل العجوز يلبس بذلة سوداء وقبعة من القماش الأسود تنحسر للوراء كاشفة عن شعر ناصع البياض. كان وجهه قرمزياً وعيناه زرقاوين ومغرورقتين بالدموع» وتنبعث منه رائحة الخمر وكأنها تفوح من جسمه وليس من الشراب. حتى كان المرء ليحسب أن الدموع التي تسيل من عينيه هي خمر صاف. ولكنه رغم كونه ثملا قليلاء فإنه كان رازحاً تحت أحزان حقيقية لا تحتمل. وبطريقته الطفولية أدرك أن ثمة واقعة فظيعة» واقعة لا يمكن غفرانها أو علاجهاء قد حدثت. وبدا له أيضاً أنه قد عرف السبب. شخص ما كان يحبه العجوزء ربما حفيدة صغيرة» قد قضت نحبها. وكان العجوز يتمتم من حين لآخر قائلاً: «كان يجب ألا نثق بهمء هذا ما قلته أليس كذلكء. هذا ما جنيناه من ثقتنا بهم» لقد 41
010-80015

كنت أقول ذلك دائماًء ما كان ينبغي لنا أن نثق بهؤلاء الأنذال». لكن من هم هؤلاء الذين ما كان عليهم أن يثقوا بهم؟ أمر لم يعرفه ونستون. منذ ذلك الوقت كانت الحرب متواصلة » ولو أننا أردنا الدقة» فإنها لم تكن دائماً الحرب نفسها. فعلى مدى أشهرء أثناء طفولته» كان قتال عنيف يدور في شوارع لندن نفسها. وهو ما يزال يذكر بعضه بوضوح. ولكن التاريخ لا يأتي حتى على إشارة لتلك الفترة. من كان يحارب من وفي أي وقت؟ أمر كهذا مستحيل طالما أنه لا سجل مكتوب أو كلمة مسجلة قد أتت على ذكر أي تحالفات غير تلك القائمة فى الوقت الراهن. ففي هذه اللحظة مثلا في 1984 (إن كانت هذه اللحظة فعلا في 1984)» أوقيانيا في حرب بغ أدراساء ينما تخالف قبرفاسنا: لكن ما من بيان عام أو خاص اعترف يوماً بأن القوى الثلاث قد أقامت تحالفات مختلفة عما هو قائم اليوم. ولكن ونستون عرف جيداً» أنه منذ أربع سنوات فقط كانت أوقيانيا في حرب مع شرقاسيا ومتحالفة مع أوراسيا. كان ذلك مجرد إدراك مبهم لأن ذاكرته وأفكاره لم تكن تحت سيطرته بصورة كافية. فعلى المستوى الرسمي لم يحدث أي تغيير في التحالفات. فإذا كانت أوقيانيا في حرب مع أوراسياء إذن فإن أوقيانيا كانت دائماً في حرب مع أوراسيا. ذلك أن عدو اللحظة الراهئة يمثل الشر المطلق» وهذا ما يؤكد أن وفاقاً في الماضي أو المستقبل كان في حكم المستحيل. كان الشيء المخيف الذي خطر له للمرة الألف» وهو يدفع بكتفيه إلى الوراء متألماً (بيئما يداه على خاصرته ويتحرك حركة استدارية من الوسطء وهي حركة يفترض أنها تقوي عضلات الظهر)؛ أجل الشيء الممسكهو إن بكول ان كاوه مكارت كديا ! لزن إن لسرت يستطيع أن يضرب يده في الماضي ليقول إن هذا الحدث أو ذاك لم يحدث أبداً. لو كان ذلك لكان أشد إفزاعاً من التعذيب أو الموت. إن الحزب يقول إن أوقيانيا لم تدخل أبداً في تحالف مع أوراسياء 02 80015-01

بينما ونستون سميث يعرف أن أوقيانيا كانت في تحالف مع أوراسيا منذ وقت قريب» ولكن مثل هذه المعلومات أين يمكن أن نجدها. إنها فقط فى ضميره الذي لا يلبث أن يُسحقء وإذا قبل الناس الأكذوبة التى ألزمهم بها الحزب» وإذا كانت كل السجلات تحكي القصة نفسهاء فإن الأكذوبة تدخل التاريخ وتصبح حقيقة. وأحد شعارات الحزب «من يسيطر على الماضي يسيطر على المستقبل» ومن يسيطر على الحاضر يسيطر على الماضي». لكن الماضي» الذي هو في طبيعته قابل لإعادة النظرء لم يحدث أبداً أن تغير. فما هو صحيح اليوم كان صحيحاً منذ الأزل وسيبقى كذلك إلى الأبد. إن الأمر في منتهى البساطة» فكل المطلوب هو سلسلة لا تنتهي من الانتصارات على ذاكرتك «(الااستحواذ على الحقيقة» أو كما يسمونها في اللغة الجديدة «التفكير الازدواجي». استرح» صرخت المدربة وهي تبتسم قليلا. أرخى ونستون ذراعيه وملا رئتيه بالهواء ببطءء بينما كان عقله ينزلق فى متاهات التفكير الازدواجى. . أن تعرف وأن لا تعرف» أن تعى الحقيقة كاملة» ومع ذلك لا تفتأ تقص الأكاذيب محكمة البناء» أن تؤمن برأيين في آن وأنت تعرف أنهما لا يجتمعان ومع ذلك تصدق بهما. أن تجهض المنطق بالمنطق» أن ترفض الالتزام بالأخلاق فيما أنت واحد من الداعين إليها. أن تعتقد أن الديمقراطية ضرب من المستحيل» وأن الحزب وصيّ عليها. أن تنسى كل ما يتعين عليك نسيانه» ثم تستحضره في الذاكرة حينما تمس الحاجة إليه؛ ثم تنساه مرة ثانية فوراًء وفوق كل ذلك أن تطبق الأسلوب نفسه على الحالتين. ذلك هو الدهاء الكامل» أن تفقد الوعي عن عمد ووعي؛ ثم تصبح ثانية غير واع بعملية التنويم الذاتي التي مارستها على نفسك. بل حتى إن فهم عبارة التفكير الازدواجي تستدعي منك اللجوء للتفكير الازدوجي . ومرة ثانية دعتهم المدربة لاتخاذ وضع الاستعداد: «الآن دعونا نرى من منا يستطيع أن يلمس أصابع قدميه» نادت بحماس» ثم أردفت قائلة 07

ابدأوا من فوق الوركين» رجاء أيها الرفاق. واحدء اثنان! واحدء اثنان! . .»
.) كان ونستون يكره هذا التمرين الذي يسبب له آلاماً حادة من كعبيه إلى إليتيه وغالباً ما كان ينتهي بنوبة سعال حادة. لم يكن له غير تأملاته ما يجعله مسرورا إلى حد ما. إن الماضي» كما تراءى له. لم يتغير فحسبء بل اجتّثّ من جذوره. إذ كيف يمكن أن تبرهن على أكثر الحقائق جلاء حينما لا يكون لديك أي سجل لها خارج ذاكرتك؟ هنا حاول ونستون أن يتذكر في أي سنة سمع للمرّة الأولى بالأخ الكبير . يُخيل إليه أن ذلك كان في الستينات» لكنه من رابع المستحيلات أن يتأكد من ذلك. ففي سجلات الحزب يصور الأخ الكبير طبعاً باعتباره زعيم الثورة وحاميها والقيّم عليها منذ أيامها الأولى. ومآثره كانت تتوغل تدريجياً في الماضي حتى وصلت إلى عالم الأربعينات والثلاثينات الخرافي؛ عندما كان الرأسماليون» بقبعاتهم الأسطوانية الغريبة» ما زالوا يسيرون في الشوراع بسياراتهم الفارهة أو عربات الخيول ذات الجوانب اللامعة. لم يكن أحد يعرف من هذه الأسطورة ما هو الحقيقي وما هو المختلّق. بل إن ونستون نفسه لم يستطع تذكّر التاريخ الذي جاء فيه الحزب إلى الوجودء ويعتقد أنه لم يسمع بكلمة «إنج شك» قبل عام 0؛ ولكن قد يكون من الممكن أنها قد اشتقت من «الاشتراكية الإنجليزية» في اللغة القديمة» مما يعني أنها كانت أسبق . كان الضباب يحجب كل شيء. وكان بمقدورك أحياناً أن تضع يدك على أكذوبة محددة. فعلى سبيل المثال» تزعم كتب تاريخ الحزب أن الحزب هو أول من اخترع الطائرات» فيما ونستون يذكر الطائرات منذ طفولته الأولى» ولكن لا يمكن الحصول على برهان لنقض هذا الادعاء. مرة واحدة فى حياته وقعت يداه على دليل وثائقى لا يمكن دحضه. وخا فا كر ري بلق 1 ا رو انررق للك ليد سن جر فنا امه صو غافين اك عن 'غناضة الز صن سيت ياسميث رقم 26079 نعم 44 80015-01

أنت» انحن أكثر إلى الأسفل» إنك تستطيع أن تؤدي أداءً أفضل. لكنك كيدل
جيدا كايا انحن أكثر رجاء. هذا أحسن أيها الرفيق. الآن استريحوا جميعاً وراقبوني.»
وفجأة تصبب كل جسم ونستون عرقاً حاراً» ومع ذلك بقي وجهه جدرا عن أى اتتعالء
:فلس له أن حظهين الهوف ولسو'له أن يتظهن الاستياء. رفة عين واحدة يمكن أن
تودي بك. كان ونستون واقفا يراقب بينما رفعت المدربة ذراعيها فوق رأسها ثم انحنت
(ليس للمرء أن يقول بلطف ولكن بخفة وإتقان) ثم وضعت أصابع يديها تحت أصابع
قدميها. «هكذا يا رفاق. هكذا أريدكم أن تفعلوا. راقبوني ثانية. أنا في التاسعة
والثلائين من عمري ولدي أربعة أطفال. الآن انتبهوا»» وانحنت ثانية : «لاحظوا. ركبتاي
غير مثنيتين» باستطاعتكم جميعاً أن تفعلوا مثلي إذا أردتم!' قالت ذلك وهي تنتصب
ثانية. (إن أي شخص لم يتجاوز الخامسة والأربعين يمكنه أن يلمس أصابع قدميه.
فنحن الذين لم نحظ بشرف القتال على خطوط الجبهة, علينا على الأقل أن نبقى
متمتعين باللياقة . تذكروا أبناءنا على جبهة مالابار! والبحارة على القلاع العائمة! فكروا
فقط في كل ما عليهم أن يتحملوه. والآن حاولوا ثانية» هذا أفضل يا رفيق» أفضل
بكثير»؛ قالت مشجعة حين نجح ونستون بعد جهد جهيد في ملامسة أصابع قدميه
دون أن يثني ركبتيه للمرة الأولى منذ سئوات عديدة. 45 80015-01

الفصل الرابع بتنهيدة عميقة ولاإرادية» لم يمنعه حتى قربه من شاشة الرصد عن زفرها وهو يبدأ عمل يومه» سحب ونستون جهاز التسجيل باتجاهه ثم نفخ الغبار عن مهتافه. لبس نظارتيه» وأخرج أربع لفافات صغيرة من الورق وثبتها بمشجبء. وكانت هذه اللفافات قد ألقيت من الأنبوب الهوائي الموجود إلى يمين طاولته . في حجيرة مكتبه كانت هنالك ثلاث فتحات: عن يمين جهاز التسجيل أنبوب هوائي صغير للرسائل المكتوبة. وعن يساره أنبوب أكبر للصحف. وفي الحائط الجانبي» في متناول يد ونستون» كوة كبيرة مستطيلة الشكل ومغطاة بشبكة سلكية. وهذه الأخيرة كانت للتخلص من الأوراق التالفة. كان هنالك آلاف أو عشرات الآلاف من هذه الكوى المتشابهة داخل البناء» ليس في الغرف فحسبء بل حتى على مسافات قصيرة في الممر. لسبب ما كان الناس يسمونها قبور الذاكرة. فعندما كان يعرف المرء أن هنالك وثيقة تقرر إتلافهاء أو حتى عندما يرى قطعة ورق تالفة ملقاة هنا أو هناك» كان تلقائياً يقصد أقرب قبور الذاكرة ويرفع غطاءها ثم يرمي بها داخلهاء حيث يحملها تيار من الهواء الدافيء إلى أفران ضخمة مخفية في تجاويف البناء . حل ونستون لفافات الورق الأربع وتفحصها. كانت كل واحدة منها تحتوي على رسالة من سطر أو سطرين فقط باللغة المختصرة؛ وهي 46 80015-01

ليست لغة جديدة فعلياً ولكنها تتألف في معظمها من مفردات من اللغة الجديدة:: تسعسمل فى الوزارة للأغراض الداغلية ٠. وكانت اتجرى علق النحو التالي : الزمان؛ 84-3-17. خطاب للاخ الكبير نقل مغلوطاً إلى أفريقيا. نفحه . الزمان. 83-12-19., التوقعات 23 ي ب» الربع الرابع, 53 أخطاء مطبعية» دققوا الإصدار الحالي. الزمان؛ 84-2-14» وزارة الوفرة» حصل خطأ بالشوكولاء تحققوا. الزمان؛ 83-2-13: نقل أمر اليوم ل خ ك خاطئ جداء لا تشيروا إلى أشخاصء. أعيدوا الكتابة وأتلفوا الأوراق السابقة. بقليل من الرضا نحّى ونستون الرسالة الرابعة جانباً» إذ كانت معقدة وعلى درجة من الأهمية تجعل من الأنسب إرجاء معالجتها إلى الآخر. أما الرسائل الثلاث الأخريات فقد كانت أموراً روتينية الطابع» بينها واحدة توحي بوجوب الخوض في غمار قوائم أرقام مملة. أدار ونستون «أرقاماً خلفية» على شاشة الرصد طالباً أعداداً معينة من صحيفة «التايمز». انزلقت الصحيفة من الأنبوب الهوائي بعد بضع دقائق فقط. وكانت الرسائل التي تلقاها تشير إلى مقالات أو فقرات إخبارية سيتعين لسبب أو لآخر تعديلهاء أو على حد قول العبارة الرسمية» تصحيحها. فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة «التايمز» فى عددها الصادر في السابع عشر من مارس أن الأخ الكبيرء في خطابه الذي ألقاه قبل يوم» تنبأ أن جبهة جنوبي الهند ستظل هادئة» فيما ستشن أوراسيا هجوماً وشيكاً على شمال أفريقيا. ولكن ما حدث هو أن القيادة العليا الأوراسية قد شنّت هجومها على جنوب الهند وليس على شمال أفريقيا . لذلك

كان من الضروري إعادة كتابة الفقرة الموجودة في خطاب الأخ الكبير بالشكل الذي يظهر أنه تنبأ بما وقع فعلاً. كما أن «التايمز» في عددها التاسع عشر من كانون الأول (ديسمبر) قد نشرت التوقعات الرسمية لإنتاج أصناف مختلفة من السلع الاستهلاكية في الربع الأخير من العام 3» والذي كان في الوقت نفسه الربع السادس من الخطة الثلاثية التاسعة. أما عدد اليوم فقد احتوى على بيان بالإنتاج الفعلي الذي تبيّن من خلاله أن التوقعات كانت خاطئة إلى حد كبير في كل جوانبها. وكانت مهمة ونستون تصحيح أرقام التوقعات الأصلية وجعلها تتفق مع الأرقام الجديدة. أما بالنسبة إلى الرسالة الثالثة فقد كانت تشير إلى خطأ صغير جداً يمكن تصحيحه في غضون دقيقتين. فمنذ فترة وجيزة تعود إلن قباط (فبزابر)ء كانتت وزازة الوفرة قد أصندرت. وعدا (أو تحسب العبارة الرسمية «تعهداً قاطعاً») بأنه لن يكون ثمة تخفيض في حصة الشوكولا خلال عام 1984. هذا بينما كان ونستون على معرفة بأن حصة الفرد من الشوكولا سيتم تخفيضها فعلا من ثلاثين غراماً إلى عشرين بنهاية الأسبوع الحالي. ومن ثم كان يتوجب عليه هو استبدال كلمة «الوعد» المشار إليها في البيان بكلمة «تحذير؛ من احتمال اللجوء اضطراراً لتخفيض حصة الشوكولا في وقت ما من نيسان (أبريل) . وحالما انتهى ونستون من معالجة هذه الرسائل» أرفق تصحيحاته بالأعداد الخاصة بها من «التايمز؛ ثم دفعها في الأنبوب الهوائي. وبعدئذء وبحركة يبدو أنها لاإرادية جعّد الرسائل الأصلية وأية ملاحظات كان قد دوّنها بنفسهء ثم رمى بها جميعاً في أحد قبور الذاكرة لتلتهمها النيران . أما ماذا كان يجري في المتاهة غير المرئية حيث ينتهي الأنبوب الهوائي فأمر لم يكن ونستون يعرفه بصورة مفصلةء وإنما كان فقط يلم به إلماماً عاماً. فحالما يتم تجميع ومقارنة كافة التصحيحات التي يصدف أن تكون لازمة في عدد من أعداد «التايمز»» يعاد طبعه من جديد» ويتم 48
011-80015

إتلاف النسخة الأصلية ووضع النسخة المصححة في ملفات المحفوظات
محلها. ولم تكن عملية التبديل المتواصلة هذه تطبق على الصحف تحسب4 بل كانت تظال أيضاً الكت والدوزيات والشرات' والإغلاناك والأفلام وأشرطة التسجيل وأفلام الكرتون والصور وكذا كل أنواع الأدب أو الوثائق التي يمكن أن تحمل مضامين سياسية أو أيديولوجية. فيوما بيوم وربما دقيقة بدقيقة يتم تحديث الماضي بما يجعله يتوافق والحاضر. وهكذاء فإن كافة تنبؤات الحزب يتسنى » بالدليل الوثائقى» إظهارها باعتبارها صائبة. كما أن كل فقرة إخبارية أو أي إبداء لوجهة نظر سجلات . فالتاريخ كله كان بمثابة لوح تم تنظيفه لإعادة النقش عليه يما تستلزمه مصلحة الحزب. وحينما يتم الانتهاء من عمل ماء فإنه يصبح من المتعذر تماماً على أيٍّ كان الإتيان ببرهان على أن ثمة تزييفاً قد جرى. وكان أكبر الاقسام ضمن دائرة السجلات» والذي يكبر بكثير ذاك كافة نسخ الكتب والصحف وأية وثائق حلت محلها أخرى وبات يتعين إتلافها. وهناك مجموعة من أعداد «التايمز). والتى ربما بسبب تغيير فى التحالفات السياسية أو نبوءة كاذبة وقع فيها الأخ الكبير» قد تمّت إعادة كتابتها عشرات المرات وما زالت محفوظة فى ملفاتها حاملة تاريخها الأصلي دون أن تظهر أي نسخ أخرى تناقضها. وحتى الكتب أيضاً كان يتم استردادها وإعادة كتابتها المرة تلو المرة» ثم إعادة طباعتها بصورة مغايرة دون الإشارة إلى أي تغييرات جرت عليها. بل وحتى التعليمات منهاء لم تشر من بعيد أو قريب لأي عمليات تزييف يتعين القيام بها. وكل ما كان يشار إليه دائماً هو مجرد هفوات أو أخطاء مطبعية أو اقتباسات مغلوطة يلزم تصحيحها توخياً للدقة. ولكن ونستون كان يعتبر» وهو يعيد ضبط أرقام وزارة الوفرة» أن 049 80015-01

ذلك ليس تزييفاًء بل مجرد استبدال تفاهات بتفاهات. فمعظم المواد التي كان يتعامل معها لم تكن تمبّ بصلة لما يحصل على أرض الواقع . فالإحصائيات كانت وهمية في نسخها الأصلية شأنها شأن نسخها المعدّلة. وفي كثير من الأحيان كان من المفترض أن تختلقها اختلاقاً من مخيلتك. فعلى سبيل المثال كانت توقعات وزارة الوفرة قد قدرت إنتاج الأحذية الربع سنوي بمائة وخمسة وأربعين مليون زوج من الأحذية» بينما كان الإنتاج الفعلي اثنين وستين مليوناً. ولدى إعادة كتابة التوقعات» خمّض ونستون الرقم إلى سبعة وخمسين مليوناً مفسحاً بذلك المجال للادعاء لاحقاً بأن ثمة فائضاً فى الحصة المقررة. وعلى أي حال؛ فإن اثنين وستين مليوناً لم تكن أقرب إلى الحقيقة من سبعة وخنمسين مليونا أوامن ماثة وخمسة وأربعين مليوثا: ومن :الممكن آلا يكون قد تم إنتاج أي أحذية على الإطلاق. بل وعلى الأرجحء لم يكن أحد يعرف ما تم إنتاجه أو حتى يبالي بمعرفة ذلك. فكل ما كان يعرفه المرء عن إنتاج الأحذية هو أرقام فلكية لا توجد إلا على الورق» في الوقت الذي كان زهاء نصف سكان أوقيانيا حفاة. وهكذا كان شأن كافة الحقائق المسجلة» صغيرة كانت أم كبيرة. فكل شيء يتلاشى في عالم من الظلال إلى حد يصبح معه حتى تاريخ السنة أمراً مشكوكاً فيه. رفع ونستون ناظريه عبر القاعة. في الحجرة المقابلة لمكتبه على الجانب الآخر كان ثمة رجل ضئيل الجسمء دقيق الملامح» ذو ذقن سوداء؛ يُدعى تيلوتسون» يعمل بدأب» واضعاً على ركبتيه صحيفة مطوية» ومقرّباً فمه من مهتاف جهاز التسجيل. وكان يبدو من هيئته أنه يحاول الاحتفاظ بما يقوله سراء بينه وبين شاشة الرصد. وعندما رفع رأسه لاحظ أن ونستون ينظر إليهء فبادله بنظرة عداء. كان ونستون لا يعرف من هو تيلوتسون هذا ولا العمل الذي يقوم به. فالناس في دائرة السجلات كانوا لا يميلون للتحدث عما يسْنَدِ إليهم من مهام. ففي القاعة الطويلة الخالية من النوافذ» وحجراتها المصطفة 50 80015-01

على صفين وحفيف الأوراق الذي لا ينتهي وهمهمة الأصوات التي تهمس أمام أجهزة التسجيل» كان يعمل عشرات الموظفين الذين لم يكن ونستون حتى يعرف أسماءهم» مع أنه كان يراهم يومياً يروحون ويجيئون سراعاً في الممرات أو يلوحون بالإشارات في أثناء «دقيقتي الكراهية». ولكنه كان يعرف أن في الحجرة المقابلة لحجرته؛ تعمل المرأة ذات الشعر الرملي؛ التي تعكف يومياً على تعقب ومحو ما يرد في الصحف من أسماء لأناس تمّت إزالتهم من الوجود»ء ومن ثم ينبغي اعتبارهم وكأنهم لم يكونوا أبداً. وكان في ذلك شيء من الملاءمة لحالتهاء إذ كان زوجها قد لاقى ذلك المصير قبل سنتين. وعلى بُعد بضع حجرات كان هنالك شخص هادئ» غير فعال» ويبدو كأنه يعيش في عالم من الخيال» يدعى إمبلفورث» وذو أذنين مغطاتين بشعر كثيف ويتمتع بموهبة مدهشة في التعامل مع القوافي والأوزان. كان إمبلفورث يعكف على إنتاج نسخ محرفة» أو نصوص نهائية كما كانت تسمى» من القصائد التي أصبحت تتعارض مع أيديولوجية الحزب» ولكن لسبب أو لآخر كان ينبغي استبقاؤها في موسوعة المختارات الأدبية. وهذه القاعة التي تضم خمسين عاملاً أو ما يقارب هذا العدد» كانت قسماً فرعياً واحداً» أو خلية مفردة ضمن المنظومة الضخمة المعقدة لدائرة السجلات . بينما كان يوجد فوق وتحت» مجموعات كبيرة من العاملين المنهمكين في كم هائل من أعمال لا يمكن تخيلها. فهناك قاعات الطباعة الضخمة بخبرائها واستديوهاتها المجهزة بشكل جيد من أجل تزييف الصور. وهنالك قسم البرامج الإعلامية بمهندسيه ومنتجيه وفرق الممثلين الذين اختيروا خصيصا لمهاراتهم في تقليد الأصوات. كما كان ثمة جيوش من الكتّاب المراجعين الذين تقتصر وظيفتهم على وضع قوائم بالكتب والدوريات التي ينبغي مراجعتها. وكان هنالك مستودعات ضخمة حيث تخزن الوثائق المصححة فضلاً عن الأفران المخفية والتي يجري فيها إتلاف النسخ الأصلية. وفي مكان أو آخرء مجهول الاسم» كانت هنالك العقول 51
01-80015

المدبرة التي يناط بها التنسيق بين الجهود وإرساء الخطوط العامة للسياسة التي تقرر ما يجب الاحتفاظ به من الماضي» وما يجب تزويره أو محوه. ولم تكن دائرة السجلات هذه إلا فرعاً من فروع وزارة الحقيقة ولم تكن مهمتها الأساسية إعادة بناء الماضي فحسبء بل تزويد مواطني أوقيانيا بالصمحف والأفلام والكتب». وبرامج شاشة الرصدء والزوايات والمسرحيات» وبكل أنواع الإعلام أو الإرشاد أو التسلية» من التمثال إلى الشعارء ومن القصيدة الغنائية إلى بحوث علم الأحياء» من كتاب التهجئة الخاص بالأطفال إلى معجم اللغة الجديدة. ولم يكن على وزراة الحقيقة أن تلبي الاحتياجات المتنوعة للحزب فحسبء بل عليها أيضاً أن تؤدي الدور نفسهء ولكن بمستوى أدنى» لمصلحة البروليتاريا. فهناك سلسلة كاملة من دوائر الوزارة المنفصلة التي تتعامل مع أدب البروليتاريا وموسيقاهم ومسرحهم ووسائل لهوهم بصورة عامة. وهناك تصدر جرائد تافهة لا تحوي شيئاً تقريباً إلا أخبار الرياضة والجرائم والتنجيم. وتنتج الروايات الجنسية ذات الخمسة سنتات وأفلام الإثارة الجنسية والأغاني العاطفية التي يتم تأليفها بوسائط آلية مثل ذلك النوع من جهاز الكاليدسكوب المعروف بناظم الشعر. وهناك أيضاً قسم فرعي - اسمه في اللغة الجديدة بّورنوسيك - ويعمل على إنتاج أحط أنواع المواد الإباحية» وهذه كانت توزع بمغلفات مختومة لا يسمح لأي عضو من أعضاء الحزب. ما عدا أولئك الذين يعملون فيهاء بالنظر إليها. انزلقت ثلاث رسائل من الأنبوب بينما كان ونستون يعمل» لكنها كانت تتعلق بأمور بسيطة» واستطاع بالفعل الانتهاء من أمرها قبل أن يداهمه موعد «دقيقتي الكراهية». وحينما انتهت الدقيقتان عاد إلى حجرته» وتناول معجم اللغة الجديدة من فوق الرف»ء وأزاح جهاز التسجيل جانباء ونظف نظارتيه حتى يفرغ لمهمته الرئيسية في ذلك اليوم . كانت أمتع الساعات في حياة ونستون هي تلك التي يمضيها في 52 80015-01

العمل. صحيح أن معظم العمل كان مملاً ورتيباً» ولكن كانت هناك مهام صعبة ومعقدة إلى حد قد ينسى المرء نفسه في غمرتهاء كما ينساها وهو منهمك في مسألة رياضية. حيث يطلب منك عملية تزوير دقيقة رليس لمةاامات ركتلزيه غير معرقتك تميادىء لالع سوك وتقديزاتك الشخصية لما يريد الحزب أن يقوله. وكان ونستون يجيد مثل هذه المهام؛ حتى أنه كان يُعهد إليه أحياناً بتعديل المقالات الرئيسية في «التايمز» المكتوبة بكاملها باللغة الجديدة. فض ونستون الرسالة وقرأ ما الزمان 83-12-3 نقل الأمر اليومي للأخ الكبير خاطئ جداً جداًء عدم الإشارة إلى أشخاصء اكتبه ثانية مصححاًء أرسله إلى فوق» لا وفي اللغة القديمة تعني : أمر الأخ الكبير في جريدة التايمز يوم 3 كانون الأول (ديسمبر) وفيه إشارات لأشخاص غير موجودين فعلاً. أعد كتابته بشكل كامل وابعث بالمسودة إلى مرجع أعلى قبل وضعه في الملف وحفظه. تفخخص ونستون المقالة المثيرة للاعتراض» فأمرّ الأخ الكبير كما يبدو كان مخصصاً للإشادة بعمل مؤسسة إف إف سي سيء التي كانت تزود البحارة في القلاع العائمة بالسجائر وبعض الكماليات الأخرى. ذكر أحد الرفاق ويدعى الرفيق وذرذ وهو من الأعضاء البارزين فى النخبة» مثنياً عليه ومنحه وساماً رفيعاً من الدرجة الثانية. ١ وبعد ثلاثة أشهر حُلت هذه المؤسسة فجأة. وكان بوسع المرء الظن بأن وذرذ وشركاءه قد باتوا من المغضوب عليهم؛ ولكن لم تصدر أية إشارة إلى ذلك لا في الصحف ولا على شاشة الرصد. كان ذلك هو المتوقع» لأنه لم يكن من المعتاد أن يحاكم السياسيون المنشقون أو حتى يدانون علناً. فحملات التطهير الكبرى التي تشمل آلاف الناس وتصحبها مرمه.و 38م مم8

محاكمات علنية للخونة ولمجرميى الفكر الذين أقروا بخسّة ما اقترفوا من جرائم وجرى إعدامهم فيما بعد. لم تكن سوى عيّنات خاصة للعرض ولا تحدث غالبا أكثر من مرة واحدة كل سنتين. أما الأمر المألوف فهو أن الأشخاص الذين يجلبون على أنفسهم غضب الحزب كانوا يختفون تغرف وتسكوق اثلذتين شتخصاء فضلاً عن أبويه» ممن اختفوا في هذا الوقت أو ذاك. حك ونستون أنفه بملقط للورق فى يده» بيئما كان الرفيق تيلوتسون ما زال منكبا على جهاز التسجيل بصورة توحي بسرية ما يفعله. ولما رفع رأسه ثانية باتجاه ونستون شعر بنظرة عداء تلمع في عينيه. تساءل ونستون عما إذا كان الرفيق تيلوتسون منهمكاً في المهمة نفسها التي تم إسنادها إليه. إن ذلك من الجائز تماماً. فمهمة على هذه الدرجة العالية من الدقة» لا يمكن أن يُعهد بها إلى شخص بمفرده: ومن جهة ثانية إذا أوكلت هذه المهمة للجنة معناه الاعتراف العلني بوقوع التزوير. لذلك من المرجّح أن يكون هنالك عشرات من العاملين يعكفون الآن على عمل نسخ لما قاله الأخ الكبير بالفعل. وبعد ذلك يقوم بعض ذوي العقول المدبرة من أعضاء النخبة في الحزب باختيار هذه النسخة أو تلك» وإعادة تنقيحها عبر عمليات معقدة من المراجعة مع الإحالات اللازمة» ثم يتم تمرير الكذبة التي وقع الخيار عليها إلى السجلات الدائمة لتصبح حقيقة. لم يكن ونستون يدري أي جرم ارتكبه وذرز» ربما حدث ذلك بسبب الفساد أو عدم الكفاءة . أو ربما لأن الأخ الكبير كان يرغب فى لأن وذرز أو واحداً من ذويه قد اشتَبِهَ في أن لديهم ميولاً انشقاقية» أو ريماء وهو الأرجح » أن ما حصل قد حصل فقط لأن حملات 80015-01

التصفيات والإبادة كانت جزءاً ضرورياً من آليات عمل الحكومة. المفتاح الوحيد الحقيقي لهذا اللغز يكمن في عبارة «لا تشر إلى الأشخاص» وهي ما تنطوي على إشارة إلى أن وذرز قد مات فعلاً. لكن ليس لك أن تفترض دائماً بأن هذه هي الحال مع كل الذين يتم القبض عليهم؛ ففي بعض الأحيان يطلق سراح بعضهم ويمنحون حريتهم لسنة أو سنتين ثم ينفذ فيهم حكم الإعدام. وأحياناً كثيرة قد يظهر بعض من تحسبهم في عداد الموتى منذ أمد طويل ظهوراً خاطفاً عبر محاكمة علنية حيث يدلى بشهادة يورّط بها مئات آخرين قبل أن يختفي» ولكن للأبد هذه المرة. أما وذرز فلم يكن يُعَدّ شخصا على أي حال» وهذا يعني أنه لم يكن له أبداً أي وجود. وهنا قرر ونستون أن مجرد قلب اتجاه خطاب الأخ الكبير لن يكون كافياء وأن من الأفضل أن يجعله يعالج مسألة لا علاقة كان في وسعه تحويل الخطاب إلى إدانة للخونة ولمجرمي الفكر. ولكن ذلك سيكون مكشوفاء كما كان يمكنه أن يختلق انتصارا تيحقق على الجبهة؛ أو نجاحاً في تحقيق فائض إنتاج في الخطة الثلاثية التاسعة» ولكن ذلك قد يعقّد السجلات تعقيداً شديداً. إن المطلوب هو قطعة من الخيال الخالص. وفجأة خطرت على باله فكرة جاهزة. إنها صورة الرفيق أوغيلفي الذي مات مؤخراً في ميدان المعركة وسط أجواء ملحمية. وما أكثر المناسبات التي كان الأخ الكبير يكرس فيها خطابه اليومي لإحياء ذكرى أحد أعضاء الحزب عديمي الذكر المتواضعين ليجعل من حياتهم ومماتهم مثالاً يحتذى به. واليوم يجب الإشادة أطرق ونستون لحظة ثم جذب جهاز التسجيل باتجاهه وشرع يملي بأسلوب الأخ الكبير المألوف: وهو أسلوب عسكري ومتحذلق في آن. موه فل-ماوم8

وبسبب لجوثه لحيلة طرح الأسئلة ثم تقديم الأجوبة الفورية عليها بنفسهء (مثل أتدرون أي الدروس يمكن أن نستخلصها أيها الرفاق؟ إن الدرسوالذي يكوّن أحد مبادىء الاشتراكية الإنجليزية- هو)» فقد كان من الشهل تقليده: ا فى الثالثة من عمره ترك الرفيق أوغيلفى كافة لعب الأطفال ما عدا الطيلة والرشاقن وتمواع لطوافة: ,وفي السنادسةة اويل مانم الله إذا تركنا جانبا بعض قواعد الحساب. التحق بمنظمة الجواسيس» وفي التاسعة أصبح قائد مجموعة. أما في الحادية عشرة فقد وشى بعمّه إلى شرطة الفكر بعدما استرق السمع لحديث كان يبدو أنه يتضمن ميولا إجرامية . وفي السابعة عشرة أصبح منظم مقاطعة في رابطة مناهضة الجنس» وفي التاسعة عشرة صمم القنبلة اليدوية التي كانت تتبنى مشروعها وزارة السلام» والتي تسببت أولى تجاربها في مصرع واحد وثلاثين أسيراً من أوراسيا عند تفجيرها. وفي الثالثة والعشرين قضى نحبه وهوايودئ الؤاجب فييها كانت تلاحقة طائرات كقاتة معادية أكناءتكليقه بطوافته فوق المحيط الهندي حاملاً وثائق هامة أثقل جسمه بالرشاش وقفز من طوافته إلى أعماق المياه مع ما كان يحمله من وثائق. إنها نهاية بطوليّة نموذجيّة» حسبما يقول الأخ الكبيرء لا يمكن أن يفكر فيها المرء إلا وتثير لديه مشاعر الحسد. بعدئذ أضاف الأخ الكبير بضع ملاحظات عن الطهر والإخلاص اللذين تمتع بهما الرفيق أوغيلفي في حياته. فقد كان لا يقرب الخمر ولا يدخن السجائرء ولا يلتمس الراحة من عمله إلا ساعة واحدة في اليوم يمارس فيها الرياضة» فضلاً عن أنه نذر نفسه للعزوبة معتقداً أن الزواج ورعاية الأسرة لا يناسبان شخصاً مثله؛ لقد وهب نفسه للواجب أربعاً وعشرين ساعة في اليوم. ولم يكن له حديث إلا الحديث حول مبادئ الاشتراكية الانجليزية» ولا هدف له فى الحياة إلا إلحاق الهزيمة بالعدو الأوراسي وتعقب الجواسيس والمخريين ومجرمي الفكر والخونة بشكل عام. 56 80015-01

فكر ونستون في نفسه ما إذا كان سيمنح أوغيلفي وسام الاستحقاق» ولكنه ات د اق مراجعة سجلات هو في غنى عنها. ومرة ثانية رفع ناظريه صوب منافسه فى الحجرة المقابلة» وكان ثمة شىء فى نفسه يقول له إن تيلوتسون منهمك في العمل ذاته الذي يؤديه هو. لكن لم يكن ثمة طريقة لمعرفة أيّ عمل سيتم تبنّيهِ في النهاية» غير أنه كانت لديه قناعة راسخة بأن عمله هو الذي سيتم اعتماده. فالرفيق أوغيلفي» الذي كان منذ ساعة لا يرد حتى على خيال؛ أصبح حقيقة راسخة الآن. وفكر ونستون كيف أنه يمكنك أن تبعث الحياة في موتى دون أن يمكنك ذلك مع الأحياء. فالرفيق أوغيلفي» الذي لم يسبق أن كان له وجود في الحاضرء أصبح الآن موجوداً في الماضي» وحينما ينسى الناس عملية التزوير ويطويها النسيان» فلسوف يصبح وجوده يضاهي وجوه كن عارلبان أو يوليوس قيصر في صحته وثبوته. 57 010-80015

الفصل الخامس في قاعة الطعام ذات السقف المنخفض.» تحت سطح الأرض» كان الصف يتحرك ببطء. فالقاعة كانت تغص بمن فيها والضجيج يصم الآذان. ومن فوق قضبان طاولة توزيع طعام الغداء كانت أبخرة الطعام المسلوق تتصاعد بقوة» مصحوبة برائحة حمضية لاذعة» مع ذلك لم تتغلب على رائحة خمر النصر. وفي الجانب الأقصى من القاعة كان هنالك ثقب صغير في الحائط حيث يستطيع المرء شراء قدح مترع بالخمر مقابل عشرة سنتات . «ها هو الرجل الذي كنت أبحث عنه؛ صاح صوت يأتي من خلف ونستون. استدار ونستون وإذا به يجد صديقه القديم سايم الذي يعمل في دائرة البحوث . (ربما كانت كلمة «صديق» ليست بالكلمة الدقيقة تماماء ففي هاتيك الأيام لم يكن للمرء أصدقاءء بل رفاق. غير أنه كان من بين الرفاق مَنْ رفقته ألطف من رفقة غيره). كان سايم لغوياً اختصاصياً في اللغة الجديدة. إنه بالفعل أحد أعضاء فريق ضخم من خبراء يعكفون الآن على جمع وتصنيف الطبعة الحادية عشرة من قاموس اللغة الجديدة. كان سايم مخلوقاً ضئيل الجسم. أصغر حجماً من ونستون» ذا شعر أسود وعينين واسعتين جاحظتين عليهما مسحة من الحزن المفعم بالسخرية» تبدوان كأنهما تتفحصان وجهك أثناء حديثه إليك. 58 80015-01

ابتدره سايم قائلاً: «كنت أود أن أسألك ما إذا كان لديك شفرات حلاقة» .
دولا واحدةة قال ونستون بشيء من العجالة والشعور بالذنب» «لقّد بحثت في كل مكان» لكنها لم تعد موجودة الآن. كان الجميع لا يكفون عن السؤال عن شفرات الحلاقة» وكان ونستون في حقيقة الأمر لديه شفرتان لم يستعملهما بعد غير أنه يدخرهما لوقت تمس فيه الحاجة. كان ثمة نقص حاد فى الشفرات منذ أشهر مضت. فدائماً كان هنالك سلعة من السلع الضروية التي لم تعد متاجر الحزب تزوّد المواطنين بها. تارة تكون الأزرار» وتارة خيطان الصوف الخاص برتق الملابس» وأخرى رباطات الأحذية» أما الآن فهى شفرات الحلاقة التي لا يمكنك العثور عليها إلا باستجدائها بصورة شبه وأضاف وتسعون كائباً: «إثنى استعمل الشفرة نفلها مدل :سعة أسابيع» .
تحرك الصف مرة أخرى للأمام. وعندما توقف التفت ونستون إلى سايم ثانية. تناول كل منهما صينية معدنية سطحها لزج من أثر الشحوم» من كومة صينيات على حافة الطاولة. بادر سايم بالسؤال: «هل ذهبت ورأيت السجناء وهم يشنقون البارحة؟» قال ونستون بشيء من اللامبالاة: «كنت في العمل» الأرجح أني سأشاهدهم على الشاشة.؛
فردّ سايم: «إن ذلك لا يغني أبداً» وكانت عيناه الساخرتان تحدقان بوجه ونستون وكأنهما تقولان له: «أنا أعرفك؛ وأرى ما في داخلك, وأعرف جيداً لماذا لم تذهب لمشاهدة السجناء يشنقون.» على المستوى الفكري» كان سايم شديد رم 1 لوممم

الولاء لأيديولوجية الحزب, إذ تراه يتكلم بشماتة وبابتهاج كريهين عن غارات شنّتها الطوافات على قرى العدو وعن المحاكمات والاعترافات التى أدلى بها مجرمو الفكرء وعن الإعدامات التى تنفّذ داخل زنزانات وزارة المحبة. أما إذا أردت أن تتكلم إليه» فإن ذلك يتوقف على مدى قدرتك على الانتقال بالحوار لموضوع آخر لإبعاده عن مثل هذه المواضيع واستدراجه؛ إذا أمكن ذلك؛ للحديث عن جماليات اللغة الجديدة التي كان مولعاً بها وبارعاً فيها. أشاح ونستون بوجهه جانباً ليتحاشى النظرة الفاحصة لعيني سايم الواسعتين السوداوين. قال سايم معقّباً: «كانت عملية شنق جيدة» غير أنهم على ما أعتقد أفسدوها بربط القدمين معاً كنت أحب أن أراهم وهم يرفسون بها. لكن اللحظة الأكثر إثارة كانت تأتى فى النهاية» وذلك حينما يتدلى اللسان إلى الخارج وقد أصبح داكن ارق إن تلك اللحظة هي التي تحوز إعجابي . " «التالي من فضلكم» صاح العامل ذو المريلة البيضاء وبيده مغرفة. دفع كل من ونستون وسايم بصينيته تحت القضبان» فوضع لكل منهما بسرعة الوجبة المقررة: قصعة معدنية من طعام مسلوق ذي لون قرمزي رمادي» وكسرة من الخبزء ومكعب من الجبن» وفنجان من قهوة النصر الخالية من الحليب» وقطعة سكر واحدة. قال سايم : «هنالك طاولة شاغرة تحت شاشة الرصدء لنأخذ في طريقنا إليها قدحين من الخمر' كانت الخمر تقدم لهم في أقداح من الصيني بلا مقابض. وشقا طريقهما عبر القاعة الغاصة بالناس» ثم وضع كل منهما صينيته على الطاولة ذات الغطاء المعدنى» والتى كانت تغطى إحدى زواياها مستئقعات صغيرة من حساء خلّقه بعضهم» بدإزوكانه طعام تقياه تحن ما. أخذ ونستون قدحه من الخمر» وبعد أن توقف لحظة ليستجمع قواه تجرع تلك المادة ذات الطعم الزيتي جرعة واحدة. وعندما نفرت الدموع 1

من عينيه» أحس فجأة أنه كان جائعاً. فأخذ يزدرد الحساء الذي كانت تخالطه مواد لزجة على هيئة مكعبات هلامية ذات لون وردي ربيما كانت ينطق بكلمة. ومن الطاولة الواقعة إلى اليسار من ونستون» وراء ظهره صوت بطقء تخترق صخب القاعة كلها. سأل ونستون بصوت عال ليتغلب على جلبة المكان: «أين وصلت قال سايم: «إنني أتقدم ببطء. إنني في باب النعوت. إنه عمل جذَّاب.» وتألق وجهه مباشرة لدى ذكر اللغة الجديدة» فأزاح القصعة جانباً وتناول كسرة خبز بيد وباليد الأخرى قطعة جبن» وانحنى برأسه على الطاولة حتى يتسنى له الحديث بصوت منخفض . وقال: «الطبعة الحادية عشرة هي طبعة نهائية؛ إننا نصوغ اللغة في شكلها النهائي؛ ذلك الشكل الذي لن يجري حديث بغيره. عندما نفرغ منه) فإنه لحم سيتحتم على الآخرين من أمثالك أن يتعلموا من جديد مرة حك عن م م ا ا العلات روه درل لزه . إننا -نسلخ- اللغة حتى العظام. فالطبعة الحادية عشرة لخ سحتوى على كلمد واد يمكن أن يطل استخدامها قبل عام 2.2050 ثم أخذ يقضم قطعة الخبز ويبتلعها بنهم» وواصل الحديث بشيء من الحذلقة» وقد بدا وجهه الأسمر الرقيق مفعما بالحيوية» وقد زالت النظرة الساخرة من عينيه» وحل مكانها هدوء حالم . وأضاف بعد تفكير: «إن تدمير الكلمات شيء جميل . بالطبع فإن 61 01-80015

نسبة الفقد الأكبر تكون فى الأفعال والنعوتء إلا أن هناك الكثير من الأسماء التي يمكن التخلص منها أيضاًء إضافة إلى المترادفات والأضداد. ترى ما هو مبرر وجود كلمة هي مجرد نقيض لأخرى؟ فكل كلمة تحمل نقيضها فى نفسها. خذ مثلا كلمة «جيد» إذا كان لديك كلمة مثل (جيدكء فاه الساجة إذن إلى كلمة مثل «رديء»؟ إن كلمة «(غير د مودي المعتى تماما ذل إنها أفغير: لأنيا تحمل المغتي المتفاد تماماء بينما لا تؤديه الأخرى بالتمام نفسه. ثم أيضاً إذا أردت تعبيرا أقوى لكلمة «جيد».ء ما فائدة أن يكون لديك كل هذه السلسلة من الكلمات الغامضة غير المجدية مثل «ممتاز» و«رائع» وما شاكلها؟ ألا تغطي كلمة اجيد جداً) المعنى» أو كلمة «جيد جداً جداً» إذا كنت ترغب في معنى أقوى. من المؤكد أننا نستعمل هذه الصيغ ولكن في الطبعة النهائية من قاموس اللغة الجديدة سوف لن تكون موجودة. وفي النهاية سيكون هويا للجودة وال ذاه مسكويا كله بت كلمات حيبي - أو في الواقع بكلمة واحدة. ألا ترى ذلك أمراً رائعاً يا ونستون؟ لقد كانت الفكرة في الأصل من بنات أفكار الأخ الكبير». لاح شيء من الحماس المفتعل على وجه ونستون لدي سماعه ذكر الأخ الكبيرء إلا أن سايم استطاع رغم ذلك أن يتبين على الفور فتوراً في هذا الحماس, وأردف قائلاً وعلى وجهه علائم الأسف: «يبدو أنك لا تقدر اللغة الجديدة حق قدرها يا ونستون. حتى عندما تكتبها فإن تفكيرك يظل محكوماً باللغة القديمة. إنني أقرأ تلك الفقرات التي تكتبها من حين لآخر في «التايمز». إنها جيدة نوعاً ما غير أنها تظل أشبه بالترجمة. إنك فى داخلك'تميل: إلى أتتخدام اللغة القديمة وهم كل ما تمدملة من غموض وظلال المعانى غير المجدية. أنت لا تدرك روعة تدمير الكلمات. هل تقرف أن للق الجديدة هي اللغة الوحيدة في العالم التي تتناقص مفرداتها عاماً بعد عام؟» 62 80015-01

كان ونستون يعرف ذلك بالتأكيد. فابتسم ولم يعلّق» آملا الحصول على بعض التعاطف. وخوف أن يخونه لسانه. قضم سايم كسرة أخرى من الخبز الأسمر ثم ابتلعها سريعاً وتابع قائلاً: «ألا ترى أن الغاية النهائية للغة الجديدة هي التضييق من آفاق التفكير؟ بحيث تصبح جريمة الفكر في نهاية المطاف جرما مستحيل الوقوع من الناحية النظرية» وذلك لأنه لن توجد كلمات يمكن للمرء من خلالها أن يرتكب هذه الجريمة. فكل مفهوم يحتاج إليه الناس سيتم التعبير عنه بكلمة واحدة محددة المعنى وغير قابلة للتأويل» أما معانيها الفرعية فيتم طمسها حتى تصبح طي النسيان. إننا في الطبعة الحادية عشرة لن نكون بعيدين عن هذا الهدف. ولكن تلك العملية ستستمر على هذا المنوال إلى أمد حتى بعد رحيلنا أنا وأنت عن هذا العالم. فالكلمات تتناقص عاما بعد عام» كما يتضاءل مدى الوعي والإدراك شيئا فشيئا. بل وحتى في الوقت الراهن ليس هنالك سبب أو عذر يبرر اقتراف جريمة الفكر. لقد باتت المسألة مجرد انضباط ذاتي وضبط يفرضه المرء على واقعه. وفي النهاية لن تكون هنالك حاجة حتى لذلك. ستبلغ الثورة أوجها حينما تكتمل اللغة ويتم إتقانها. إن الانجسوك هي اللغة الجديدة واللغة الجديدة هي الانجسوك . قال هذه العبارة وهو في غاية النشوة» ثم أردف: «هل خطر لك أبداً يا ونستون أنه مع حلول عام 2050 على أقصى حدء لن يتبقى على وجه الأرض إنسان يمكنه فهم حديث كهذا الذي نتبادله معاً الآن؟؛ وعلق ونستون قائلا: «ولكن دعنا نستثني . . .2 قالها مرتابا ولم يكملها. لقد كان على وشك القول: «نستثنى عامة الناس» لكنه تدارك نفسه حينما استشعر أن هذه الملحوظة قد تُؤول بطريقة ما باعتبارها نقصاً في الولاء لديه. ولكن سايم مع ذلك قد استشف ما كان يهمّ بقوله. وقال غير عابئ: ١ إن أبناء عامّة الناس ليسوا بشراً. لكن مع حلول 63 80015-010

عام 2050 أو ربما قبل ذلك» سوف تكون المعرفة الحقيقية باللغة القديمة قد تلاشتء. وسيكون كل التراث الأدبي القديم قد اندثر. وأما أعمال تشوسر وشكسبير وملتون وبايرون فلن يكون لها وجود إلا عبر تراجم اللغة الجديدة» ولن يقف التغيير الذي سيلحق بها عند مجرد جعلها تختلف عما كانت عليه» بل ستتحول إلى نقيض ما اعتاده الناس. وحتى أدبيات الحزب ستتغير» وشعاراته ستتبدل. إذ كيف يمكن أن تتبنى شعارا مثل «الحرية هي العبودية» فيما يكون مفهوم الحرية نفسه قد جرى نسفه؟ إن المناخ الفكري سيكون كله قد تغير. وفي الحقيقة لن يكون هنالك «تفكير» على النحو الذي نفهمه الآنء فالولاء يعني انعدام التفكير»ء بل انعدام الحاجة للتفكير. الولاء هو عدم الوعي.» وفجأة وبقناعة راسخة فكر ونستون أن سايم لا بد وستتم تصفيته يوماً ما. إنه متوقد الذكاء. إنه يرى ببصيرة نافذة ويتحدث بصراحة شديدة. والحزب لا يرغب في وجود مثل هؤلاء. يوماً ما سيختفي من الوجودء ذلك ما أراه مكتوبا على جبينه . بعدما أنهى ونستون ما كان بين يديه من خبز وجبن» استدار جانبا وهو على كرسيه ليحتسي قهوته. وعلى الطاولة الواقعة عن يساره ما زال الرجل ذو الصوت الصاخب يتكلم دون رادع أو وازع. وكانت تجلس إلى جواره فتاة شابة» ربما تكون سكرتيرته» وظهرها إلى ونستون. كانت تصغي إليه ويبدو عليها أنها توافقه بحماس على كل ما يقوله. وبين الفينة والأخرى كان ونستون يلتقط بعض ما تتلفظ به الفتاة من عبارات مثل «أعتقد أنك محق تماماء إنني أتفق معك كلية» كانت تقولها بصوت أنثوي سخيف وحيّ. لكن الصوت الآخر لم يتوقف عن الكلام ولو لحظة واحدة» حتى عندما كانت تتكلم الفتاة. كان ونستون يعرف هذا الرجل» لكنه لا يعرف عنه أكثر من أنه يشغل منصباً هاماً في دائرة الإثارة. كان يناهز الثلاثين من العمر»ء ذا رقبة قوية 20007 كثير الحركة . كان من عادته أن يلقي برأسه إلى الوراء قليلا وهو 64 01-80015

يتحدث . وبسبب الزاوية التى يأخذها أثناء جلسته كانت النظارتان تلتقطان الوا وتتكهاة كماع باتجاد وتوكتوة هما لله بر سين كا ليها مبعرد عدستين. ولكن المزعج في الأمر أنه كان من المستحيل تقريباً أن تميز عليه واجدة من بو ذلك السي.من الكلمات المتدكقة من همه ومرة واحدة فقط تمكن ونستون من التقاط جملة - «إبادة تامة ونهائية لغولدشتاين» - قيلت على نحو سريع جداً. وأما بقية كلامه فقد كان مجرد ضجيج وجعجعة. وبالرغم من أنك لم تكن تستطيع فعلياً أن تميز ما يقوله الرجل» فإنك لن تكون في ريب من طبيعته العامة. ربما كان يهاجم غولدشتاين ويطالب باتخاذ إجراءات أكثر صرامة ضد مجرمي الفكر والمخربين» وربما كان يندد بالفظائع التي ارتكبها الجيش الأوراسي» وربما كان يثني على الأخ الكبير أو المقاتلين الأبطال على جبهة مالابار» إذ ليس هنالك من فرق. وأيا كان حديثه» فإن ما يمكن أن تكون على يقين منه هو أن كل كلمة من حديثه كانت تنبع من ولاء خالص لمبادئ الانجسوك الصحيحة. وفيما كان ونستون يراقب ذلك الوجه الخالي من العينين» والفكين المتحركين إلى أسفل وأعلى» أحس ونستون شعوراً غريباً وهو أن هذا الذي يراه ليس إنساناً حقيقياً وإنما نوع من الدمية؛ إذ لم يكن عقله هو الذي يتكلم» بل حنجرته» ولم يكن ما ينطق به حديثاً بالمعنى الحقيقي» بل ألفاظاً معزولة وصخباً يصدر عن حالة من اللاوعي وأشبه يونت ركلة: خيم الصمت على سايم لحظة من الزمن» وبملعقته كان يتتبع البقايا الموجودة في طبقى الحساءء فيما واصل الصوت القادم من الطاولة الأخرى الجعجعة بسرعة وكان يسمعه ونستون بسهولة رغم كل الضجيج الذي تعج به القاعة. وهنا تدخل ونستون قائلاً: «هناك كلمة فى اللغة الجديدة لا أدري ما إذا كنت تعرفهاء إنها «يوقوق» أي يجعجع مثل البطة. إنها واحدة من هاتيك الكلمات المثيرة التي تحمل معنيين متناقضين» فإن نعتّ بها 65 80015-01

خصماً فهي سباب» وإن نعتٌ بها شخصاً تتوافق معه فهي ثناء.» وجال في خاطر ونستون مرة ثانية أن سايم ستتم تصفيته. خامرته هذه الفكرة وشعر بالحزن مع أنه كان يعرف أن سايم يزدريه ويكرهه نوعا ماء ولديه القدرة على الوشاية به بتهمة «جريمة فكر» إذا رأى دافعا لذلك. كان لدى سايم بعض المثالب. لقد كان يفتقر لخصال الحذر والتحفظ ويفتقر أيضا إلى بعض الغباء الذي يحفظ حياة صاحبه. ولا يمكنك القول بأن سايم لم يكن صادق الولاء. فقد كان يؤمن بمبادئ الانجسوكء ويبججل الأخ الكبيرء ويهلل للانتصارات» ويكره المنشقين عن الحزب» ليس بإخلاص عادي فحسب بل بحماس شديد؛ وكان يحرص على الاطلاع على أحدث المعلومات التي لم يكن عضو الحزب العادي يلتفت إليها. بيد أن سمعته كانت تحوم حولها الشكوك؛ فقد كان يقول أشياء يَحسُن به ألا يقولهاء وقرأ كتباً كثيرة للغاية» وكان يرتاد مقهى شجرة الكستناء؛. منتدى الرسامين والموسيقيين. لم يكن ثمة قانون مكتوب أو حتى غير مكتوب يحظر التردد على هذا المقهى» ومع ذلك كان مكاناً لا يستساغ الذهاب إليه. لقد كان يلتقي فيه قادة الحزب القدامى الذين تم تشويه سيرتهم قبل أن تتم تصفيتهم أخيراً. ويقال إن غولدشتاين نفسه كان يُرى هناك منذ سنين أو عقود. لم يكن التنبؤ بالمصير الذي سيؤول إليه سايم أمراً صعباً. ومع ذلك كان من الثابت أن سايم لو لمح شيئاً عن طبيعة ما يضمره ونستون من آراء» فإنه لم يكن ليتردد لحظة عن الوشاية به إلى شرطة الفكر. وكذلك سيفعل أي شخص آخر في موقفهء لكن سايم كان أكثر حماساً للحزب» والحماس وحده لا يكفي» والولاء المطلق يعني انعدام الوعي . تطلع سايم وقال: «ها هو ذا بارصون قادما» وكان يبدو من لهجته وكأنه يود أن يضيف «الأحمق بارصون». كان بارصون» جار ونستون في بنايات النصر»ء يشق طريقه عبر القاعة. إنه رجل بدين» قصيرء متوسط الحجم ذو شعر أشقر ووجه كوجه الضفدعة. كان جسمه يحمل

المزيد 66 80015-01

من الشحوم في رقبته وخاصرته, إلا أنه ظلّ نشيطاً كصبيّ كثير الحركة.
مظهره كله عبارة عن مظهر فتى صغير نما بسرعة وكبر بحيث إنه رغم ارتدائه زي العمل المعتاد ما كان بوسعك أن تفكر فيه إلا وكأنه يرتدي السروال الأزرق والقميص الرمادي ورباط العنق الأحمر كأحد أعضاء الحا الجراسيين.. ولدى روحة يرق الشرء دائماًاضؤزة ركفيق يحوفين وكُتيق يتدذليان من 'تاعدين قصدرين عبناتيق . كان بارضوث يخود لارتذاء السروال القصير دائماً كلما خرج في نزهة جماعية أو أي أنشطة بدنية أخرى تبرر له ذلك. تقدم نحوهما وحياهما مبتهجا ثم جلس إلى الطاولة تفوح منه رائحة عرق كثيفة. وتغطي وجهه القرمزي حبات من الرطوبة. . في «المركز الاجتماعي» كان بوسعك أن تخمن أن بارصون يلعب كرة تنس الطاولة بمجرد إمساكك بيد المضرب التي رطبها عرقه. أخرج سايم من جيبه ورقة تحوي قائمة طويلة من الكلمات التي يدققها وقلمه الجاف بين إصبعيه. وقد علق بارصون على ذلك غامزاً ونستون: «انظر إليه» إنه يدرس حتى في استراحة الغداء» أي حرص هذا ؟ ماذا هناك أيها الصبي العجوز؟ شيء ما يصعب علىّ فهمهء على ما أعتقد؛. ثم قال لونستون: «أيها الصبي العجوزء هل تدري لماذا ألاحقك؟ إنه التبرع الذي نسيت أن تعطيني إياه.) ور عليه لفون سانا : «لأي شيء هذا التبرّع؟» قالها وهو يتحسس ما لديه من مال في جيبه . إذ إن ربع الراتب يجب اقتطاعه لسداد التبرّعات التي يعجز المرء عن إحصائها. فأجابه بارصون: «تبرّع «لأسبوع الكراهية». لعلك سمعت بصندوق البيوت» إننى أمين صندوق بنايتنا. 0 بن أجل إقامة مركنِ شاك أود أن تعلم أنه لن يكون خطني إذا لم تظهر بنايات النصر بالمظهر اللائق ولم يُعلّق عليها أكبر عدد من الأعلام في الشارع كله من فضلك دولارين.» 67 80015-01

رسو ال ل ل ل 0 جه منت إلا وأردف قائلاً: «بالمناسبة أيها الصبى العجوزء لقد علمت أن ولدي المشاغب قد قذفك أمس بمقلاعه الصغير؛ لقد عنّفته وعاقبته على تلك الفعلة» وأكدت له أنني سأصادر المقلاع منه إذا عاد لمثل ذلك.» قال ونستون: «لأظن أنه كان مستاءً لعدم ذهابه لمشاهدة حفلة الشنق . 4 من روح عالية» أليس كذلك؟ يا لهم من صغار ملاعين» لكنها قوة فعلت ابنتي الصغيرة السبت الماضي حينما خرجت في رحلة مع وانسللن عن مجموعتهن وأمضين كل فترة الظهيرة في تعقب رجل غريب. لقد ظللن يقتفين آثاره لساعتين عبر الغابة» وعندما وصلن إلى قرية «أميرشم» سلّمنه لإحدى الدوريات.» سأل ونستون مشدوها: «ولكن ما الذي دعاهن لذلك؟؟ فتابع بارصون حديثه معتزاً وقد أخخذته النشوة: «لقد تحققت ابنتى من أنه عميل للأعداء ربما أنزلته طوافة. والنقطة اللافتة للانتباه أيها الصبي العجوز, هي ما الذي جعلها تشكك فيه من البداية؟ لقد لاحظت أنه يلبس نوعاً غرياتمن الالتسليةه لم تر أسدا لبن مقلها عن قبل» ومن هنا جاء ظنها بأنه أجنبي . إنها ملاحظة ذكية من صغيرة مثلها في السابعة من عمرهاء أليس كذلك؟» قال ونستون: «وماذا حدث للرجل؟» «هذا ما لا أعرفه على وجه التأكيد» ولكننى لن استغرب إطلاقاً 68
01-80015

إذا. . .» وهنا أكمل بارصون بالإشارة جاعلاً أصابعه على شكل مسدّس» ثم
طقطق بلسانه مقلداً صوت الرصاص. «حسناً» علق ونستون دون أن يرفع نظره من
على الورقة التي بين يديه . ثم أكمل ونستون بنوع من الشعور بالواجب: «من المؤكد
أننا لا يمكننا الدخول في مخاطرات » قال بارصون: (إننا في حالة حرب». وكما لو أنه
تأكيد لحالة الحرب» انبعث نفير بوق من شاشة الرصد التي فوق رؤوسهم مباشرة» غير
أنه لم يكن إعلانا عن انتصار عسكري هذه المرة» بل مجرد بيان من وزارة الوفرة.
وصاح صوت شبابي متحمس : (أيها الرفاق» انتبهواء وردتنا أنباء رائعة لكم. لقد
انتصرنا في معركة الإنتاج. فتقارير الإنتاج التي استكملت الآن لكافة السلع الاستهلاكية
تُظهر أن مستوى المعيشة قد ارتفع بما لا يقل عن 020 عما كان عليه في العام الماضي
. وقد عمّت أرجاء البلاد مسيرات عارمة وعفوية هذا الصباح في كل أوقيانياء حيث
انطلق العمال من مصانعهم ودوائر عملهم وساروا في الشوارع حاملين الرايات وهاتفين
بحياة الأخ الكبير امتناناً له على الحياة الجديدة السعيدة التي وهبهم إياها بفضل
قيادته الحكيمة. وفيما يلي بعض هذه الأرقام: المواد الغذائية. . .» | كانت عبارة
«الحياة الجديدة السعيدة» من العبارات التي تتردد كثيراء حيث باتت مؤخرا من
العبارات المحبذة لدى وزارة الوفرة. جلس بارصون» وقد شد انتباهه صوت البوق»
مصغياً وقد ارتسمت على وجهه علائم الجدية المشدوهة والسأم المتعالي. لم يستطع
متابعة الأرقام» لكنه كان يدرك أنها تبعث على الرضاء وأخرج من جيبه غليونا كبيراً
وسخاً كان محشواً حتى نصفه بالتبغ المفحّم؛ فمع تخفيض حصة الفرد من التبغ 69
01-80015

إلى مائة غرام في الأسبوع. بات من الصعب أن تملا غليونك حتى حافته.
أما ونستون فكان يدخن سيجارة النصر التي يمسكها بحذر في وضع أفقي لئلا يتناثر تبغها. والحصة الجديدة من السجائر لن يُشرع في توزيعها إلا صباح غدء وهو لم يعد لديه سوى أربع سجائر. في هذه اللحظة سد أذنيه عن الضجيج الآتي من بُعد وأرهف السمع إلى ما تذيعه شاشة الرصد عن مسيرات شكر للأخ الكبير على رفعه حصة الشوكولاتة إلى عشرين غراماً في الأسبوع. فحدّث نفسه: كيف ذلك؟ لم يكن قد مر سوى يوم واحد على نبأ تخفيضها إلى عشرين غراماً أسبوعياً! فهل يمكن أن يكون الناس قد تناسوا ذلك وابتلعوه في أربع وعشرين ساعة فقط؟ أجلء لقد تناسوا. لقد تناسى بارصون ذلك الكذب بسهولة وابتلعه بغباء الحيوان. أما ذلك المخلوق الذي لا عينين له والجالس إلى الطاولة الأخرى فقد ابتلعه بحماس وتعصب ورغبة متقدة في تعقب كل من تسول له نفسه أن يشير إلى أن الحصة كانت ثلاثين غراماً في الأسبوع الماضي لأجل الوشاية به وتصفيته. بل إن سايم نفسهء ولكن بطريقة أكثر تعقيداً تنطوي على شيء من التفكير المزدوج» ابتلعه هو أيضاً. فهل أنا الوحيد الذي ما زلت أحتفظ بذاكرتي؟ واصلت الإحصائيات الوهمية تدفقها من شاشة الرصد. فمقارنة بإحصائيات العام المنصرمء هنالك ازدياد في الغذاء والملابس والبيوت والأثاث وأوانى الطهى والوقود والسفن والطائرات والكتب والمواليد. ازدياة كن كل شويها عنا ارسي والجريية والجنون. وسنة بعد سنة ودقيقة بعد دقيقة »كان كل شيء .وكل إنسا آخذ في الصعود بشرعة مطردة .˙˙ على غرار ما فعل سايم قبل قليل» أمسك ونستون بملعقته وغمسها في المرق الأصفر ثم رفعها إلى فمه راسماً خطاً طويلاً من المرق على الطاولة. وتمعّن باستياء فى الحياة التى يحياها. وتساءل أهكذا كانت الحياة دائماً؟ هل كان مذاق الطعام رديئاً كما هو الآن؟ وألقى نظرة حوله 80015-01

في المطعم فوجد قاعة مزدحمة» سقفها منخفض » وقد اكتست جدرانها بالسخام من أثر أيادٍ وأجسام لا تحصى» وامتلأت بكراس وطاولات معدنية مهشمة وُضعت بشكل متلاصق بحيث تتصادم أكواع الجالسين أثناء الطعام . كما رأى ملاعق مثنية وصواني منبعجة وأباريق خشنة تنبعث من الخمرة والقهوة الرديئتين ومن الملابس المتسخة. كان المرء يحس دائماً بأصوات احتجاج تنبعث من معدته ومن تحت جلده» ويشعر أله قد شلب .شيعا كان عن ححقه الحضول عليه : صحيح أنه لا يذكر أن الأحوال كانت تختلف عن ذلك كثيراًء فكل ما يمكنه تذكره بصورة واضحة هو أن النقص في الطعام كان دائماً. لم يكن يوجد جوارب أو ملاس داخلية ليست "مليئة بالرتوق: والأثاث كان دائماً مهشماً عتيقاًء والغرف بلا تدفئة» وقطارات الأنفاق مزدحمة» والبيوت متداعية آيلة للسقوط. لقد بات الخبز أسود اللون» والشاي نادر الوجود. والقهوة متعفنة الطعم. والسجائر غير كافية. ولم يكن من شيء وفير ورخيص سوى الخمرة المصنعة كيماوياً. ولئن كانت الأوضاع تسير من سيّئ إلى أسوأ مع تقدمه في السن» فهل كانت هنالك دلائل تشير إلى أن ذلك لم يكن الوضع الطبيعي للأمور؟ فإذا كان قلب المرء يتألم لوجود كل هذه المنغصات : شتاءات طويلة وقذارة جوارب» ومضاعك معظلة دائماء وماء بارد» وصابون خشن ».2 وسجائر تتفتت» وطعام رديء ذي مذاق غريب .. هل كان المرء يضيق ذرعا بتلك الأوضاع التي لا تطاق لو لم تكن لديه ذاكرة ما توحي إليه بأن الأمور كانت تختلف عما هي عليه الآن؟ ' ألقى نظرة أخرى حوله في المطعمء فبدا له أن كل الأشخاص كانوا وخلعوا الزي الأزرق المعهود. في الجانب الأبعد من القاعة كان رجل ضئيل الجسم مثير للاستغراب يشبه الخنفساء يجلس إلى طاولة بمفرده 71 80015-01

ويحتسي فنجاناً من القهوة وعيناه الصغيرتان ترسلان نظرات مرتابة من جهة لأخرى. وجال بخاطر ونستون لو أن النموذج الجسدي الذي حدده الحزب هو النموذج المثالي»؛ حيث يكون الفتيان يافعين ومفتولي العضلات» وتكون الفتيات العذارى مكتنزات الصدور وشقراوات الشعر ومفعمات بالحيوية وقد أكسبتهن الشمس سمرة وأصبحن متحررات من القلق. أما في الواقع وبقدر ما يستطيع أن يحكمء فإن غالبية الناس في القطاع الهوائي رقم واحد كانوا ضئيلي الأجسام وذوي بشرة سمراء وقبيحي الشكل. وكان مما يبعث على الاستغراب» الكيفية التي تمكن من خلالها ذلك النمط الخنفسائي الشكل من النفاذ إلى الوزارت: حيث ترى فيها رجالاً قصاراًء سماناً يسمنون في وقت مبكر جداء ذوي سيقان قصيرة وحركات سريعة زاحفة ووجوه ممتلئة وعيون صغيرة للغاية. إنه النمط الذي يزدهر بصورة أفضل في ظل هيمنة الحزب. اخّتم بيان وزارة الوفرة ببوق آخر وحلّت محله موسيقى خفيفة. وأخرج بارصونء وقد أثاره هول أرقام الإنجازات وحرك فيه حماسه الفاتر» أخرج غليونه من فمه. وقال وهو يهز رأسه هزة العارف: لامن الماكد أن وزارة الوفرة قد أبلت بلاه عستا هذه النبئة . بالمتاسية أيها الصبي العجوزء هل لديك شفرات حلاقة يمكنك أن تعطيني واحدة منها؟») أجاب ونستون: «لاء ولا واحدة» إنني أستعمل الشفرة نفسها منذ ستة أسابيع» آسف». وعاد من جديد ذلك الصوت المجعجع الآتي من الطاولة المجاورة بعدما كان توقف مؤقتا أثناء إذاعة بيان الوزارة. ولسبب ما وجد ونستون نمسه يفكر في مسز بارصون» بشعرها الملفوف وبالغبار الذي يتخلل تغضّنات وجهها. أظن أنه في غضون عامين سيشي بها أطفالها إلى شرطة الفكر. وبعدئذ سيتم تصفيتهاء كما ستتم تصفية سايم وونستون 72 80015-01

وأوبراين. أما بارصون فلن يحدث له شيء من ذلك أبداً. كما أن ذلك
المخلوق الذي بلا عينين صاحب الصوت المجعجع لن تتم تصفيته» وكذلك لن تتم
تصفية هؤلاء الرجال القصار شبيهي الخنافس الذين يتحركون داخل الردهات الملتوية
فى الوزارات . وأيضاً تلك الفتاة ذات الشعر الأسود التي تعمل في دائرة الإثارة» لن تنم
تصفيتها. بدا له أنه يعرف بالفطرة من سيبقى ومن سيفنى بالرغم من أنه لم يكن من
السهل التكهن بمن سيّقدر له البقاء . فى هذه اللحظة أفاق من تأملاته بهزة عنيفة .
فالفتاة الجالسة إلى الطاولة المجاورة التفتت نصف التفاتة وهي تتطلع إليه» وكانت
هي نفسها الفتاة ذات الشعر الأسود. كانت تنظر إليه بطرف عينيها ولكن بتركيز
مستغرب. وكلما التقت عيناها بعينيه كانت تحيد بطرفها عنه . أحسّ ونستون إذ ذاك
بالعرق يتصبب من عموده الفقري. وسرت في أوصاله نوبة فزع شديدة. ومع أن هذه
النوبة قد تلاشت سريعاًء لكنها خلّفت لديه شعوراً بعدم الارتياح . وتساءل» تُرى ما
الذي يجعلها تراقبه؟ ولماذا تتبعه إلى كل مكان؟ ولسوء حظه لم يستطع أن يتذكر ما
إذا كانت جالسة على هذا المقعد قبل مجيئه» أم أنها قد جاءت لاحقاً. ولكنها كانت»
بالأمس» تجلس وراءه مباشرة أثناء «دقيقة قيقتي الكراهية» بينما لم بك سه علعة
زاعلجة هوق ادافين الج جر انا إن عدفه الحقيقي هو الإصغاء إليه والتأكد من أنه
يهتف بصوت عال. وعاودته فكرته السابقة » فقد لا تكون عضواً فى شرطة الفكرء وفى
هذه الجالة من الموكة انها من الجراسيين وهم الأكيل خطرا على الإطلاق. لم يكن يعلم
منذ متى وهي تتطلع إليه» لكن لكن ربما كان ذلك لما يربو على الخمس دقائق. ومن
الممكن أن تكون قد فضحته ملامح وجهه. إنه لخطر جسيم أن تدع أفكارك تجري على
عواهنها حينما تكون في مكان عام أو ضمن مدى شاشة الرصد. فأهون الأشياء يمكن
أن تودي بك حتى لو كانت حركة عصبية صغيرة أو نظرة قلق لإرادية أو 80015-01

همهمة اعتادها المرء» أو أي شيء يوحي بنقص في الولاء. وفي كل الأحوال فإن ظهور تعبير انفعالي غير لائق على وجهك (كأن تبدو عليك علامات الارتياب حينما يتم الإعلان عن أحد الانتصارات) هو مخالفة تستوجب عقاباًء بل لقد اشتق لذلك اسم في اللغة الجديدة: جريمة الوجه. عادت الفتاة وأدارت له ظهرها. ففكر ربما أنها لم تكن تلاحقهء وربما كان جلوسها خلفه أو قريبا منه خلال هذين اليومين محض مصادفة . انطفأت سيجارته فوضعها بعناية على طرف الطاولة» لعله يعاود تدخينها بعد انتهاء العمل إذا لم يتنائر تبغها. قد يكون الشخص الجالس إلى الطاولة المجاورة جاسوسا لشرطة الفكر» وربما سيجد نفسه في غضون ثلاثة أيام نزيل إحدى زنزانات وزارة المحبة. 5253 السيجارة يجب ألا يذهب هدرا. طوى سايم شريط الورق ووضعه في جيبه بينما بدأ بارصون يتكلم ثانية. «هل سبق لي أن أخبرتك أيها الصبي العجوز»؛ قالها بارصون معضفا وهو يميبك يفليونه لعنا فغلة الصكيراة المقتاة» عه قانا بإشعال النار في تنورة بائعة عجوز في السوق عندما رأياها تلف بعض جد و ع ل اه ا ا مستخدمين علبة ثقاب. أعتقد أن التنورة قد تضررت كثيراً من ذلك . من هذين الشقيين» إنهما ممتلآن حماسة. لا شك أن التدريب 0 الذي يتلقونه في منظمة الجواسيس هذه الأيام» وهو أفضل من ذاك الذي كنا نتلقاه نحن في أيامنا. هل تعرف ما الذي تم تزويدهم به مؤخراً؟ سماعات بوقية للأذن يتنصتون بها من ثقوب مفاتيح الأبواب. لقد أحضرت ابنتي الصغيرة واحدة منها أمس وجربتها على باب غرفة الجلوس» ورأت أنها تستطيع بواسطتها أن تسترق السمع ضعفي ما تسترقه بوضع أذنها على ثقب المفتاح. من المؤكد أن ذلك مجرد لعبة. لكن ألا تظن أن ذلك سيوحي لهم بأفكار مناسبة؟ 714 80015-010

في هذه اللحظة أطلقت شاشة الرصد صفرة عالية إيذاناً بالعودة للعمل .
فهبّ الرجال الثلاثة من فورهم وانطلقوا يشقون طريقهم وسط الزحام الزاحف بحثا عن مصعد غير معطل؛ في حين كان ما تبقى من تبغ في سيجارة ونستون يتناثر على الأرض. مومه 565-ماهه8

الفصل السادس كتب ونستون في مذكراته : «كان ذلك منذ ثلاث سنوات مضت,. وكان الوقت مساء والظلام الات إحدى سحظات القطان الكبيرة: إلى ضوء قنديل ينبعث منه نور ضئيل» كانت عليه طلاء كثيف من النوع الذي يروقني في ارين لامعتينا ب نساء الدب كد له الشوارع انذاك خاوية من المارة ومن توقف ونستون قليلاء فقد صعْبٌ الكتابة . أطبق جفنيه وضغط عليهما باصابعه محاولا أن . فى مخيلته . وطغت عليه رغبة جامحة في ار صوته متفوهاً بكلام بذيء أو أن يضرب رأسه بالساقظلا» ويركل الطآولة ويلقي بالمحبرة خارج النافذة ... أو أن يأتي بأي عمل من شأنه أن يولّد عنفاً أو يُحدث ضوضاء أو يسبب آلماء غسي أن يطمين ذلك تلك الذكرى الى كانث تؤلمه. ٰ ثم أخذ يردد بينه وبين نفسه: «إن ألد أعدائك هو جهازك العصبي. وما يعتمل في نفسك من توتر قد يورّطك في عمل لا تحمد عقباه؟. تذكّر رجلا مر به في الشارع منذ أسابيع قليلة مضت. كان مظهره غادياً 76 01-80015

تماماًء عضو في الحزب يبلغ من العمر ما بين الخامسة والثلائين والأربعين»
طويل العامة كيموا وبحي ديا خرف ل بينهما سوى بضعة أمتار عندما رأى الجانب الأيسر لوجه الرجل ينقبض في تشنج فجائي. وتكرر ذلك ثانية عندما مر كل منهما بالآخر. كانت تلك الحركة عبارة عن رجفة أو ارتعاشة سريعة كطقة مصراع الكاميرا
وكان من الواضح أن تلك الحركة عادة عنده. ودار بخلده حينذاك أن ذلك الرجل المسكين قد انتهى أمره. فقد كان المخيف في الأمر أنه من لجار ها أن "عون فلك الشركة لكررادية .انا ةالاسي خطرا فير أن يتكلم أثناء نومهء إذ لم تكن هنالك من وسيلة للاحتراس من ذلك على حد علمه. استجمع شجاعته ثم عاد إلى الكتابة :
«مضيت معها عبر البوابة ثم اجتزنا الساحة الخلفية إلى مطبخ في قبو حيث كان هنالك سرير قرب الحائط وعلى الطاولة قنديل خفض نوره إلى أدنى درجة وهي . وصر بأسنانه ووة لو امتطاع أن ييصيق. وفي تلك اللحظة ذاتها وفيما هو مع المرأة ف في المطبخ خطرت على باله زوجته كاترين. فقد كان ا 0 أنه كان لا يزال متزوجاً فعلى حدّ علمه أن زوجته لم تكن قد ماتت بعد. وبدا أنه يستنشق ثانية الرائحة الساخنة المنبعثة من المطبخ؛ وهي رائحة تختلط برائحة البق والملابس القذرة والعطر الرخيص الرديء الذي مع ذلك كان مغرياً لأنه ما من امرأة في الحزب تستعمل عطراً على الاطلاق».
وحتى لم يكن ممكناً تصور أنها تفعل ذلك. بل كان ذلك التصرف مقتصراً على عامة الشعب . وكانت تلك الرائحة تستدعى فى ذهنه رغبة ممارسة الجنس دو أن يدرك لذلك سبباً. 0 كانت مجامعته لتلك المرأة هي زلته الأولى منذ سنتين أو يزيد. 77
01-80015

فبكل تأكيد كانت معاشرة المومسات أمراً محظوراً. ولكن ذلك كان من بين المحظورات التي يمكنك أن تستجمع شجاعتك لمخالفتها من حين لآخر. لقد كانت مسألة محفوفة بالأخطار لكنها ليست مسألة حياة أو موت. فإذا تم إلقاء القبض عليك مع إحداهن قد يحكم عليك بقضاء خمس سنوات في معتقل الأشغال الشاقة» لا أكثر من ذلك» إن لم يكن عليك جرم آخر. وليس ذلك بالأمر الصعبء شريطة ألا يتم القبض عليك متلبساً بالجرم المشهود. وكانت الأحياء الفقيرة تغص بالنساء اللواتى كنّ على استعداد لأن يبعن أنفسهن. فبعضهن يمكن شراؤه لقاء فينةامن الكمر الذق كاك حطر شريه على غانة الشعنء كان النعرت يميل لتشجيع الدعارة» ولكن بصورة غير معلنة» باعتبارها متنفساً لغرائز لا يمكن كبتها كلية. فالدعارة في حد ذاتها لم تكن تهم الحزب كثيراً ما ا اي 1 أي شعور حقيقي باللذة؛ أما الجريمة التي لا تُغتفر فهي ممارستها بين أعضاء الحزب. وبالرغم من أن المتهمين في حملات التطهير الكبرى 0 دون استثناء» على الاعتراف بهذا الجرم» فقد كان من الصعب تخيّل أن مثل هذا الأمر قد حدث فعلا. لم يكن هدف الحزب مجرد منع الرجال والنساء من تكوين ولاءات فيما بينهم» قد يتعذر السيطرة عليبيا. لق كان قد السا : غير المعلن هو تجريد العملية الجنسية من كل لذَّة. إذ ليس الحب هو العدو بقدر ما 0 سواء كانت في إطار الزواج أو خارجه. وكل الزيجات بين أعضاء الحزب كان يجبء لكي تتم » أن تحصل على موافقة لجنة تشكلت خصيصاً لهذا الفرض . وبالرغم من أنه لم يُنص صراحة على ذلك المبدأ أبداء فإن الإذن بالز واج كان يُحجب دائماً إذا ما أظهر الشخصان المعنيان أي ميول جنسية متبادلة فيما بينهما. فالغاية الوحيدة المعترف بها للزواج هي إنجاب الأطفال لخدمة الحزب. وكان يُنظر إلى العملية الجنسية على أنها عملية تافهة ة تدعو للاشمئزاز والتقزز» تماماً

كتعاطي حقنة شرجية. ولم يكن يُعَبّر عن ذلك بكلمات صريحة»ء وإنما بطريقة غير مباشرة حيث كان ذلك يغرس في كل عضو في الحزب منذ طفولته المبكرة. ولذلك أيضاً أَنَشِكَت منظمات مثل رابطة الشباب المناهض للغريزة الجنسية» التي كانت تدعو للعزوبة الكاملة لكلا الجنسين . فكل الأطفال يجب إنجابهم عبر التلقيح الصناعي (وتسمى هذه العملية في اللغة الجديدة أرتسيم) على أن يعهد بهم بعد ذلك لمعاهد عامة . كان ونستون يعي أن هذا لم يكن مقصودا بشكل جدي وكلي ولكنه يتماشى مع أيديولوجية الحزب الذي كان يحاول وأد الغريزة الجنسية» وإذا تعذر ذلك» فعلى الأقل تشويهها وتحقيرها. لم يكن ونستون يعلم لماذا كل ذلك» لكن كان يبدو أن ذلك طبيعي . فبقدر تعلق أي أمر بالنساءء فإن جهود الحزب كانت تحقق نجاحات كبيرة . مرة ثانية لمعت في ذاكرته كاترين. لابد أنه انقضت تسع أو عشر أو ربما إحدى عشرة سنة على انفصالهماء وعجب لنفسه كيف لا تخطر على باله إلا نادراً. بل إنه ولأيام متصلة كان يستطيع نسيان كونه متزوجاً بهاء فالحزب لم يكن يسمح بالطلاق وإن كان بدلا من ذلك يشجع الانفصال في حال عدم الإنجاب . كانت كاترين فتاة طويلة القامة ناعمة الشعر هيفاء القد رشيقة الحركة ذات وجه لا يتأثر بشيء وأنف معقوفء, كان وجهها يوحي بالغيل لأوّل وهلة؛ لكن إذا حدّقت فيه لا تجد شيئاً. بُعيد زواجه بها ومعرفتها عن قرب» أدرك أن عقلها هو الأكثر بلادة وجهلاً وتفاهة إلى حد لم يعرف له مثيلاً. فلم يكن في عقلها سوى الشعارات؛ ما من حماقة واحدة على الإطلاق ليست بقادرة على ابتلاعها ما دام الحزب هو الذي يقدمها . «الكاسيت البشري» هكذا كان يلقبها بينه وبين نفسه. ومع ذلك كان بمقدوره أن يتجشم العيش معها لولا علّة واحدة هي الجنس . كان يخيل إليه أنها تفزع منه ويتيبس جسدها كلما اقترب منهاء فإذا 09 80015-01

احتضنها فكأنما يحتضن تمثالاً خشبياً شد بمفاصل. والغريب أنه كان يشعر
وهي تشدّه إليها أنها تدفعه بعيداً عنها في الوقت نفسه بكل قوتهاء وكانت صلابة عضلاتها تساعد على نقل ذلك الانطباع إليه. وأخيراً تستلقي مغمضة العينين فلا تقاوم ولا تتجاوب بل تستسلمء وهو الأمر الذي كان في أوله مربكا له بشدة ثم تحول بعد فترة إلى شيء فظيع. لو أنها فضلت العزوف عن الجنسء» لكان ونستون رضي بنصيبه وتحمّل العيش معهاء لكن العجيب أن كاترين هي التي رفضت ذلك بنفسها متعللة بالرغبة في إنجاب طفل إذا استطاعا لذلك سبيلا. ومن ثم استمرت العملية تتكرر بانتظام مرة كل أسبوع كلما كان ذلك ممكناء كما أنها اعتادت أن تذكره بها في الصباح كشيء يتعين القيام به في المساء ولا يجوز نسيانه. وكانت تطلق على هذه العملية اسمين: أولهما «صناعة طفل» والثاني «واجبنا تجاه الحزب». وإنه لحقّ أنها استعملت هاتين العبارتين. وسرعان ما بات ينتابه شعور بالرعب الشديد كلما حان الوقت المضروب لذلك. لكن من حسن الحظ لم تثمر علاقتهما طفلاً ولذا فقد كفّت عن المحاولة» وسرعان ما انفصلا بعد ذلك. تنهد ونستون» وتناول قلمه مرة أخرى وراح يكتب: «وألقت بنفسها على الفراش» وفي الحال» وبدون أي نوع من المداعبات وبطريقة في منتهى اللامبالاة والخشونة رفعت تنورتها. وانا. .»6 ١ ووجد نفسه واقفاً هناك في ضوء المصباح الخافت وقد امتلأت خياشيمه برائحة البق والعطر الرخيص وفي قلبه شعور بالانهزام والنفورء ممزوجاً بالتفكير في جسد كاترين الأبيض الذي تجمد إلى الأبد تحت تأثير قرة الضدث العخويرنة .:.وتسادل 'لماؤا يفط إن ذللف؟ تياذا لا تكون لدائرأة تخصه يدلا من خلله التزؤات القدرة الكى متايه على فترات جاعدة؟ القد كان وجود علاقة ححي حتقيقية أمراً لآ يمن الطموح إليه إذ كانت نساء الحزب كلهن متشابهات. كانت العفة متجذرة فيهن 50 80015-01

تجذر ولائهن للحزب. فبفضل إعدادهن الباكر وممارستهن للرياضة واستعمالهن الماء البارد والتفاهات التى كانت تُحشى بها عقولهن فى التمذاوس رقي زابطة افعو ميض زرا بطة اتناك وو اليك وات والقروفن والأناقيق والتسارات رالمو سيقي الشكرية:ففيل 14 ذلك كان يُنتزّع منهن كل شعور طبيعي. كان عقله يخبره بأنه لا بد أن هناك استثناءات لذلك» ولكن قلبه لم يصدقه. إذ كن جميعاً محصنات مثلما أرادهن الحزب. وكانت غاية آماله أن يسقط حصن الفضيلة ولو لمرة واحدة في حياته. ولمًا كانت ممارسة العملية الجنسية على طبيعتها تعتبر عصياناً؛ فإن مجرد الرغبة الجنسية تصبح جريمة فكر. وحتى إذا أمكنه إيقاظ كاترين من سباتها العاطفي؛ لكان ذلك اعتبر إغواء لها رغم أنها زوجته. وإذا كان لا بد من كتابة القصة فقد أخذ القلم وكتب: ارفعت فتيلة القنديل لمزيد من النور. وعندما وقعت عيناي عليها في الضوء ...) بسبب الظلام المخيّم بدا ضوء المصباح الزيتي الضعيف كأنما ازداد توهجاً. وكانت تلك هي المرة الأولى التي يراها فيها بوضوح. تقدم نحوها خطوة ثم توقف وقد تملكته رغبة فيها يشوبها الرعب. إذ كان يدرك تماماً المجازفة التي أقدم عليها بمجيئه إلى هناء فمن الجائز تماماً أن يقبض عليه أثناء خروجهء وربما يكون رجال الدورية في انتظاره أمام الباب الآن. بل وربما هم بانتظاره خارج الباب في هذه اللحظة للقبض عليه حتى لو غادر المكان دون أن يقربها. لا بد من كتابة ما جرى» يجب الاعتراف به. اكتشف على ضوء المصباح أن المرأة كانت عجوزاً التصقت بوجهها طبقة سميكة من طلاء الزينة إلى حد بدا كأنه سينهار عند أول ملامسة كقناع كرتوني. كما كان الشيب قد خط شعرها. وعندما فغرت فاها قليلا لم يكشف إلا عن فراغ كفراغ الكهف يبعث على الخوف إذ كانت بلا أسنان. 61 80015-01

وأخذ يكتب بسرعة بخط غير منتظم : «وعندما رأيتها في ضوء القنديل
وجدتها عجوزاً لا يقل عمرها عن الخمسين» لكني مضيت قدما وباشرتها كالمعتاد. ؛)
وضغط بأصابعه على جفنيه ثانية. لقد أتم كتابة الحكاية أخيراً ولكن دونما أن يشعر
بأي فارق» فذلك العلاج يخلصه من تلك الرغبة الجامحة في الصياح بأعلى صوته
مطلقاً أقذر الكلمات. 862 80015-01

الفصل السابع وكتب ونستون: (إن كان هنالك من أمل» فالأمل يكمن فى عامة الشعب». لابد أن الأمل يكمن فى عامة الشعب» فمن هذه الكتلة البشرية التى لا يلتفت إليها والمهمشة وتمثل 85 بالحانة عن سعدا عشت ازتياتياء يمكن أن تنبعث القوة التي تدمر الحزب. لا يمكن إسقاط الحزب من داخله. فأعداؤف إن كان له أعداء امنا لا يمكنهم أن يجمعوا صفوفهم أو حتى أن يتعارفوا. وحتى إذا كانت أسطورة حركة «الأخوة» موجودة» وهو أمر جائزء فقد كان من غير المتصور أن يتمكن أعضاؤها من التجمع بأعداد تزيد على الاثنين أو الثلاثة. وأمر الانتفاضة يُعْرَف من نطرة: في الوك أن نبزة في الصوت أو .في الخالي كلم رون بها ين وقت لآخر. لذلك لو أمكن لعامة الشعب أن يدركوا مدى قوتهم لما كانت هناك حاجة للتآمرء فكل ما يحتاجه الأمر أن ينتفضوا مثلما ينتفض الحعاة لأزاخة"الذئات يعيدا غنة .ولو كتاءو الم قزرا وأخالوا اليفدرت هشيماً تذروه الرياح بين عشية وضحاها. ولا بد أن يخطر ذلك لهم إن عاجلاً أو آجلا؟ ومع ذلك ...! وتذكر كيف كان يسير ذات مرة في شارع مزدحم عندما انبعث صياح مدو لمئات الأصوات (أصوات نساء) من شارع جانبي على مقربة 863 01-80015

منه. لقد كانت صرخة غضب ويأس قوية وعميقة وعالية أخذت تدوي كأنها صدى أجراس تدق. وشعر بقلبه يئب من الفرح. لقد حانت اللحظة! هكذا ظنّ. إنه الهيجان! لقد انفكت عامة الشعب من عقالها أخيراً. وما إن وصل ذلك المكان حتى رأى حشداً من الغوغاء يبلغ عدده 000 أو الثلاثمائة امرأة وقد تجمهرن حول أكشاك سوق الشارع وبدت وجوههن ملتاعة كوجوه ركاب سفينة تغرق. غير أنه في هذه اللحظة استحال ذلك القنئوط الجماعى إلى مشاجرات فردية نشبت بين المتجمهرات. واتضح أن أحد هذه الأكشاك كان يبيع قدوراً من الصفيح ذات نوعية رديئة ورخيصة في حين كان من الصعب دائماً الحصول على أوعية للطهي من أي نوع. إذ كان المخزون منها قد نفد على نحو مفاجئ» فكانت بعض النسوة يحاولن الابتعاد بما فزن به من أوعية ويتعرضن للضرب والدفع أثناء ذلك» فيما راحت عشرات أخريات يصحن حول الكشك متهمات البائع بالتحيّز وبإخفاء الأوعية. ومن جديد تعالت الصيحات حينما ظهرت امرأتان منتفختان» إحداهما منسدلة الشعرء تمسكان بقدر واحدة وتتنازعان عليها وتحاول كل منهما تخليصه من يد الأخرى حتى انخلع مقبض القدر. كان ونستون يراقب المنظر باشمئزاز. وتعجب للحظة من تلك القوة المرعبة التي تبدت في تلك الصرخة التي انطلقت من بضع مئات من الحناجر! لماذا لا يصرخحن مثل هذه الصرخات من أجل شيء له قيمته؟ وهنا عاد إلى مذكراته ومضى يكتب: «لن يثوروا حتى يعوا ولن يعوا إلا بعد أن يثوروا.» وغلب غلن طن أنه لا يذ أن يكؤق ذلك ماعوذا مخ أحد كنت النصوص التي وضعها الحزب. كان الحزب يزعمء بالطبع» أنه حرر العامة من أغلال العبودية» نقبل الثورة كانوا يلاقون أبشع أنواع | الاضطهاد على أيدي الرأسماليين» كما يُضربون بالسياط ويتضورون جوعاً؛ وكانت 84 80015-01

النساء يُكرهن على العمل في مناجم الفحم (والحقيقة أن النساء ما زلن يعملن في مناجم الفحم)» وكان الأطفال يباعون إلى المصانع في سن السادسة. ولكن في الوقت نفسه ومما يتوافق مع ازدواجية التفكير» كان الحزب في أدبياته يؤكد على أن عامة الشعب طبقة وضيعة بالفطرة وأنه تحب يقاو مذعنين كالحيوانات. في الحقيقة كان ما يُعرف عن العامة قليل» ولم يكن ثمة ما يدعو لمعرفة المزيد عنهم. فما داموا يعملون ويتكائرون فتصرفاتهم الأخرى غير ذات أهمية» ولذلك فقد ترك لهم الحبل على الغارب كقطيع من الأبقار تُرِكَ طليقاً على مراعي الأرجنتين» يعيشون نمطا من الحياة يتناسب مع طبائعهم. كانوا يولدون ويكبرون في الأزقة الفقيرة ثم يذهبون إلى العمل في سن الثانية عشرة ويمرون مروراً عابرا في مرحلة تمثل ذروة الجمال والرغبة الجنسية» وبعدئذ يتزوجون في العشرين ويبلغون أواسط العمر في الثلاثين» ويموت معظمهم في الستين. كل ما يشغل بالهم العمل الجسدي الشاق ورعاية الأطفال والعناية بالمنزل والمشاجرات التافهة مع الجيران» ومشاهدة الأفلام ولعب الكرة واحتساء الجعة» وفوق كل ذلك كانت المقامرة تملأ أفق عقولهم. ومن ثم لم تكن السيطرة عليهم أمراً عسيراً؛ إذ يكفي أن تندس ثلة قليلة من عملاء شرطة الفكر بينهم» ينشرون الإشاعات المغرضة» حتى يتعرفوا على القلة منهم التي يُعتقد أنها مكمن الخطر فيستأصلون شأفتهم. ولم تسجل أية محاولة لغرس أيديولوجية الحزب فيهم؛ إذ لم يكن من المرغوب فيه أن يكون لدى عامة الشعب وعي سياسي قوي؛ فكل ما هو مطلوب منهم وطنية بدائية يمكن اللجوء إليها حينما يستلزم الأمرء إقناعهم بقبول ساعات عمل أطول أو حصص أقل من السلع التموينية . بل وحتى عندما كان ينتابهم شعور بالسخط. كما يحدث أحيانًء فإن سخطهم لم يكن ليفضي إلى شيء كونهم يعيشون بلا مبادئ عامة» ولذلك كانوا يركزون غضبهم على تظلمات خاصة وقليلة الأهمية. فالأخطار الكبرى لا : تسترعي انتباههم . وليس لدى الغالبية العظمى منهم

شاشات رصد في بيوتهم» بل وحتى الشرطة المدنية كانت قليلاً ما تتدخل في شؤونهم. لقد كانت لندن تغص بالجرائم» فكان فيها عالم كامل من اللصوص وقطاع الطرق ومحترفي الدعارة وتجار المخدرات والمحتالين من كل صنف ولون» ولكن لين لذلك أي امتجار ها :دام يجري بين عامة الشعب. وفي كافة المسائل الأخلاقية كان يُسْمَحٌ لهم أن يتبعوا تقاليد أسلافهم الموروثة. ولم يكن التزمت الحزبي فيما يخص الحياة الجنسية يفرض عليهم» والفحشاء كانت تمر دون عقاب والطلاق كان مسموحا به. ولذلك كان يسمح لهم بممارسة الشعائر الدينية وإذا ما أبدوا حاجة أو رغبة في ذلك فهم ليسوا موضع شك. وفي ذلك كان شعار الحزب يقول: «عامة الشعب والحيوانات أحرار». انحنى ونستون وحكّ دواليه بحذر بعدما شعر بأنها تؤلمه مرة ثانية. والشيء الذي كان يتردد في رأسه هو أنه من المستحيل معرفة الصورة الحقيقية للحياة قبل الثورة . وأخرج من الدرج نسخة من نصوص التاريخ الخاص بالأطفال والذي استعاره من مسز بارصون» وأخذ ينسخ قطعة منه إلى مذكراته : «في الأيام الغابرة قبل الثورة المباركة» لم تكن لندن جميلة كما نعرفها اليوم. لقد كانت مكاناً مظلماً قذراً بائساً لا يجد فيه المرء ما يسد رمقه» مئات بل ألوف من الفقراء يسيرون حفاة وبلا مأوى» وكان الأطفال الذين في مثل أعماركم يكرهون على العمل لاثنتي عشرة ساعة في اليوم لحساب سادة قساة يجلدونهم بالسياط إذا أبطأوا في عملهم ولا يطعمونهم إلا فتات الخبز والماء. ووسط ذلك الفقر المدقع» كانت هناك بضعة بيوت كبيرة ورائعة يسكنها رجال أثرياء لدى كل منهم ثلاثون خادماً على الأقل يقومون على خدمتهم. وهؤلاء كانوا يُسمون بالرأسماليين. وهم رجال سمان ذوو وجوه قبيحة كصورة أحدهم التي ترونها على الصفحة المقابلة. وباستطاعتك عزيزي الطفل أن تراه وهو يرتدي معطفاً طويلاً أسود اللون وقبعة غريبة لامعة تشبه مدخنة الموقد 86 80015-01

وكانت تسمى «القبعة العالية». ذلك هو الزي الرسمي للرأسماليين ولم يكن يسمح لأحد سواهم بلبسه. وكان هؤلاء يملكون كل شيء في العالم فيما كان الآخرون جميعاً عبيداً لهم. أجل كانوا يملكون الأراضي والمنازل والمصانع والأموال. وإذا ما خرج أحد عن طاعتهم فقد كان بمقدورهم أن يلقوا به في السجن أو يجردوه من وظيفته ليهلك جوعاً. وإذا ما رغب أي شخص عادي فى التحدث إلى رأسمالى كان عليه أن يجمع أطراف ثوبه وينحني ويخلع قبعته ويخاطبه بكلمة االسيدي؟ . وكان رئيس كل هؤلاء الرأسماليين يسمى الملك» و... .» وكان ونستون يعرف بقية ما يحتويه ذلك الكتاب . إذ فيه إشارة إلى الأساقفة في أرديتهم ذات الأكمام الواسعة» والقضاة في معاطفهم الفاخرة» وآلات التعذيب باختلاف أنواعها ومآدب السادة رؤساء البلديات» وعادة تقبيل أقدام البابا. وكان هنالك أيضاً ما يجب عدم ذكره في كتب الأطفال. إنه القانون الذي كان يعطي الحق لكل رأسمالي أن ينام مع أية امرأة تعمل في أحد مصانعه. كيف كان يمكنك أن تعرف مقدار ما فى ذلك من أكاذيب؟ فقد يكون الإنسان الحاقى دق أففيل يكلا الآنبنا كان عليه قبل الزرة. غير أن البرهان الوحيد على نقيض ذلك كان ذاك الاحتجاج الصامت الذي تشعر به في قرارة نفسك» فضلاً عن الشعور الغريزي بأن الأوضاع التي تعيشها لا تطاق وبأنها لا بد كانت في وقت سابق مغايرة لما هي عليه الآن. وفك ن أن مايمير هنا التحياة المصرية لم يكن قسرتها آز انعدام الطمأنينة» وإنما هو العري والانحطاط واللامبالاة. ولو أمعنت النظر فى ما حولك لتبين لك أن الحياة لا تشبه فى شيء تلك الأكاذيب المتدفقة من شاشات الرصدء ولا تلك المُثُل التى كان الحزب يسعى إلى إرسائها. وكانت هذه المُمُل في معظمهاء حتى لدى عضو الحزبء غير مؤثّرة ولا سياسية» يشهد على ذلك الانخراط فى 67 80015-01

أعمال حقيرة والتزاحم للحصول على موطئ قدم في قطار الأنفاق أو رتق جورب مهترئ أو تسوِّل قطعة سكر أو ادخار عقب سيجارة. أما المُثُل التي كان يرزّج لها في الحزب فقد كانت شيئاً ضخماً مخيفاً وبراقاً» وتُشعرك بأنك وسط عالم من الفولاذ والقوة» والآلات الضخمة والأسلحة المخيفة» وتوحي لك بأنك وسط أمة من المحاربين والمتخصيين الذين يعضوق قدماً كبتيان عرضوهن :ويفكرون تفكيراً واحداً متمائلاً ويهتفون بشعارات واحدة ويعملون بلا كلل ويقاتلون ويتتصرون ويعتدون» ويبلغ تعدادهم ثلاثمائة مليون من الأنفس ذوي الوجوه المتماثلة. أما الحقيقة فهي في المدن القذرة الكثيبة والآيلة للسقوطء يروح ويجيء فيها بشر جياعٌ» يعانون من سوء التغذية» بأحذية بالية وثياب مهلهلة» ويقطنون بيوتا متداعية تعود للقرن التاسع عشر تفوح منها رائحة الملفوف المسلوق ممزوجة بروائح قذرة. كان يبدو له أن ما يراه هو صورة للندنء» المدينة الكبيرة المتداعية ذات المليون سلة نفايات» تختلط بصورة السيدة بارصون ذات الوجه المغضن بالتجاعيد والشعر المنفوش وهي تحاول عبثاً فتح بالوعة مسدودة. انحنى صاحبنا وحكّ كاحله مرة أخرى. ثم سار مع أفكاره بين هذه الحياة البائسة وما يدعيه الحزب من أكاذيب . فليلاً نهاراً كانت شاشات الرصد تصم أذنيك بالإحصائيات التي تبرهن على أن الشعب اليوم لديه طعام أكثر وثياب أوفر وبيوت ووسائل راحة أفضل» وأنهم أصبحوا يعيشون أطول» ويعملون ساعات أقل» وأنهم أكبر وأصح وأقوى وأسعد وأذكى وأكثر ثقافة من أولئك الذين كانوا على قيد الحياة منذ خمسين سنة خلت. هذا ولم يكن من الممكن أبداً التدليل على صدق أو كذب كلمة واحدة من ذلك. فمثلاً كان الحزب يزعم أن 40 في المائة بين البالغين من عامة الشعب متعلمون أما قبل الثورة فقد كانت النسبة 15 في المائة فقط. ويزعم كذلك أن نسبة وفيات الأطفال بلغت 160 بالألف فقطء في 58 80015-01

حين كانت قبل الثورة 300 بالألف. وعلى هذا المنوال كانت الإحصاءات تجري شبيهة بمعادلة بسيطة مجهولة . فمن الجائز جداً أن تكون كل كلمة في كتب التاريخ؛ بل حتى الأمور التي يعتبرها المرء مسلّمات. هي محض خيال. وربما لم يكن هنالك أبداً ذلك القانون الذي يبيح للرأسمالي مجامعة أي امرأة تعمل فى مصانعه. أو مخلوق مثل الرأسمالي أو قبعة مثل قبعته العالية. كل شيء كان يلفّه الضباب» فالماضي امُّحى من الوجود وما تم محوه بات طى النسيان فصارت الكذبة حقيقة. مرة واحدة فى حياته عثر على دليل مادي لا يرقى إليه شك؛ على عملية تزييف وأمسك به بين أصابعه لثلاثين ثانية فقط. لابد أن ذلك كان في عام 3 . وعلى أية حال كان ذلك في الفترة التي انفصل فيها عن كاترين. ولكن التاريخ الحقيقي لتلك الحادثة كان أبكر بسبع أو ثماني سنوات. بدأت القصة فعلاً في منتصف الستينات إبان موجات التطهير الكبرى التى جرى فيها تصفية الزعماء الأصليين للثورة دفعة واحدة وإلى الأبد. ويحلول غام 1970 لم يكن قل تبقى متهم اد ما عدا الأخ الكبير. أما الباقون فقد وُصموا بالخيانة واعتبروا مناوثين للثورة. وفرٌ غولدشتاين إلى حيث لا يعرف أحدء فيما توزع الآخرون. قلة منهم اختفت» وأغلبية تم إعدامها بعد محاكمات علنية صورية اعترفوا خلالها بما نُسب إليهم من جرائم. وكان من ضمن من بقي على قيد الحياة ثلاثة رجال هم جونز وآرونسون وراذرفورد. وكان هؤلاء الثلاثة قد ألقي القبض عليهم عام 5 . وكما يحدث غالباًء فقد اختفوا لمدة سنة أو أكثرء لا يُعرف إن كانوا أحياء أم أموات» بعدئذ وعلى نحو مفاجئ جيء بهم ليجرّموا أنفسهم بالطريقة المعهودة؛ بحيث اعترفوا بالتجسس لصالح الأعداء (وفى ذلك الوقت كان العدو هو أوراسيا أيضا): وباختلاس المال العامء وبقتل العديد من أعضاء الحزب الخلّصء كما بتدبير الدسائس ضد زعامة الأخ الكبير للثورة» وذلك حتى قبل قيام الثورة؛ 89 80015-01

كذلك اعترفوا بعمليات تخريبية أفضت إلى مقتل مئات الألوف من الناس.
لكن وبعد اعترافهم بهذه الجرائم صدر أمر بالعفو عنهم وأعيدوا إلى الحزب ومُنحوا مناصب بألقاب رنّانة لكنها خاوية من الصلاحيات. وكتب ثلاثتهم مقالات مطولة وخسيسة يشرحون فيها الأسباب التي دفعتهم للانشقاق عن الحزب سابقاً وقطعوا العهود على إصلاح أنفسهم. وبعد فترة من إطلاق سراحهم رآهم ونستون بالفعل في مقهى شجرة الكستناء. وهو يذكر ذلك الشعور بالافتتان الممزوج بالخوف الذي انتابه وهو يراقبهم بطرف عينيه. كانوا يكبرونه سنا. بقايا من العالم القديم» وتقريباً آخر قادة الحزب العظماء الباقين من الأيام المجيدة الأولى للحزب . كان عبق النضال السري والحرب الأهلية ما زال عالقاً بهم على نحو خافت. انتابه شعور آنذاك» رغم أن التواريخ والحقائق في ذلك الوقت كانت عرضة للعبث بهاء بأنه سمع بأسمائهم قبل سنوات من سماعه بالأخ الكبير. لكنهم الآن خارجون على القانون وأعداء ومنبوذون ومحكوم عليهم بالزوال في غضون سنة أو سنتين. إذ لم يحدث أن سقط أحد في قبضة شرطة الفكر ثم كتبت له النجاة في النهاية» لقد كانوا جثثاً في انتظار من يعيدها إلى قبورها. لم يكن من الحكمة أن يرى أحد بجوار مثل هؤلاء الناس» لذلك خلت أقرب الموائد إليهم من رواد المقهى. وكانوا يجلسون وقد خيم عليهم السكون وأمامهم كؤوس الخمر المعطرة بالقرنفل التي يشتهر بها هذا المقهى. ومن بين الثلاثة كان راذرفورد وحده هو الذي ترك أثراً خاصاً في ونستون. فهذا الرجل كان رساماً كاريكاتورياً شهيراً في يوم من الأيام ألهبت رسومه الهزلية القاسية الرأي العام الشعبي قبل وأثناء الثورة. وحتى الآن؛ وعلى فترات متباعدة كانت صوره الهزلية تظهر في جريدة التايمزء مجرد محاكاة لأسلوبه الأول ولكنها عديمة الروح ولأثعك على الإقناع. فهي دائماً بمثابة اجترار لموضوعات قديمة وُضعت في 50 80015-01

قوالب جديدة» حيث يصور الأحياء الفقيرة والأطفال يتضورون جوعاًء
وشجار الشوارع» والرأسماليين ذوي القبعات العالية - حتى وهم في الشرفات كانوا
يتعلقون بقبعاتهم الأنيقة - في محاولة بائسة لا تنتهي للعودة إلى الماضي . كان
راذرفورد رجلا ضخم الجثة ذا غرّة من شعر دهني رمادي» ووجه منتفخ مجعّد
وشفتين سميكتين مكتنزتين. ويبدو أنه كان فى الماضى رجلا قوياً جداً أما الآن
فجسده الكبير يترهل ويتهدل في كل اتجاة: كان يبدو أند يضيط جيل بتداغى : ولم
يستطع ونستون أن يتذكر الآن كيف أتى إلى المقهى في مثل هذا الوقت إذ كانت
الساعة السادسة مساءء وكان المكان شبه خاو وثمة مويق ليف سات من شاقة
الرسهيبيا سلس الرجان البلاطة قن زاويتهم صامتين وبلا حراك. ودون أن يطلبوا شيئاً
من النادل» أحضر كؤوساً إضافية من الخمرء وعلى المائدة المجاورة رقعة شطرنج
صُفَّتَ عليها القطع دون أن يبتدئ أحد اللعب. وبعدئذ وربما لنصف دقيقة من الزمن»
طرأ تغير ما على الشاشة إذ تغير اللحن وتغيرت معه الموسيقى كان نينا تفنب ومقة .
كانت النغمة الجديدة نغمة ناهقة ا مزعجة. نغمة أسماها ونستون في عقله «نغمة
صفراء»» وبعد ذلك صدح صوت من الشاشة بما يلى: تحت شجرة الكستناء الوارفة
بعتك وبعتني وها هم يرقدون هناك ونحن نرقد هنا تحت شجرة الكستناء الوارفة لم
يحرك الرجال الثلاثة ساكناً. ولكن عندما تطلّع ونستون إلى وجه راذرفورد المحطم مرة
ثانية رأى عينيه وقد اغرورقتا بالدموع . ولاحظ وللهرة الأولى» ؛ وقد استولت عليه
رعشة داخلية لم يعرف مبعثهاء ٠ لاحظ أذ كل من ار ضموة وراذركوره كان ألقه مكمورا
01-80015 51 :

وبعد ذلك بوقت قليل ألقي القبض على ثلاثتهم من جديدء فقد ظهر أنهم كانوا قد انخرطوا في مؤامرات جديدة بعدما أطلق سراحهم»ء واعترفوا أثناء محاكمتهم الثانية بجميع جرائمهم القديمة مرة أخرى إضافة إلى سلسلة من الجرائم الجديدة» ثم أعدموا وجرى تسجيل ما أنزل بهم من عقاب في تاريخيات الحزب ليكونوا عبرة للأجيال القادمة. وبعد خمس سنوات من ذلك التاريخ أي في عام 73.» كان ولسفوث يقلت ملف مستندات» كان الأنبوب الهوائى قد قذف به إليه» فعثر على قصاصة ورق كان من الواضح أنها انزلقت بين الأوراق الأخرى ثم نُسيت. وما إن دقّق فيها حتى أدرك أهميتها. إنها نصف صفحة قطعت من جريدة «التايمز» الصادرة منذ عشر سنوات» نصف الصحيفة الأعلى ولذلك تضمّن التاريخ؛ كما تضمن صورة لمندوبي الحزب في فرع نيويورك. وكان يتوسط هذه المجموعة بشكل بارز هؤلاء الغلاثة . ولم يكن أحد ليخطئهم» فأسماؤهم كانت تظهر أسفل الصورة. المهم في الموضوع هو اعترافهم أثناء محاكمتهم الأولى والثانية بأنهم كانوا في ذلك التاريخ» تاريخ الجريدة» في أوراسيا. وأنهم طاروا من مطار سرّي في كندا إلى موعد صرب لهم في مكان ما من سيبيرياء وهناك التقوا أعضاء من القيادة العامة لأوراسياء وأفضوا إليهم بأسرار عسكرية هامة» وكان هذا التاريخ قد علق في ذاكرة ونستون لأنه كان ع امو أ ب ل د اود لك أخرى لا حصر لها أي يفا ونتلطن وتسطون نتن ذللك إلى تقيجة وبحيدة مفادها أن الاعترافات كانت كاذبة وملفقة. ومن الطبيعي أن ذلك لم يكن يُعَدَ في حد ذاته اكتشافاً. . فحتى في ذلك الوقت» لم يكن ونستون يتخيل أن الناس الذين تطالهم حملات التطهير قد ارتكبوا فعلاً ما يُتهمون به من جرائم. ولكنه كان دليلاً ماديا إنه قطعة من الماضي الذي تم محوهء مثل عظام الحفريات» تظهر في م

طبقة غير طبقتها فتقوض نظرية جيولوجية. إنه دليلٌ كان يكفي لإحالة الحزب إلى هشيم تذروه الرياح فيما لو تم عرضه أمام العالم وكشف مغزاه. استمر ونستون في عمله عندما رأى الصورة وأدرك ما تعنيه» م غطاها بورقة أخرى. ولحسن الحظ كان اتجاه الصورة بعكس شاشة الرصد حينما بسطها أمامه . تناول ونستون ا الكتابة ووضعه على ركبتيه ودفع بالكرسي إلى الوراء حتى يصبح بعيدا قدر المستطاع عن شاشة الرصد. لم يكن من الصعب أن تجعل وجهك غالياً من أي تعبير» بل وحتى أنفاسك يمكن حبسها ببعض الجهد. لكن لم يكن بإمكانك التحكم في ضربات قلبك التي كانت شاشة الرصد شديدة الحساسية إزائها وقادرة على التقاطها. انقتضت عشر دقائق كان يتمنى انقضاءها يعذبه خلالها شعور بالخوف من أن ينكشف سره بفعل حادثة ما كنفخة هواء تهبّ على مقعله مثلاً. بعدئذ ودون أن يكشفها ثانية قذف بها إلى مقبرة الذاكرة مع أوراق أخرى لا لزوم لها. في خلال دقيقة ستصبح رماداً. كان ذلك منذ عشرة أعوام أو أحد عشر عاماً خلت» ولو أن ذلك حدث اليوم لكان من المحتمل أن يحتفظ بتلك الصورة. والعجيب أن ماجرد إمستاكة بها بين أصابعه آثار فيه إعتساساً مغايرا لما كان عليه من قبل» رغم أن الصورة نفسهاء وكذلك الحادثة التي سجلتهاء كانت مجرد ذكرى. وتساءل: «ترى هل أصبحت عندي قبضة الحزب على الماضى أقل قوة بسبب دليل تافه لم يعد له وجود وكان قائماً في الماضي؟؛ لكن في هذه الأيام وعلى افتراض أن الصورة بُعثت من رمادها يقة ماء فإنها لا يمكن أن يعتد بها كدليل. ففى زمن اكتشافه لهذا الدليل» لم تكن أوقيانيا قد دخلت بعد في حرب مع أوراسيا. ولا بد أن 53 80015-01

الرجال الثلاثة قد أفشوا أسرار بلادهم لعملاء شرقاسيا. وبعد ذلك الوقت
ظهرت اتهامات أخرى لم يكن يستطيع تذكّر عددهاء كما أنه من المحتمل جداً أن الاعترافات قد أعيد تنقيحها مرات ومرات إلى أن أصبحت الحقائق والتواريخ الأصلية بلا معنى على الإطلاق. فالماضي لم يكن قد تغير فحسبء بل كان في تغيّر دائم. وأشد ما كان يربض على صدره مثل الكابوس أنه لم يفهم أبداً لماذا يمارسون علينا الخداع والدجل . فالفوائد المباشرة لتزييف الماضي واضحة لكن الغاية البعيدة من ورائها كانت غامضة. فأخذ قلمه ثانية وكتب: لإنني أفهم (كيف).؛ لكن لا أدرك (لماذا)؟» ثم تساءل» كما تساءل مراراً وتكراراً من قبل» عما إذا كان هو نفسه مصاباً بمسّ من الجنئون.
فالجنون ربما هوء بكل بساطة» أن تخالف الآخرين. ففي زمن من الأزمان كان من الجنون أن تعتقد أن الأرض تدور حول الشمسء أما اليوم فالجنون هو أن تعتقد أن الماضي غير قابل للتبديل. ولعل ونستون هو الوحيد في تمسكه بهذا الاعتقاد» وإذا كان وحيداً في ذلك فهذا يعني أنه مجنون. بيد أن فكر فكرة الجنون لم تكن تقلقه كثيراً» بل ما كان يُرعبه هو احتمال أن يكون على خطأ. التقط كتاب التاريخ الخاص بالأطفال ثم تطلّع إلى صورة الأخ الكبير التى تغطى الغلاف حيث العينان المغناطيسيتان تحدقان فيه» وكأنما كانت هنالك قوة هائلة تجثم عليك . شيء يخترق الجمجمة ويدخل إلى دماغك فيزعزع معتقداتك ويحملك على أن تنكر على حواسك ما تشعر به. فمن الممكن في نهاية المطاف أن يعلن الحزب أن اثنين واثنين يساويان خمسة وعليك أن تصدق ذلك . وعاجلاً أم آجلاً سيحصل ذلك . إن منطقه يتطلب مثل هذا. ففي الحزب لم تكن فلسفتهم تنكر صلاحية القجرية افخرين زإننا كانت قبكر ايشا بكياسة» وجود الحقيقة الظاهرة. كذلك كانوا يعتبرون ضلال الضالين هو عين العقل. والمرعب في ذلك ليس احتمال قتلك بجريرة التفكير بطريقة مغايرة» بل احتمال أن يكونوا 594 80015-01

على صواب . إذ كيف يمكنك بعدها أن تعرف أن اثنين واثنين يساويان أربعة؟ أو أن قوة الجاذبية موجودة؟ أو أن الماضى لا يمكن تغييره؟ فإذا كان كل من الماضي والعالم الخارجي لا يرجدات إلا في أذهانناء وإذا كانت أذهاننا نفسها يمكن التحكم فيها- فماذا تكون نتيجة ذلك؟ لكن لا! فك والسعونة وكأن شجاعته اشتدت وقويت فجأة من تلقاء نفسها. وقد خطر أوبراين على بال ونستون» دونما داع. كان يعرف» بيقين أقوى مما سبقء أن أوبراين في صقّه. فقد كان يكتب مذكراته من أجله وإليه» كانت أشبه برسالة لامتناهية لن يقرأها أحد. لكنها موجهة إلى شخص بعينه»ء وهذا ما يعطيها قيمتها. لقد كان الحزب يوصى بأن ترفض تصديق ما تراه عيناك وما تسمعه أذناك. كان هذا هو توجيهه النهائي والأكثر أهمية. وغاص قلبه بين ضلوعه وهو يفكر في القوة الهائلة الموجّهة ضدهء وفي السهولة التي يستطيع بها أي مفكر من مفكري الحزب أن يكتشف بها أمره في نقاش أو مناظرة تعتمد على الدهاء؛ لن يكون قادراً على فهمها أو حتى الرد عليها. ومع ذلك فقد كان متيقناً أنه على صواب وهم على ضلال؛» وأن عليه الدفاع عن البسيط والواضح والحقيقي. فالبديهيات الواضحة عليك أن تتمسك بها! إن العالم المادي موجود, وله قوانين لا تتغيّرء فالحجارة صلبة والماء سائل والأشياء التي لا ترتكز على شيء تهوي نحو الأرض. وتحت تأثير شعوره بأنه يتحدث إلى أوبراين ويأنه كان يرسي مسلّمة هامة كتب ونستون: الحرية هي حرية القول إن اثنين واثنين يساويان أربعة» فإذا سّلم بذلك سار كل شيء آخر في مساره السليم . 55 80015-01

الفصل الثامن كانت رائحة بن مُحمّص تفوح في أنحاء الشارع منبعثة من مكان ما في أسفل الممر- بن حقيقي وليس بن النصر-» توقف ونستون رغماً عنه للحظات ربما عادت به ذاكرته خلالها إلى دنيا طفولته شبه المنسية» وبعدئذ سّمعت طقة باب يغلق لتختفى الرائحة على أثر ذلك فجأة» وكأفيا كانت عيرا وجيت ْ كان قد جال عدة كيلومترات فوق الأرصفة حينما عادت دواليه تنقز عليه؛ وكانت هذه هي المرة الثانية خلال ثلاثة أسابيع التي يتخلّف فيها عن حضور الأمسيات في المركز الاجتماعي» وفي هذا تهوّر لأن عدد مرات الحضور كان موضع مراجعة دقيقة. ووفقاً لأحد مبادئ الحزب» ما كان لعضو بالحزب أن يكون لديه وقت فراغ أو أن ينفرد بنفسه إطلاقاً إلا عند نومه» بل كان من المفترض أن يشارك في أي لون من ألوان الترفيه الجماعي طالما أنه لا يعمل أو يتناول طعاما أو ينام. وكان إقدام العضو على عمل يوحي بميل للعزلة؛ حتى لو كان ذلك نزهة على الأقدام يقوم بها منفرداء هو عمل فيه مخاطرة واضحة. وكان يُعبْر عن ذلك فى اللغة الجديدة بكلمة «حياة خاصة» وهى تعنى الفردية والتمركز حول الذات» ولكنة عندما العترف:من الوزازة في ذللك المساء أغراه نسيم نيسان العليل بمتابعة السير تحت السماء التي كانت أشد زرقة وأكثر دفئاً من أي وقت مضى في هذه السنة. وفجأة بدت له تلك الأمسيات 56 01-80015

الطويلة الصاخبة التي تقام في المركز العام وما يصحب ذلك من ألعاب مجهدة ومحاضرات مملة» وصخب الرفاق وهم يتبادلون أنخاب الشراب» بدا له كل ذلك أمرا لا يحتمل. وبدافع لاإرادي وجد نفسه يغادر موقف الحافلات وعم في متاهات لندن لا يلوي على شني" وسط شوارع لا يعرفهاء كقازة مدير سترا وأقدرئ غارفا بوكالفة شنال عور آنه أين يسير وبأي اتجاه. وكانت الكلمات التي كتبها في مذكراته «إن كان هنالك من أمل دإنه يكين في العابةا لااتني تتردد فى ذهنه أثناء سيره وقد رأى فيها حةحافة وعماء بركان انداك قنر عل إلى كات باأوسط الاحياء القذرة الداكنة اللون والواقعة شمال شرق ما كان يعرف ذات يوم بمحطة (القديس بانيراس)» كان يسير في شارع مرصونٍ بالأحجارء على جانبيه تصطف بيوت صغيرة من طابقين محطمة الأبواب تطل مباشرةً على رصيف الشارع كأنها جحور جرذان. وكنت ترى بركاً من الماء القذر هنا وهناك بين الأحجار. وفي مداخل الأبواب المعتمة» وفي الأزقة الضيقة المتفرعة» كانت أعداد هائلة من الناس تتكوم» فتيات في ميعة الصبا وقد طلين شفاههن بطريقة فجة» وشباب يلاحقون الفتيات» ونساء مترهلات يسرن متهاديات يمشين على مهل كنماذج لما ستكون عليه الفتيات الشابات بعد عشرة أعوام ونساء عجزة يسرن على أقدام مفلطحة» وأطفال في ثياب مهلهلة وأقدام حافية يلعبون في برك الماء رغم سماعهم صيحات غضبى من أمهاتهم. ووعا ان ريع عاد نواقا الشارع محطمة ومرقعة... ولم يعر معظم الناس اهتماماً بونستون عدا قلة منهم رمقته بشيء من الاستغراب الحذر. وكانت تقف على مدخل أحد الأبواب امرأتان فكيناة سواه عمراراك اجرب طرية فون المئزر» تتجاذبان أطراف حديث التقط ونستون مقاطع منه عندما اقترب منهما : - نعم لقد قلت لها إن كل هذا حسن. ولكنك لو كنت في مكاني

لفعلت الشيء نفسه الذي فعلته. وقلت أيضاً إن من السهل أن تنتقدي الآخرين طالما ليس عندك من المشاكل ما عندي. وقالت الأخرى: آه! ذلك هو الأمر تماماً إنه صحيح تماماً. وما إن مرّ بهما ونستون حتى لاذتا بالصمت فجأة وهما تتفحصانه بنظرات عدائية صامتة. في الحقيقة لم يكن ذلك عداء بالمعنى المعروف للكلمة بل مجرد حذر وتخوف وقتي كالذي يحدث عند مرور حيوان غير مألوف أمام المرء» إذ لم تكن رؤية اللباس الأزرق أمراً مألوفاً في مثل هذا الشارع. ومن المؤكد أنه لم يكن من الحكمة في شيء أن تتواجد في مثل تلك الأماكن ما لم تكن مكلفا بمهمة محددة هناك. وإذا حدث وصادفتك دورية فقد يستوقفونك ويسألونك: «هل تسمح لنا برؤية هويتك أيها الرفيق؟ ماذا تفعل هنا؟ متى تركت عملك؟ أهذا هو طريقك المعتاد في العودة لمنزلك؟ وهلم جرا...2 وليس ذلك بسبب قواعد تحظر العودة للمنزل من غير الطريق المعتادء وإنما لأن مثل هذا العمل يلفت انتباه شرطة الفكر. فجأة امتلأ الشارع عويلاً وصراخاًء وانبعفثت صيحات الإنذار من كل حدب وصوب وأخذ الناس يتقاطرون إلى مداخل الأبواب كالأرانب. وهرعت امرأة صغيرة السن من مدخل باب قريب جداً من ونستون وأمسكت بطفل نحيل كان يلعب في بركة من الماء ثم لفته بمئزرها وقفزت به إلى الداخل. حصل كل ذلك في لمح البصر. وفي اللحظة نفسها اندفع رجل يرتدي حلة سوداء من زقاق جانبي وقفز نحو ونستون وهو يشير بفزع إلى السماء ويصيح في وجهه: «ابارجة. . .! احذر أيها المسؤول! إنها تدوي فوق رأسك! انبطح أرضا بسرعة!» وكان العامة لسبب ما يستعملون كلمة لابارجة» للإشارة إلى القذائف الضاروحية وغالبا ما كانوا على «منؤوات عندما يطلقوق تحذيرا مو هذا القبيل. وبالرغم من أنه يفترض أن القذيفة الصاروخية تفوق في سرعتها 58 80015-01

سرعة الصوتء فقد بدا أنهم كانوا يتمتعون بغريزة ما تنبئهم بها قبل سقوطها بثوان معدودة. انبطح ونستون أرضاً وشبك ساعديه حول رأسهء ثم سمع أزيزاً مدوياً بدا له كما لو أن الأرض قد ارتججت بقوّة وتساقط وابل من أجسام خفيفة على ظهرهء ثم تبين له عندما وقف على قدميه أنها كانت شظايا من زجاج تطاير من النوافذ القريبة تحيط به من كل جانب . وبعدئذ تابع سيره» وكانت القنبلة قد دمرت مجموعة من البيوت بامتداد مئتي متر في الشارع وتصاعد عمود أسود من الدخان في السماء مع غيمة من الغبار الكثيف غطت الأنقاض الناجمة عن الدمار. تجمع جمهور من الناس أمامه على الرصيف حيث كانت تكوين من الجبس وفي وسطه يستطيع المرء أن يتبين خيطاً أحمر لامعاً. وعندما اقترب ونستون رأى يدا بشرية مبتورة من المعصم وقد ابيضت تماماء عدا العقّد الدامية التي فيها مما جعلها تشبه الجبس . لكز هذا الشيء بقدمه إلى البالوعة وأخذ شارعاً جانبياً ليتحاشى الزحام» وفي غضون ثلاث أو أربع دقائق كان قد أضحى خارج المنطقة المنكوبة حيث كانت الشوارع على حياتها الحقيرة الصاخبة كأن شيئا لم يحدث» وكانت الساعة قد بلغت الثامنة مساء تقريباً وقد غصّت الحانات بروّادها من عامة الشعب.. ومن أبوابها المتجهمة» دائمة الاهتزاز بين فتح وغلق» اعت واشحة البول وتشارة الششب والجحة الشامضية 7 فى زاوية نافئة عن انتوم راجية أحن المنازك وقف قلذاثة وكال متقاريين تعدا وقد أمسك أوسطهم بجريدة مفتوحة فيما كان الآخران يتطاولان لقراءتها من فوق كتفيه» وحتى قبل أن يصبح على مقربة تسمح له باستقراء تعابير وجوههم رأى استغراقهم الشديد الذي شمل كل ذرة من أجسامهم. وكان واضحاً أنهم يقرأون نبأ على جانب من الخطورة. وعندما أصبح على بعد خطوات منهم تفرقوا فجأة ودخل اثنان منهم في تلاسن عنيف حتى بدا أنهم على وشك البدء في توجيه اللكمات. 59 80015-01

ألا يمكنك أن تصغى لما أقول أيها اللعين؟ لقد أخبرتك أنه منذ أربعة عشر - شهرا لم يربح أي عدد ينتهي بالرقم 7. - بلى .. . لقد حدث ذلك مرة. - كلا لم يحدث. فمنذ سنين وأنا أحتفظ في منزلي بكل المجموعات وأدونها بانتظام على قصاصة ورق وليس فيها أي عدد ينتهي بالرقم 7. - بلى لقد ربح رقم 7.. دعني أتذكر الرقم الملعون . . إنه أربعة صفر سبعة» وكان ذلك في شهر فبراير لا بل الأسبوع الثاني من فبراير. - فبراير... يا لك من أحمق. .. الأرقام جميعها مدوّنة لديّ وأنا أقول لك إنه لا يوجد ذلك الرقم . صاح بهما الرجل الثالث قائلاً: «كفى مهاترة. . .» كانوا يتحدثون عن اليانصيب» وبعدما ابتعد عنهم مسافة ثلاثين متراً نظر خلفه فوجدهم ما زالوا يتشاحنون ووجوهم منفعلة ومتقدة. وكان سحب اليانصيب الأسبوعي على الجوائز النقدية الهائلة» هو الحدث العام الوحيد الذي يعيره العامة اهتماماً كبيراً جداً. ومن المرجح أن هناك بضعة ملايين من العامة الذين يعتبرون اليانصيب هو السيب الرئيسي إن لغ يكن الوسيناوراء سشكهم بالحاة» زذ كان ل سذابة المخذر وفيت بهجتهم وحماقتهم ومحرك تفكيرهم. وحيثما كان اليانصيب هو الموضوع» كنت تجد الناس الذين بالكاد يقرأون ويكتبون» يُظهرون قدرة على إجراء الحسابات المعقدة والاحتمالات المدهشة التى تعتمد على الذاكرة. كان هناك عدد كبير من الرجال يعتمدون في كسب قوتهم على بيع الأوراق والتنبؤات وتمائم الحظ. ولم يكن لونستون علاقة بإدارة اليانصيب» فقد أنيط بوزارة الوفرة دور الإشراف على إدارة هذه العملية» ولكنه كان يدرك (وفي الواقع كان كل شخص في الحزب يدرك ذلك) أن الجوائز كانت وهمية للغاية بحيث يجري دفع الجوائز ذات المبالغ 100 01-80015

الصغيرة فحسبء أما تلك ذات المبالغ الكبيرة فكان رابحوها أشخاصاً لا وجود لهم. وفي غياب أي اتصال حقيقي بين طرفي أوقيانيا لم يكن من الصعب تمرير مثل ذلك التلاعب. «لكن إن كان هنالك من أمل فإنه يكمن في العامة ويجب عليك الإيمان بذلك». عندما تصوغ ذلك في كلمات فإنه يبدو معو لا وعندما ترى الرجال يمرون على الرصيف فإنه يصبح قضية تؤمن بها. ما إن استدار إلى شارع متفرّع حتى انتابه شعور بأنه جاء إلى هذا المكان من قبل وأث#هيّاك طريقا ركيسيا غير بعيد بكاوي تالكا ارات بالصياح» ثم انعطف الطريق انعطافة شديدة وانتهى بدرج يفضي إلى زقاق حيث كان الباعة يعرضون خضروات ذابلة. في تلك اللحظة تذكر ونستون المكان. لقد كان الزقاق يؤدي إلى الشارع الرئيسي » وعئند المنعطف الثاني» وبما لا يبعد خممس دقائق» كان يوجد حانوت بيع الأشياء القديمة الذي سق أن تكو عند مفكرته:" ومن قرطاسية صغيرة وقريبة كان قد اشترى ماسكة الريشة والحبر. قف لحظة عند أعلى الدرج» فقد كان في الجانب المواجه للزقاق 0 قذرة اكتست نوافذها بالغبار كأنما غطاها الصقيع. اندفع من الباب دائم الاهتزاز رجل حناه الكبر دون أن يفقد نشاطه. وكان ذا شارب أبيض أشعث مدببا إلى الأمام كشارب برغوث البحر. عندما وقف ونستون يراقبه» خطر له أن ذلك الرجل الذي بلغ من العمر عتياً كان في أوسط عمره عندما اندلعت الثورة» كما كان وأمثاله من الرجال هم آخر الحلقات التي تربطنا بعالم الرأسمالية الذي تهاوى. وفي داخل الحزب نفسه لم يكن قد بقي على قيد الحياة الكثير من الذين كانت أفكارهم قد تشكلت قبل اندلاع الثورة» كما كان الجيل الأكبر من ذلك قد أبيد معظمه إبان موجات التطهير الكبرى التي جرت في الخمسينات والستينات» أما من نجا من هؤلاء فقد أدًى بهم ما لاقوه من إرهاب إلى حالة من الاستسلام الفكري الكامل. ولو كان هناك أحياء يمكنهم نقل 80015-01

صورة صادقة عن الأوضاع في الربع الأول من هذا القرن فلا بد أن يكونوا من العامة. وعلى نحو مفاجئ عادت إلى ذهنه تلك القطعة التى سعهائفي ملكزاتة من كتاب التاريخ وتملكتة رغيه حتوية فى أن يدلنت إلى الحانة ويلقي إلى الشيخ بما يحيّره من تساؤلات: أخبرني عن حياتك عندما كنت صغيراً. ماذا كانت عليه الحال في تلك الأيام؟ هل كانت الأمور أحسن مما هي عليه الآن أم أسوأ؟». هبط السلم على عجل خشية أن يتطرق الخوف إلى قلبه مع مرور الوقت فيقعده عن ذلك» واجتاز الشارع الضيق» كان ذلك ضربا من الجنون ولا ريب. في العادة لا قوانين محددة تحظر الحديث مع العامة أو ارتياد حاناتهم» لكن ذلك أمر غير عادي على الإطلاق ولا يمكن بحال أن يمر دون أن يلحظه أحدء فخطر له أن يتظاهر بأن نوية إغماء قد ألمت به إذا ما ظهرت له إحدى الدوريات وإن كان ذلك لن ينطلي عليها على الأرجح. دفع الباب أمامه حيث فاجأته رائحة الجعة الحامضة البشعة» وما إن دخل حتى خفتت حدة الضجيج بشكل ملحوظ وأحس بأن الجميع يرمقون لباسه الأزرق» كما توقفت مباراة رمي السهم التي كانت تدور فى الطرف الآخر من الحجرة للحظات. كان العجوز الذي فيه يتتوعب الباق متيمكا في حدال اع السائى :صاعب الأنقك المعقوفء الذي كان ممتلئ الجسم طويل القامة ذا ساعدين قويين وفي سن الشباب» بيئما تحلق حولهما فريق آخر يراقب المشهد وكؤوسهم بأيديهم . قال الرجل العجوز وقد شد كتفيه كمن يتأهب للدخول في شجار: «ألا أبدو فى نظرك مواطناً كاملاً؟ ألا يوجد كأس من سعة «البانت) بين كؤوسك الحقيرة؟) أجاب النادل وقد اتكأ بأطراف أصابعه على البار: «بحق الجحيم ما هو ذاك البانت؟» - تبا له! يدّعي أنه ساقي ولا يعرف ما هو البانت؟ هو نصف 010-80015

الربع» وهناك أربعة أرباع في الغالون» فهل عليّ أن أعلّمك الألف باء مرة ثانية؟ أجاب الساقي باختصار: «لم أسمع بذلك» لأننا لا نقدم إلا باللتر ونصف اللترء وها هي الأكواب على الرف أمامك». قال الرجل العجوز مضمما» «رلكى 'أريد باينت» ألا يمكن أن تمل لي باينت؟ لم تكن لدينا هذه الأكواب القذرة عندما كنت شاب . فأجابه الساقي وهو ينظر بطرفه إلى باقي الزبائن: «عندما كنت في شبابك كنا نحن نعيش فوق قمم الأشجار». ٠ وانخرط الجميع في ضحك صاخبء في حين بدا أن القلق الذي تسبب به دخول ونستون إلى الحانة قد تلاشى. احمرّ خجلا وجه العجوز الأبيض المليء بالبثور» واستدار مبتعداً وهو يتمتم. لكن ونستون أمسك ذراعه بلطف قائلا: «هل تسمح لي أن أقدم لك شرابا؟» فرد العجوز قائلاً وقد شد كتفيه ثانية: لإنك سيد مهذب» وبدا أنه لم يلحظ لباس ونستون الأزرق وأضاف بعدائية موجهة نحو الساقي: «باينت ... باينت من الجعة). ٠ وصبّ لهما الساقي نصفي لتر من جعة داكنة اللون في كأسين كان قد غسلهما فى دلو تحت البار. كانت الجعة هي الشراب الوحيد الذي يقدم في حانات العامة إذ كان من المفروض آلا يشرب العامة الخمر» لكن الحصول عليه كان متيسراً بسهولة. وحمي وطيس لعبة رمي السهم مرة أخرى وبدأ مجموعة من الرجال يتحدثون عن أوراق اليانصيب ونسوا أمر ونستون إلى حين. كانت ثمة مائدة خشبية تحت النافذة حيث يمكن تبادل الحديث دون خوف أن يسترق السمع أحدء إذ كان ذلك فيما لو حصل من الأمور البالغة الخطورة؛ لكن على أية حال كان المكان خلواً من شاشات الرصد وهو ما حرص ونستون على التحقق منه فور دخوله المكان. قال الرجل متذمراً بعد أن استقر جالساً وراء كأسه: #كان في رقع 0 ادوم

استطاعته أن يعطينى باينت» فنصف اللتر غير كاف وغير شاف» ولتر كانن
كين هد :وير بخدة المكانة.* تاحتك عن الشيغر : فقال ونستون مترددا: «لا بد أنك شهدت تغييرات كبيرة منذ كنت شاباً» . قلّب الرجل العجوز عينيه الضعيفتين في أرجاء القاعة من لوحة لعبة السهام إلى البار ومنه إلى باب مرحاض الرجال وكأنه يبحث عن تلك التغييرات داخل القاعة. وأخيراً أجاب : كانت الجعة أحسن وأرخص! فعندما كنت شابا كانت الجعة غير حادة وكنا لا نسميها جعة ويباع الباينت منها بأربعة بنسات. وبالطبع كان ذلك قبل الحرب.» فسأله ونستون: «أي حرب تقصد؟؟» فأجاب الرجل بغموض: "كلها ورفع كأسه وقد شد كتفيه ثانية وقال: «نخبك. في صحتك» . وفي رقبته النحيلة ظلت تفاحة آدم تتحرك نزولاً وصعوداً في حركة سريعة حتى انتهى من شرب كامل الجعة. توجه ونستون إلى البار وأحضر كأسين آخرين من سعة نصف اللتر. وبدا أن الرجل العجوز قد تناسى استهجانه لشرب لتر كامل . قال ونستون: «إنك تكبرني سناً بكثير ولا بد أنك كنت رجلاً ناضجاً قبل أن أولد أنا ويمكنك أن تتذكر كيف كانت الحياة قبل الثورة. فالذين هم في مثل سئي لا يعلمون شيئاً عن تلك الأيام وليس أمامنا من سبيل لذلك سوى الكتب» ومن يدري ربما يكون ما سّجِل في الكتب غير صحيح ولذا أودّ معرفة رأيك في ذلك. إن كتب التاريخ تقول إن الحياة قبل الثورة كانت تختلف اختلافاً جذرياً عما هي عليه الآنء فقد كان وَصل العسف والجؤور"والققر إلى خد من المنوء لا يمكن تخيله» وكان غالبية العمال في لندن لا يجدون ما يسد رمقهم منذ مولدهم وحتى مماتهم بينما نصفهم الآخر لا يملك حتى حذاء ينتعله. كما كانوا يعملون اثنتي عشرة ساعة في اليوم ويتركون المدارس في سن التاسعة وينام

العشرة منهم في غرفة. وفي الوقت نفسه كانت توجد فئة قليلة من الناس»
لا يتجاوز عددها بضعة آلاف» تتمتع بالثراء والسلطة ويسمون بالرأسماليين. كانوا
يمتلكون كل شيء ويسكنون قصوراً ذات أبهة يقوم على كل منها ثلاثون خادماً
ويستقلون سيارات أو عربات تجرّها الخيول ويشربون الشمبانيا ويرتدون القبعات
العالية ...» تهلل وجه الرجل العجوز فجأة وقال: «قبعات عالية! جميل منك أن ذكرتنى
بذلك. لقد خطرت تلك القبعات ببالى بالأمس فقط ولست أدري لماذة: لم أر أية قبعة
منذ سنين» فآخر مرة ارتديت واحدة كان في جنازة زوجة أخي وكان ذلك في 0 لا
يمكنني أن أتذكر التاريخ لكن لا بد أن ذلك كان منذ خمسين عاماً. وبالطبع كانت القبعة
مستأجرة لتلك المناسبة» لعلك تفهم ما أقصد.» قال ونستون مخفياً امتعاضه: «إنني لا
أهتم كثيراً بموضوع القبعات العالية» فما يهمنى هو أن هؤلاء الرأسماليين وقلة من
المحامين ورجال الديوزعن اعتاشرا علييم كاثوا ساذة الأرمن ».وأ كلها علبها رجة
لأجلهم. وكنتم أيها العمال عبيداً لهم ومن حقهم أن يفعلوا بكم ما يشاؤون»
فباستطاعتهم أن يشحنوكم على السفن إلى كندا كما تشحن المراشي» وأن يناموا مع
بناتكم إذا عنّ لهم ذلك» وأن يأمروا بجلدكم بما كانوا يطلقون عليه «القطة ذات التسعة
أذيال». وكان عليكم أن ترفعوا لهم القبعات إذا ما مررتم بهم كما كان كل رأسمالي
يجول محاطا بعصابة من الأذناب الذين ...» وتهذّل وجه العجوز مرة أخرى وقال:
«الأذنئاب! لم أسمع بهذه الكلمة منذ زمن طويل . الأذناب! إنك تعيدنى إلى الوراء سئين
طويلة . إنني أتذكر - أيام الحمير - عندما كان من عادتي أن أذهب إلى «حدائق هايد
بارك» عصر أيام الآحاد لأستمع للخطباء» فإلى هناك كان الناس على اختلاف مشاربهم
يفدون من جيش الخلاص والروم الكاثوليك إلى اليهود والهنود» وكان ثمة خطيب لا
تسعفني الذاكرة باسمه الآن» ولكنه 105 011-80015

كان خطيباً مفوهاً حقاًء يتحدث عن أذناب البرجوازيين وخدم الطبقة الحاكمة وتحدث عن الطفيليين» الطفيليين ذاك مسمى آخر لهم. وكان يسميهم أيضاً الفعلة مشيراً إلى حزب العمال. لعلك تفهم ما أقول. وشعر ونستون أن العجوز كان يغنى على ليلاه. فقال: «ما أريد معزقد دك هو "هل تشعر أنك تتمعع الآن بخزية وضع هما كنت تتمتع بها في تلك الأيام؟ هل تُعامل الآن كإنسان؟ في الأيام الخوالي هل كان الأغنياء . . .» أضاف الرجل العجوز متذكراً: «مجلس اللوردات»» فقال ونستون: «مجلس اللوردات إن شئت ذلكء, ولكن ما أسألك عنه هو هل كان هؤلاء الناس يعاملونك بازدراء لمجرد أنهم أغنياء وأنك فقير؟ وهل صحيح أنه كان يتعين عليك مخاطبتهم بلفظة «سيدي» وخلع قبعتك كلما مررت بهم؟ا وبدا على الرجل العجوز أنه قد راح في تفكير عميق» وبعدما شرب ما يقرب من ربع جعته أجاب قائلاً: «أجلء لقد كانوا يحبون منك أن تلمس قبعتك لهم ففي ذلك إبداء للاحترام» ولم أكن شخصياً أوافق على شيء من ذلك» ولكني كنت أفعله في كثير من الأحيان مضطرا». ورد ولستعوة' قأئل اوهل كان أمرا معنادا + إنتى أنقل .لك ما ورد ف كنت التارية قفنت شدهل كان آمراً بغتاذا للق ولاه النانن وخ مهنم أن يرموا بك من الرصيف إلى البالوعات؟» قال الرجل العجوز: «حدث ذات مرة أن رمى بي أحدهم.» إنني أذكر ذلك وكأنه بالأمس. لقد كان هناك سباق ليلى للقوارب» وقد اعتادوا أن يكون سباقهم فظيعاً وأشبه بالشجار» واصطدمت مصادفة بشاب في شارع شفتسبري - لقد كان سيداً ويرتدي قميصاً ومعطفاً أسود ويعتمر قبعة عالية. كان يسير على الرصيف في خط متعرج فاصطدمت به دون تعمد. فقال: ألا تنظر أمامك؟ فأجبت: أتظن أن هذا الرصيف الملعون ملكك وحدك. فقال: سأفصل رأسك الأحمق عن جسدك إذا 106 80015-01

تماديت فى وقاحتك. فقلت وقد أمسك بتلابيبى ودفعنى دفعة قوية كادت ترميني أمام حافلة : لقد كنت شاباً في ذلك الوقت وكنت سأسدد له ضربة ممائلة.» ولكن...) واستولى على ونستون شعور باليأس» لقد كانت ذاكرة الرجل العجوز خالية إلا من توافه التفاصيل» ولن يحصل منه على معلومات ذات قيمة. إذن فتاريخ الحزب قد يكون صحيحاًء ومع قليل من التعديل» قد يكون كل ما فيه صحيح. وأخيراً قرر القيام بمحاولة أخيرة. فقال للشيخ: «ربما لم أوضح لك قصدي تماماً. ما أود قوله هو الآتي: إنك تعيش على هذه الأرض منذ زمن طويل» وقد عشت شطراً من حياتك قبل الثورة: ففي عام 1925 مثلاً كنت قد بلغت رشدك» فهل برأيك» من خلال ما تتذكره»؛ كانت الحياة سنة 1925 أحسن مما هي عليه الآن أم أسوأ؟ وإذا كان لك أن تختار فهل تفضل العيش في هذه الحياة أم في تلك؟ نظر الرجل العجوز إلى لوحة لعبة السهام نظرة تأمل» وأكمل متكلماً بهيئة فيلسوف ونبرة تسامح كما لو أن الجعة قد لينت عريكته. فقال: «إنني أعلم ما تأمل مني أن أقوله؛ إنك تأمل أن أقول أنني أتمنى العودة إلى سن الشباب. كل الناس يتمنون أن يعودوا إلى ريعان الشباب حيث يتمتعون بالصحة والعافية. وعندما تبلغ ما بلغت من سني فلن تكون على مايرام» فأنا الآن أعاني من ألم خبيث في قدمي» ومثانتي في اضطراب شديد حتى أنها تضطرني إلى ترك الفراش ست أو سبع مرات في الليلة الواحدة. لكن من ناحية أخرى فإن للتقدم في السن ميزات عظيمة» منها مثلاً أنه لا يكون لديك هموم تنغص عليكء كما لن تشغل النساء بالك» وفي هذا فائدة جمة» فأنا لم أعرف امرأة منذ ثلاثين سنة» إذا كنت تعتبر هذا ميزة حسنة» بل وأكثر من هذا لم أرغب في ذلك»6. اتكأ ونستون على النافذة» إذ لم تكن هنالك جدوى من متابعة ذلك الحديث. وكان على وشك شراء المزيد من الجعة عندما نهض الرجل ممه 4م80

العجوز فجأة متجهاً صوب المرحاض كريه الرائحة حيث كان نصف لتر الجعة الإضافى قد فعل فعله فيه. أما ونستون فقد ظل جالساً فى مكانه يان في كاسة الفارغة لدقيقة أو دقيقتين» زم شمر إلا وكنناة تحملانه خارج الحانة مرة ثانية. كان ونستون على امتداد ما يقارب من عشرين سنة يفكر في هذا السؤال السهل الممتنع محاولا الإجابة عنه: «هل كانت الحياة قبل الثورة أفضل مما هى عليه الآن؟» لكن سؤاله ظل لاسراب تين الأقاح :طالها آذ :قله امن الناس الباقين عل فيل الحا عد العالم القديم لم يكونوا قادرين على مقارنة عقد بآخر. كانوا يتذكرون آلاف التفاهات» كمشاجرة مع زميل عمل أو البحث عن منفاخ دراجة مفقود أو تعبير اعترى وجه شقيقة قضت منذ زمن بعيد أو دوامات الغبار في صباح يوم عاصف منذ سبعين عاماً. كل هذا بينما كانت الحقائق الرئيسية واقعة خارج مدى رؤيتهم» إذ كانوا كالنملة التي يمكنها رؤية الأشياء الصغيرة بينما تتعامى عن الكبيرة. وحيئما يعتري العجز الذاكرة وتكون السجلات المكتوبة زائفة» يصبح ادّعاء الحزب بأنه قام بتحسين أوضاع الحياة الإنسانية واجب القبول لأنه لم توجدء ولا يمكن أن وفي هذه اللحظة انقطع حبل تفكيره فجأة وتوقف عن السير ونظر حوله. فإذا هو في شارع ضيق فيه عدد قليل من الحوانيت الصغيرة المعتمة المنتشرة بين المنازل» وفوق رأسه مباشرة كانت تتدلى ثلاث كرات معدنية بلا لون بدت كما لو كانت مذهبة فيما مضى. وأحس أنه يعرف المكان. فقد كان يقف خارج حانوت الخردوات الذي اشترى منه دفتر مذكراته . وسرت فى أوصاله ارتعاشة خوفء ففى الأصل كان شراؤه ذلك الدفتر عملاً طائشاًء وكان قد أقسم آنذاك ألا يقرب ذلك المكان مرة أخرى. ومع ذلك ففي اللحظة التي أطلق لأفكاره العنان قادته قدماه مرة أخرى إلى ذلك المكان من تلقاء نفسهاء وكان ما يرجوه من

شراء 010-80015

المفكرة» وهو أن تكون له ردءا من تلك النوازع الانتحارية. وقد استرعى انتباهه في الوقت نفسه أن الحانوت لا يزال مفتوحا بالرغم من أن الساعة بلغت التاسعة. دلف إلى الحانوت وهو يشعر بأنه سيكون أقل مدعاة للريبة داخل الحانوت من التسكع على الرصيف, وإذا ما سئل عن ذلك» فيمكنه أن يقول بكل وضوح إنه كان يحاول شراء شفرة حلاقة! كان صاحب الحانوت قد قام لتوه بإشعال قنديل كانت تنبعث منه رائحة قذرة لكنها محتملة. وكان رجلا في حوالي الستين من عمره يبدو عليه الضعف ومحدودب الظهر وذا أنف طويل جميل وعينين هادئتين شوهتهما نظارة غليظة. كان يغلب على شعره الشيب لكن حاجبيه كانا كثيفين وما يزالان أسودين. وكانت النظارة وحركاته المهذبة النشطة» فضلاً عن السترة المخملية السوداء التي يرتديهاء تضفي عليه هيئة رجل فكو كما لو كان اذيا أو موسيقيا ٠ وكان عبورية ناعنا وليكدده أقل خشونة من لهجة غالبية العامة: ابتدره الرجل فوراً: « لقد عرفتك وأنت تقف على الرصيف. ألست السيد الذي اشترى دفتر السيدة الحسناء ذي الورق الجميل؟ أعتقد أنه لم يعد يُصنع مثله منذ خمسين عاماً». ثم حدج ونستون من فوق نظارته وقال له: «هل من خدمة خاصة أسديها لك؟ أم تراك تريد فقط أن تلقي نظرة؟) أجاب ونستون بغموض: «كنت ماراً وأردت أن ألقي نظرة وليس وان هي من اطله؟ قال الرجل: «لا بأس. على كل حال لا أعتقد أن عندي ما يفيك :4 قالها وهو يشير بيده التاعية سعترا #العلف عر أن العاتوزيف يكاد يخلو من البضائع ولا أخفيك يك سراً إن قلت إن تجارة القطع الأثرية القديمة على وشك الانقراض فلم يعد هناك طلب» كما أن المخزون نفد. والاثاث والأوانى الخزفية والزجاجية تتكسر تدريجياًء كما أن الأدوات المعدلية قن فقذت: إذ لم تفغ عبتن متذ'سكؤاك على شمعدان تحادى» 109
01-80015

في حقيقة الأمر كان الحانوت غاصاً بالبضائع ولكن لم يكن بينها شيء ذا قيمة تذكرء ومساحة المحل محدودة إذ عَلَقَ على الجدران عدد لا يحصى من إطارات الصور المغبرة» كما كانت واجهة العرض تحتوي على أطباق مملوءة بالجوز والمزاليج والأزاميل البالية والسكاكين مهترئة النصول والساعات الكالحة التى لا يبدو عليها حتى أنها تعمل» ناهيك عن أشياء أخرى متدوعة نما لا قيمة اله إلا آج على طاولة صغيزة "فى إحدى الزوايا وضعت أشياء من العتائق والغرائب مثل علب سعوط ومشابك من العقيق وما شابه ذلك. وهي توحي بأنه قد يكون بينها ما هو مفيد. وبينما كان ونستون ينّجه نحو هذه الطاولة لاح أمام عينيه شيء أملس مستدير يلمع لمعانا هادا تحت ضوء القنديل» فالتقطه . كان قطعة ثقيلة من الزجاج محدبة من جانب ومسطحة من الجانب الآخر تكاد تشكل نصف كرة. وكان لون الزجاج ومادته نقيا نقاء ماء المطر . وفي جوفه كان ثمة جسم غريب ذو لون أحمر قاني يشبه وردة أو عشبة بحر وقد بدا أكبر من حجمه الحقيقي بسبب السطح الزجاجي المحدب . سأل ونستون بافتتان: «ما هذا؟» وأجاب الرجل : (إنها مرجان من المحيط الهندي» كانت العادة أن يحفظوها في زجاج. لعلها صنعت قبل مئة عام وربما أكثر.» وأجاب ونستون: ايا لها من شيء بديع» قال الرجل مباهياً: «إنها بديعة الجمال لكن في هذه الأيام" ثم سعل وأضاف: «إذا فكرت في شرائها الآن فستكلفك أربعة دولارات وأستطيع أن أتذكر عندما كان شيء كهذا يساوي ثمانية دولارات بل ربما أكثرء لبقا م لذ معز سان ولك على اال انملا كيرا فو لمان ودفع ونستون الدولارات الأربعة في الحال ودسّ هذه التحفة في جيبه . ولم يكن جمالها هو مدعاة انجذابه إليها بقدر ما كان ذلك العبق الذي أحاط بها كونها تنتمي لعصر غير هذا العصرء وإلى ذلك لم يكن 110 80015-01

زجاجها ذو الملمس الناعم واللون الصافي كماء المطر كأي زجاج آخر رآهء

وكانت ذات جاذبية مضاعفة بسبب عدم فائدتها الواضحة وإن كان بوسع المرء أن يعتقد أنها قد استعملت في يوم من الأيام كثقل يوضع على الورق. رغم ثقلها الشديد في جيبه فإنها ولحسن حظه لم تسبب 0000 فقد كان أمراً غريباً بل مدعاة للريبة أن يحوز عضر الحزب أي شيء عتيق أو جميلء فهذا يجعله دائماً موضع شكوك. وتهللت أسارير الرجل العجوز بعدما تسلم الدولارات الأربعة» وهنا أدرك ونستون أنه كان سيقبل بثلاثة أو حتى بدولارين. وقال: «توجد غرفة أخرى في الطابق العلوي ربما يهمك إلقاء نظرة عليها. ليس فيها الكثير من الأشياء» بل القليل من القطع الصغيرة فقط. وسنكون بحاجة إلى قنديل إذا صعدنا لأعلى. » وهنا أوقد قنديلاً آخرء وبظهر منحن وببطء أخذ يصعد السلم المائل البالي عبر ممر ضيق يؤدي إلى غرفة لا تطل على الشارع بل على فناء مرصوف بالأحجار وغابة من المداخن. ولاحظ ونستون أن أثاث الخرفة كان هاءيةال عزنا كما لو كانت جهياة للسكن وغل الأرعين قطدة من سجادة فيما عُلّقَ على الجدران صورة أو صورتان. وبالقرب من المدفأة كان ثمة مقعد ذو ذراعين» ومن فوق رف المكتبة البعث صوت ساعة زجاجية عتيقة الطراز مرقّمة باثنى عشر رقما. وتحت النافذة كان قن بوي كر كل لم سيان الغ وااكتريا يكنا اللطاقة تنا وات موضوعة فوقه.

قال الرجل العجوز بما يشبه الاعتذار: «كنا نعيش هنا حتى ماتت زوجتي . إني أبيع الأثاث قطعة بعد قطعة» والآن انظرء هذا سرير جميل من خشب الزان أو على الأقل سيكون كذلك إذا استطعت أن تتخلص مما يعيث فيه من حشرات البق» وإن كنت أستطيع القول إنك ستجد في ذلك شيئاً من المشقة». كان يمسك بالقنديل عالياً لكي يضيء الغرفة كلها. وفي مثل هذا 111 80015-01

الضوء الضعيف بدت الغرفة مغرية على نحو غريب» ولمعت في ذهن ونستون فكرة استئجار الغرفة نظير بضعة دولارات أسبوعياًء لكن مَن سيتجرَأ على مثل هذه المخاطرة. كانت فكرة طائشة ومستحيلة: ويج التخلي عنها بمجرد التفكير فيهاء إلا أن الغرفة أيقظت فيه نوعاً من الحنين إلى الماضي ٠» وفكر في روعة الجلوس في غرفة كهذه. على كرسي ذي ذراعين وإلى جوار مدفأة يمد قدميه على حاجزها والقهوة على الموقدء شاعراً بعزلة تامة وأمان تامء دون أن تراقبه عين أو يطارده صوت. ولاايشق حجاب هذا السكون إلا صوت غليان الماء ودقات الساعة الشجية . لم يستطع ونستون منع نفسه من أن يتمتم قائلاً: «لا يوجد هنا شاشة رصد!» قال الرجل العجوز: «آه ... لم يسبق أن كان لدي واحدة إنها غالية جداً ولم أشعر أبداً أنني بحاجة إلى واحدة. وهناك طاولة جميلة ذات جوانح في تلك الزاوية لكنك ستحتاج إلى تركيب مفصلات جديدة لها إذا أردت استخدامها.» وفي الزاوية الأخرى من الحجرة خزانة كتب وجد ونستون نفسه منجذباً نحوهاء ولكن لم يكن فيها سوى مهملات إذ كانت عملية ملاحقة الكتب وإتلافها قد طالت» وبنفس الشدة, الأحياء الشعبية مثلما طالت غيرها من أماكن. كان من المستبعد تماماً أن يعثر فى كل أرجاء أوقيانيا على نسخة من كتاب طبع قبل سئة 1960. ش وكان الرجل العجوز لا يزال ممسكاً بالقنديل ويقف أمام صورة موضوعة في إطار من خشب الورد ومعلقة على الجانب الآخر من المدفأة مقابل السرير. ش وقال العجوز برقة: «والآن» إذا كنت من محبى اللوحات القديمة . . .1 ١ مشى ونستون عبر الغرفة ليتفحص الصورة التي كانت عبارة عن 112 80015-01

كالتمثال» حدق ونستون فيه بضع لحظات فبدا وكأنه يعرفه على الرغم من أنه لم يستطع تذكره. قال الرجل العجوز: (إن الإطار مثبت في الحائط ولكن يمكنني نزع المسامير من الحائط إذا كنت تريده. »6 بعد صمتء قال ونستون: (إنني أعرف ذلك البناء» إنه الآن عبارة عن أنقاض وسط شارع بالقرب من قصر العدل.» أضاف الرجل: «هذا صحيح.ء إنه بالقرب من دار القضاء. وقد تعرض للقصف منذ سنوات كثيرة» لقد كان عبارة عن كنيسة في يوم من الأيام وكانت تسمى كنيسة القديس كليمنت دان.» ثم ابتسم ابتسامة اعتذار وكأنه أدرك أنه قال شيئاً سخيفاً وأضاف: «برتقال وليمون» تقول أجراس كنيسة القديس كليمنت!») فقال ونستون: «ماذا؟» (أوه 527 «برتقال وليمون تقول كنيسة القديس كليمنت» إنها أغنية كنا نرددها ونحن صغار ولا أتذكر بقيتهاء ولكنى أعرف أنها كانت تنتهى بمقطع (ها هنا تجد شمعة تستثير بها حتى الفراش» وها هنا منجل لحز رقبتك .) لقد كان ذلك نوعا من الرقص» يرفعون أذرعهم لتمر من تحتها ليمسكوا بك. لقد كانت مجرد أسماء للكنائس وتتضمن أسماء كنائس لندن الرئيسية» . تساءل ونستون إلى أي قرن يعود بناء الكنائس يا ترى؟ إذ كان يصعب أن تقدر عمر أي بناية فى لندن» فكل بناية كبيرة ولافتة للنظر كانوا يدّعون تلقائياً أنها شيدت في عهد الثورة» وأي بناية أخرى يبدو بوضوح انتماؤها إلى عهد قبل ذلك كانت تُنسب إلى فترة غامضة تسمى القرون الوسطى» وأما قرون الرأسمالية فكان ينظر إليها على أنها لم تنتج ادم

شيئاً ذا قيمة» لذلك ما كان باستطاعة المرء أن يعرف شيئاً عن تاريخ من الطرز المعمارية أكثر مما يعرفه من خلال الكتب. فكل ما يلقى ضوءاً على الماضي مثل التماثيل والنقوش والنصب التذكارية وأسماء الشو ارع كان يتم تغييره وتحويره بصورة منهجية . قال ونستون: «لم أكن أعرف أبداً أنها كانت كنيسة». ورد الرجل العجوز قائلاً: «في الواقع لا يزال يوجد الكثير منها ولكنها تستعمل لأغراض أخرى. . .2 ثم استدرك: «ها لقد تذكرت بقية الأغنية : (برتقال وليمون تقول أجراس كنيسة القديس كليمنت» وتقول أجراس كنيسة القديس مارتن أنت مدين لي بثلاثة فارذن) هذا هو كل ما يمكننى تذكره الآن. والفارذن كان عملة نحاسية صغيرة تشبه السنت.») 1 وسأل ونستون: «لكن أين كانت كنيسة القديس مارتن؟» «كنيسة القديس مارتن؟ إنها لا تزال قائمة وتقع في ساحة النصر أمام معرض الصور. إنها عبارة عن بناء بواجهته قبة مثلثة وأعمد وسلم.» كان ونستون يعرف ذلك المكان جيداً. فقد كان متحفاً لعرض معروضات دعائية من كل الأنواع كنماذج للقذائف الصاروخية والقلاع العائمة واللوحات الشمعية» تُصوّر الفظائع التي ارتكبها الأعداء وما شابه ذلك.» وأضاف 0 العجوز: «كانوا يسمونها القديس مارتن في قلب الحقول ولو أني لا أرى أية حقول في هذه الأنحاء» . يشتر ونستون الصورة» فقد كانت حيازتها أكثر مدعاة للشبهة من حيازة قطعة الزجاج كما أنه يستحيل حملها إلى المنزل إلا إذا انتزعت من إطارها. لكنه تلكأ بضع دقائق أخرى متحدثاً إلى الرجل العجوز الذي 114 80015-010

تبين له أن اسمه ليس «ويكس»» كما قد يتبادر إلى الذهن من الكتابة التى على واجهة الحانوت» وإنما شارنتون» وكان أرمل» يبلغ من العمر 63 سنة ويسكن هذا الحانوت منذ ثلاثين عاماًء وطوال هذه المدة كان يعتزم تغيير الاسم الموجود على الواجهة لكنه لم يفعل. وقد ظل صدى ذلك المقطع من الأغنية يتردد في رأسه طوال حديثهما معاً. (برتقال وليمون تقول أسراس كديشة القدشن كلبمتت: وثقول أجرامن كسبنة القديعن مارتن أنك مدين لى بثلاثة فارذن) لقد كان مقطعا غريباً لكن ما إن ترددد ف لسك عد يهن الاك اق تلهم قات اخراسن يفيف 6 جاتن لندن المفقودة والتي ما زالت موجودة في مكان ما أو اتخذت شكلاً آخر ثم أصبحت في طي النسيان. وبدا له أن أصواتها المنبعثة من برج تلو آخر تجلجل في أذنيه. وبقدر ما يستطيع العودة بذاكرته للوراء فإنه لا يذكر أنه سمع دقات أجراس كنيسة حقيقية. ترك ونستون السيد شارنتون وهبط الدرج بمفرده لئلا يراه العجوز وهو يستطلع الشارع قبل أن يخرج من الباب. وكان قد عقد العزم على القيام بزيارة أخرى للحانوت بعد فترة مناسبة» شهر مثلاء» فربما كان ذلك أقل خطراً من تهرّبه من إحدى أمسيات المركز الاجتماعي. ولكن الحماقة الحقيقية :الى ارتكيها كانت عودتة مره أعرى إلى كات اشترى برد تار مد كر افد ذو أن نيفق مين [ذا كان ماحي الساتوت دي بالثقة أم لا ومع ذلك ...! أجل رغم ذلك» فكر ثانية أنه سيعود لشراء قطع أخرى جميلة من هذه المهملات» وليشتري لوحة كنيسة القديس كليمنت المحفورة» بعد أن ينتزعها من إطارهاء ويحملها إلى المنزل تحت سترة معطفه الأزرق وليستخلص بقية القصيدة من تلافيف ذاكرة الرجل العجوز. ولمع في ذهنه للحظات مرة ثانية ذلك المشروع الطائ* ٠ مشروع استئجار الغرفة الكائنة بالطابق العلوي. وتحت تأثير غمرة الفرح التي اعترته لمدة خمس وان نسي حذره وخرج إلى الشارع دون أن يلقي ولو بنظرة عبر النافذة. 115 80015-01

وكان قد بدأ يتمتم بنغمة مرتجلة: تقول أجراس كنيسة القديس كليمنت برتقال وليمون» وأنت مدين لي بثلاثة فارذن. فجأة شعر أن دمه تجمّد فى عروقه واضطربت أمعاؤه عندما رأى القادم نحوه وما عاد يفصله عنه سوى عشرة أمتار. لقد كانت الفتاة ذات الشعر الأسود التي تعمل في دائرة الإثارة. لم يكن من الصعب عليه أن يتعرف عليها رغم ضعف الإضاءة في الشارع . نظرت إلى وجهه محدقة به ثم أكملت مسرعة كأنها لم تره. لبضع ثوان شعر ونستون أنه قد فقد القدرة على الحركة» فاستدار يميئاً وابتعد متثاقلاً دون أن يتتبه إلى أنه يسير فى الاتجاه الخطأ. على أي حال فقد اعتدى إلى حفيقة أمرهاء. ققد تبدد كل :كلك لديه فى أنها كانت تخسن عليه]د لشن مز الحلمقو ل أن يكون تتعؤالها فى الجمناء :ذاته وفي الشارع الخلفي المعتم ذاته الذي يبعد كيلومترات عن أي حي يقطن فيه أعضاء الحزب». محض مصادفة, لقد كان ذلك أكثر من مجرّد مصادفة. ولم يعد يهم إذا كانت جاسوسة لشرطة الرصد أو مجرد جاسوسة هاوية مدفوعة بفضولها الخاص . المهّم أنها كانت تراقبه وربما زاته دوعو يدلت: إلى الحالة أينا. كان يسير مجهداء ومع كل خطوة يخطوها كانت قطعة الزجاج في جيبه ترتطم بشدة في فيخلء سني أله كاد يخرجها ويطوح بها بعيدا: وكان 1 سوأ هو الألم الذي أصاب معدته ولدقيقتين حسن تعال عوك مار قينية إن لم يصل إلى مرحاض في الحال» كيف سيجده في مثل هذا الحي؟ غير أن الأومة عدت مخلنة الما شديدا ؤزاءها: توقف ونستون عن السيرء فقد كان الشارع عبارة عن زقاق مسدود. تساءل لبضع ثوان عما يجب عليه أن يفعل» فاستدار إلى الخلف وهم بالعودة وقد خطر بباله أن الفتاة اجتازته منذ ثلاث دقائق فقط وأنه ريما يمكنه» إذا ما أسرع الخطىء اللحاق بها ثم اقتفاء أثرها حتى يصلا إلى مكان منعزل هادئ فيحطم رأسها بحجر أو ربما تفي قطعة الزجاج التي 116 80015-01

فى جيبه بهذا الغرض . لكنه تخلى عن الفكرة بعيد لحظاتء فقد كان خائر القوى وليس بمقدوره أن يوجه ضربة لأحد». وفوق ذلك كانت الفتاة قوية وفي سن الشباب» وقد تدافع عن نفسها. ثم خطر له أيضا أن يهرع إلى المركز الاجتماعي ويبقى فيه حتى يغلق أبوابه كدليل يثبت مكان تواجده فى هذا المساء. لكن ذلك كان أيضاً مستحيلاً. لقد انتابته جالة من الاعتاء العفيفة وكاذ كلما يزيدة هن أن يعرة إلى المدول سرع ويستلقي بهدوء. كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء حينما عاد إلى شقته وكانت الأنوار تطفأ في الحادية عشرة والنصف في المدخل الرئيسي. دلف إلى المطبخ حيث ازدرد ملء فنجان شاي من خمرة النصر ثم توجه إلى الطاولة في الزاوية وأخرج دفتر مذكراته من الدرج» لكنه لم يفتحه في الحال إذ كان ينبعث من شاشة الرصد صوت أنثوي نحاسي يزعق بأغنية وطنية» فراح يحدق في غلاف الدفتر ذي اللون المرمري محاولاً دون جدوى أن يخرج ذلك الصوت من رأسه. القد كانوا دائماً يأتونك ليلاًء والأفضل لك أن تقتل نفسك قبل أن يقبضوا عليك ومن المؤكد أن كثيراً سبقوك لذلك» فأكثر حالات الاختفاء كانت عمليات انتحار حقيقية. لكن الأمر يستلزم شجاعة اليأس حتى تقتل نفسك في عالم يتعذر فيه الحصول على سلاح ناري أو على سم سريع المفعول وأكيد الأثر ١. وفكر بشيء من الدهشة في عدم جدوى الألم والخوف وفي ما يلاقيه الإنسان من خذلان من جسمه الذي تخور قواه فى اللحظات الحانبية :ققد كان بإمكانه أن تكرين التكاةتذات الفنسر الأسوه لو أنه قد تصرف بالسرعة الكافية» ولكن الخطر الداهم الذي كان محدقاً به سلبه القدرة على التصرف . وأدرك أن مواجهة الإنسان ضد جسده أصعب من مواجهة العدو الخارجي. وحتى في هذه اللحظات ورغم ما شربه من خمرء فإن الألم الذي في جوفه أفقده القدرة على التفكير المنطقي . 117 80015-01

وأدرك أيضاً أن هذا هو ما يعتري الإنسان في كل المواقف البطولية والمأساوية. ففى ميدان القتال أو فى غرفة التعذيب أو على متن سفينة تغرق» تغدو القضايا ان جار سد احلنا طي النسيان دائماًء ذلك لأن جسدك يظل يتضخم حتى يملأ عليك العالم فلا ترى سواه. وحتى إذا لم يشل الرعب حركتك أو لم يجعلك الألم تصرخ. فإن الحياة تظل صراعاً موصولاً ضد الجوع والبرد والقلق أو ضد حموضة وحرقة المعدة أو ألم الأسئان. شعر ونستون بضرورة أن يكتب شيئاً ففتح المفكرة» لكن ذاك الصوت الأنثوي كان قد بدأ أغنية جديدة وكان كأنه يرتطم بمخه كشظايا من الزجاج. ثم حاول أن يفكر في أوبراين الذي من أجله. أو إليه كانت المذكرات ٠ لكنه وبدلاً من التفكير في أوبراين راح يفكر في ما سيحدث له بعدما تقبض عليه شرطة الفكر. لن يهم إذا ما قتلوك في الحال فذلك ما كنت تنتظره. ولكن المهم هو ما يسبق الموت (لا أحد يتحدث في مثل هذه الأمور رغم أن الجميع يعرفها). هناك خطوات الاعتراف التي عليك أن تمر بهاء من الزحف على الأرض والصراخ طلباً للرحمة وطقطقة العظام المتكسرة والأسنان المهشمة وخصلات الشعر التي تُنتزع من رأسك حتى تدميه. لماذا يتعين عليك أن تتجشم كل هذا ما دامت النهاية واحدة؟ ولماذا ليس بالإمكان أن تقتطع من حياتك بضعة أيام أو أسابيع؟ فلم يحدث أن أفلت أحد من الملاحقة أو صَمَّدَ على الاعتراف. وحالما تقر بجريمة فكر فإنه من المؤكد أن موتك يصبح مسألة وقت معلوم. لماذا إذن ذلك الرعب من المستقبل الذي لم يكن ونجح قليلاً في استحضار صورة أوبراين. فقد قال له أوبراين في الحلم «سنلتقي في مكان لا ظلمة فيه». كان يعرف ما عناه أوبراين أو خيل إليه ذلك . فالمكان الذي لا ظلمة فيه هو المستقبل المتخيّل الذي لن يراه وإن كان يمكن استشرافه والمشاركة فيه. إلا أنه لم يستطع متابعة 138
01-80015

تسلسل أفكاره أبعد من ذلك بسبب الصوت الصادر عن شاشة الرصد والذي
كان يصفر في أذنيه. وما إن وضع ونستون سيجارة بين شفتيه حتى تناثر نصف ما فيها من تبغ كالغبار اللاذع على لسانه؛ وكان من الصعب أن يخرجه من فمه مرة أخرى.
وسرعان ما غمر مخيلته وجه الأخ الكبير طارداً صورة أوبراين. وكما فعل منذ أيام خلت» أخرج قطعة عملة معدنية من جيبه ونظر إليها فحدجه الوجه بنظرة فيها هدوء
ورزانة من يذود عن الحمى: ولكن أي ابتسامة تلك التى كان يخفيها تحت كاري
الأسردة رافات أجراس:نعى الموئق ترددت اقذاء الكلمات ف ذهنه:‘‘ الحرب هي السلام الحرية هي العبودية الجهل هو القوة 119 80015-01

The text on this page is estimated to be only 7.00% accurate

The text on this page is estimated to be only 27.00% accurate

80015-01

الفصل الأول كان الوقت ضحى عندما غادر ونستون مكتبه ومضى إلى المرحاض . وإذا بشخص مقبل نحوه من الطرف الآخر للممر الطويل ذي الضوء الساطع. كانت الفتاة ذات الشعر الأسود. وكانت قد انقضت أربعة أيام مذ صادفها خارج حانوت الخردوات. عندما اقتربت منه لفت انتباهه أن ذراعها اليمنى معلّقة في رقبتها إلى رباط لم يستطع أن يميزه عن بعد لأن لونه شبيه بلون لباسها الرسمي الذي كانت ترتديه. ربما كانت قد سحقت يدها وهى تدور حول آلات (كاليدوسكوب) الكبيرة التي تتم فيها الحبكة القصصية. وكان مثل هذا الحادث أمراً شائعاً في دائرة الإثارة . كانت تفصل بينهما مسافة أربعة أمتار تقريبا عندما تعثرت الفتاة وسقطت على وجهها فصرخت صرخة ألم مدوية» لابد أنها سقطت على ذراعها المصابة. توقف ونستون عن سيره في حين كانت الفتاة قد نهضت على ركبتيها وقد شحب وجهها وبدت شفتاها أكثر احمراراًء وكانت عيناها تحدقان بوجهه وقد ارتسمت فيهما نظرة تطلب منه أن يساعدهاء نظرة هي أقرب إلى الخوف منها إلى الألم . خفق قلب ونستون بعاطفة غريبة» فالتي أمامه هي عدو كان يسعى فتك بهء لكنها أيضاً مخلوقة بشرية تتألم؛ ولربما يكون ساعِدُها قد كسر مرة أخرى. وبغريزته الإنسانية تقدم نحوها ليأخذ بيدها. فحينما 01-80015

رآها تسقط فوق ذراعها المضمدة شعر كما لو أن الألم قد سرى إلى جسده هو. وسألها: هل أصابك أذى؟ - لاء لاا شيء. . إنها ذراعي ... سوف تصبح على ما يرام في الحال . كانت تتكلم وقلبها يخفق بشدة» أما وجهها فقد شحب شحوباً شديدا. ومدت له يدها الثانية» فأعانها على النهوضء وإذ ذاك بدا أنها استعادت بعض لونها وبدت في حال أفضل . وعادت تكرر بعد قليل: «لم يحدث شيء يستحق الذكرء فكل ما في الأمر أن معصمي ارتطم بالأرض. شكراً لك أيها الرفيق». وعاودت السير في الاتجاه نفسه الذي كانت تسير فيه من قبل» سارت بخطى نشطة ورشيقة وكأن شيئاً لم يحدث على الإطلاق. لم تستغرق هذه الحادئة سوى نصف دقيقة فقط. لقد كان الحرص على ألا تطفو مشاعر المرء على وجهه بمثابة عادة باتت أشبه بالغريزة» فقد كانا يقفان أمام شاشة الرصد مباشرة عندما وقع الحادث ومع ذلك كان من العسير جداً على ونستون أن يكبت شعور الدهشة الذي ارتسم على وجهه. إذ أثناء الثانيتين أو الثلاث التى أعان خلالها الفتاة على النهوض حدث أنها أودعته شيئاً في يده ولم يكن هناك شك في أنها فعلت ذلك عن قصد. كان هذا الشيء صغيرأ ومنبسطاء وعندما ولج من باب المرحاض نقله من يده إلى جيبه حيث تحسسه بأطراف أصابعه. كانت قصاصة من الورق مطوية . عندما وقف أمام المبولة فتح الورقة وقال في نفسه «لا ريب في أنها تحمل رسالة ما بداخلها»» وراودته نفسه للحظة أن يقرأ الرسالة في التو والمحاله: ولككنه ران نا تنه لقا معطو عليه هن الخطرة من حماقة مطبقة» إذ من المؤكد أن شاشات الرصد تعمل ليل نهار في هذا المكان» فقفل راجعاً إلى مكتبه. جلس وألقى بقصاصة الورق بغير اهتمام بين 124 80015-010

الأوراق الأخرى المرصوصة فوق مكتبه» وأحس بقلبه يخفق خفقات مدوية» وكان من حسن حظه أن المهمة المسندة إليه فى تلك اللحظة كانت عملاً روتينياً محضاً إذ كان يصحح قائمة مطولة من الأرقام وهو الأمر الذي لا يتطلّب انتباهاً شديداً. وقال في نفسه أياً كان ما هو مكتوب في الرسالة» فلا بد أنه سيكون ذا مغزى سياسي. فكر في تلك اللحظة باحتمالين. أولهماء وهو الأكثر وجحاناة أن الفعاة تعمل جاسوسة لحيناب: قترطة الفكر وهو ما كان يخشاهء لكنه لم يفهم لماذا تلجأ شرطة الفكر لهذه الطريقة لتوصيل رسائلهاء لعل لديهم من الأسباب ما يفسر ذلك. فلربما في الرسالة تهديد أو استدعاء أو أمر بالانتحار أو فخ ما ينصب له. أما عن الاحتمال الآخر فقد كان أكثر جنوناء كان يساور ونستون رغم أن ونستون قد حاول دون جدوى أن يكبته» ومفاده أن هذه الرسالة ليس ثمة ما يربطها بشرطة الفكر على الإطلاق إذ إنها مرسلة من إحدى المنظمات السرية. فلعل لجماعة «الأخوة» وجود !. ولعل الفتاة منضوية فى عضويتها. لا ريب في أن هذه الفكرة كانت عبثية» ولكنها:البسيف فى خاطرة ول لحظة شعوره بالورقة في يده. ولم تكد تمر دقيقتان حتى كان التفسير الأول والأرجح قد خطر بباله ثانية. وحتى الآن ورغم أن عقله أوحى إليه أن هذه الرسالة قد تعني موتهء فإنه لم يصدق ذلك وظل متشبثاً بأهداب أمل واهء في حين أخذ قلبه يدق بعنف محاولاً كبت أثر ارتعاشة على صوته وهو يهمهم بالأرقام إلى آلة التسجيل. لفّ رزمة كاملة من أوراق العمل ثم زج بها في الأنبوب الهوائي. ثماني دقائق كانت قد مضت حين أعاد تثبيت نظارته فوق أنفه وتنهدء ثم جذب مجموعة أخرى من أوراق العمل وقد وُضعت قصاصة الورق فوقهاء وما إن فضها حتى رأى الكلمة التالية مكتوبة فوقها بخط كبير: «أحبك» تملّكه ذهول شديد لعدة لحظات حتى أنه نسي أن يلقي بأداة 125 80015-01

الجريمة في قبور الذاكرة. وحينما فعل ذلك» ورغم إداركه للخطر الذي ينطوي عليه إبداء أي اهتمام زائد» فإنه لم يقدر على منع نفسه من قراءتها مرة ثانية» وفي الحال» حتى يطمئن قلبه إلى أن الكلمة موجودة حقاً. ل ا 0 الصباح. ولم يكن أشق عليه من التركيز على ما بين يديه من مهام مزعجة إلا ضرورة إخفائه لما يختلج وجهه من انفعال أو اضطراب عن شاقنة ارم دوقم كان ثانا أشعلت في ضلوعه. كان تناوله لطعام الغداء في المطعم الحار والغاص بالموظفين والمليء بالضوضاء بمثابة عملية تعذيب. فقد كان يأمل أن يختلى بنفسه أثناء ساعة الغداء» لكنه زلنيوه حظه» فإ الح تارعيرن "قل حدد نقتي ركل سماجة بجائيةة وقد فاقت رائحة عرقه الكريهة رائحة الطعام المسلوق» ومضى بارصون يثرئر حول الاستعدادات لأسبوع الكراهية» مبدياً حماسته بشكل خاص ترا ارج ال لكبو متران ويجري إعداده بواسطة فرقة الجاسوسات» التي تند تنتمى إليها انلع كتضيضا ليله المئاسية . ولم يكن راستزت ينظيم مصاع ما يفولة بارضوة وسنط: المنوظالا بها يمره ٠ إلى تحمل إزعاج تكرار بارصون لبعض ملاحظاته السخيفة. وقد لمح الفتاة ذات مرة وهي جالسة مع فتاتين أخريين حول إحدى الموائد في الطرف الآخر من قاعة الطعام. ويبدو أنها لم تره؛ أما هو فلم ينظر في اتجاهها مرة ثأنية . كان ونستون أفضل حالاً في فترة ما بعد الظهيرة. فقد أسندت إليه مهمة صعبة تتطلب عدة ساعات وتستلزم منه تركيزاً بحيث ينحي كل ما عداها جانبا. كان عليه تزوير بعض تقارير الإنتاج الصادرة منذ سنتين بطريقة تثير علامات استفهام حول نزاهة عضو بارز في قيادة الحزب وقد غدا في وضع مزعزع. كان ونستون يجيد أداء مثل هذا اللون من العمل» بالتالي فقد تمكن من إقصاء الفتاة عن تفكيره لأكثر من ساعتين. ولكن 126 80015-01

عادت ذكراها ترتسم أمام عينيه مصحوبة برغبة جامحة في الاختلاء 3-3
بنفسه حتى يمكنه التفكير فى هذا التطور الجديد» وهو ما سيكون مستحيلا دون أن
سكعل بنشية. كانت دلت الليلة هن ادي الباق القن يعي عليه فيها الذهاب إلى المركز
الاجتماعي . ازدرد وجبة طعام أخرى لا طعم لها ثم سارع إلى المركز وشارك في
سخافة من سخافات «مجموعة النقاش»»؛ ثم لعب شوطين من كرة الطاولة وشرب عدة
كؤوس من الخمر وجلس نصف ساعة يستمع لمحاضرة بعنوان «علاقة الانجسوك
(الاشتراكية الانجليزية) بالشطرنج». ورغم أن الملل قد أمسك بتلابيب روحهء فإنه
وللمرّة الأولى يشعر بعدم الرغبة في التملص من أمسية من تلك الأمسيات. إذ بعد
رؤيته لكلمة «أحبك» شعر برغبة تنبجس بين حناياه في أن يظل على قيد الحياة» وبدا
له فجأة أن من الحماقة أن يجازف بنفسه في مثل هذه المجازفات البسيطة. لم تكن
الساعة قد يلغت الحادية عشرة مساء حينما عاد إلى شقته واستلقى على فراشه في
الظلام حيث يكون بمأمن من شاشة الرصد إن هو التزم الصمتء لكن كان في مقدوره
أن يسترسل في التفكير دون توقف. وكانت الصعوبة العملية التى تتطلب حلاً هى:
كيف يتصل بالفتاة ولرقت قاذ :مفنها :ركان فد أبعقا اضيا نوا لصي لل فذر كا .قل تكد
له ذلك بسبب ما اعتراها من اضطراب حينما أودعته القصاصة. فقد كان جلياً أن نوبة
من الهلع قد انتابتها إلى درجة أخرجتها عن صورتها المعروفة» ولم يخطر على باله
البتة أن يتمع عن قبول هذه البادرة منهاء رغم أنه كان يفكر قبل خمس ليال في تهشيم
رأسها بحجر. لكن ذلك لم يعد ذا اهمية الآن. وراح يفكر في جسدها العاري البض مثلما
رآه في الحلم. كان يحسبها حمقاء كبقية فتيات جيلهاء برأس محشو بالحقد والأكاذيب
وجوفٍ مملوء بالجليد. ولذا فقد انتابته نوبة من حمى الخوف حينما خطر بباله احتمال
فقدانه لها وإفلات جسدها الأبيض البض من بين يديه! وكان أخشى ما يخشاه هو أن
يتغير رأيها إذا هو لم يبادر إلى 127 80015-01

الاتصال بها. ولكن الصعوبات العملية التي كانت تحول دون تحقق ذلك اللقاء كانت جمة. كان أمرة أيه بامر ين يخاول تسريكا قطدة مطرنج فسا لفوت عاضو الملك:. نايتها تزل وسيك تاشاش الرضن: وفى بعر ل ج او حو يي ب ا دقائق من قراءته للرسالة» ولكنه الآن وبعدما أصبح لديه متسع من الوقت للتفكير؛ أحد سععزفنها واحدة تلو أخرى كنا كر كان عصف مجموعة من الأدوات على مائدة. وكان من الجلي أنه من غير الممكن أن يجمع بينهما لقاء كذلك الذي جمع بينهما في ذاك الصباح . فلو أن عملها كان في دائرة السجلات لكان الأمر هيئاً نسبياً» لكنه لا يعرف على وجه التحديد أين توجد دائرة الإثارة في المبنى» وليس لديه ما يتذرع به للذهاب إلى هناك. ولو أنه كان يعرف أين تقطن وفي أي وقت تنصرف من العمل لتعمد مقابلتها في طريق عودتها إلى منزلها. بيد أن تتبعها إلى منزلها لم يكن أمراً مأمونة عواقبه لأن ذلك يعني التسكع خارج الوزارة وهو أمر يحتمل أن يلفت إليه الأنظار. وأما فكرة أن يبعث لها برسالة عبر البريد فأمر غير ممكن بتاتًء إذ كانت الرسائل تفتح عند نقلها طبقاً لنظام متبع ومعلن ومن ثم ما كان يقدم على كتابة خطابات إلا قلة من الناس. وحينما تستدعي الضرورة إرسال بعض الرسائل كان الناس يلجأون إلى بطاقات مطبوعة تتضمن قائمة من العبارات الجاهزة» ويكفى المرء آنذاك أن يشطب على العبارت التي لا تعناسب مع موضوع رسالته. وفي نهاية المطاف استقر رأيه أن آمن مكان يلتقيان فيه هو المطعم. فإذا استطاع أن يشير إليها لكي تجلس بمفردها إلى منضدة في منتصف قاعة الطعام بعيدا عن شاشة الرصد ووسط طنين كاف من الأصوات ليغطى على الحديث بينهماء إذا اكه #تعقيق هده العتروظ فى ملف دمن سقذانه 30 قائية فبلدكا نيعا أن شاذلا' سفن الكليات ١ انقضى أسبوع كانت حياته خلاله بمثابة حلم قلق. ففي اليوم 128 80015-01

التالي لم تظهر الفتاة في المطعم إلا حينما كان يهم بمغادرته» وكانت صافرة بدء العمل قد سمعت فظن أنها غيرت نوبة عملها إلى نوبة أخرى. واجتاز كلاهما الآخر دون أن يرفع إليه ناظريه. وفي اليوم الذي تلى ذلك» كانت الفتاة ف في المطعم في الوقت نفسهء. لكنها كانت بضحبة ثلاث فنيات أخريات وكن يجلسن أسفل شاشة الرضد عباشرة: ثم مرّت عليه ثلاثة أيام ثقيلة لم تظهر خلالها على الإطلاقء: وبدا له أن عقله وجسده قد أصيبا بحساسية مفرطة أو بنوع من الشفافية جعل كل لفتة وكل صوت وكل تماس وكل كلمة» كان لزاماً عليه أن ينطق بها أو يصغي إليهاء لوناً من ألوان العذاب. وحتى في نومه لم يبارحه طيفها . وفي خلال هذه الأيام لم يمس مفكرته. وإذا كان من راحة فقد كان يلتمسها في أوقات عمله حين يكون بمقدوره أن ينسى نفسه في غمرة العمل لمدة أقصاها عشر دقائق. كان واضحا أنه ليس لديه أي دليل أو تفسير لما عساه قد لحق بالفتاة» ولا يمكن أن يسأل عنها. ربما تكون قد راحت ضحية عملية تصفية أو ربما تكون قد أقدمت على الانتحار أو نُقلت إلى الطرف الآخر من أوقيانيا. لكن أسوأ هذه الاحتمالات وأرجحها على الإطلاق أنها ربما غيّرت رأيها وقررت أن تتحاشى لقاءه . وفي اليوم التالي عاودت الفتاة الظهور وقد حررت ذراعها من رباطه مكتفية بوضع ضمادة حول معصمها. وكانت رؤيته لها مبعثاً لارتياح غامر لديه حتى أنه لم يستطع مقاومة الرغبة في النظر إليها مباشرة لعدة ثوان. وفي اليوم التالي كان قاب قوسين أو أدنى من إمكانية التحدث إليهاء إذ عندما دلف إلى المطعم كانت تجلس إلى مائدة بعيدة عن الحائط وكانت بمفردها. ولما كان الوقت مبكراء فإن المطعم لم يكن قد امتلأ بعد بروّاده. وتحرك الطابور إلى الأمام حتى أصبح ونستون أمام طاولة تسليم الطعام» ثم توقف لدقيقتين لأن شخصاً من الذين يتقدمونه في الصف راح يشكو من عدم تسلمه قرص السكر. ولكن الفتاة كانت لا 129 80015-01

تزال بمفردها عندما أكمل ونستون صينيته وبدأ يسير متظاهراً بعدم الاكتراث بينما كانت عيناه تبحثان في المكان عن مائدة تقع خلفها. وسار نحوها حتى بات لا يفصله عنها سوى ثلاثة أمتار. ولم يبق غير ثانيتين ويتحقق مراده. وعندئذ تناهى إلى سمعه صوت قادم من خلفه ينادي اسميث» فتظاهر بأنه لم يسمع. فعاد الصوت يكرر النداء «سميث». فأدرك أن لا فائدة من التظاهر بعدم السماع واستدار يتطلّع وراءه فإذا به يرى ذلك الشاب الأشقر الشعر الغبي». الذي يدعى ويلشر والذي بالكاد كان يعرفه؛ يدعوه مبتسماً لمكان شاغر بجانبه. ولم يكن رفضه لتلك الدعوة بمأمون العاقبة. فبعد أن عرفه بعض من في المطعم لم يعد بمقدوره أن يذهب ويجلس قبالة مائدة تجلس إليها فتاة بمفردهاء فقد كان ذلك لافتاً للأنظار ولذا جلس مع ويلشر وعلى شفتيه ابتسامة غير ودّية. وتهلل لذلك وجه الشاب الغبي. وعندئذ تراءى لونستون أن يحطم هذا الوجه بفأس فيشقّه نصفين. وما هى إلا دقائق قليلة حتى كانت مائدة الفتاة قد امتلأت. ٠ ولكن لا بد أنها لاحظته مقبلاً نحوها ولربما فهمت المغزى. وفي اليوم التالي حرص ونستون على المجيء إلى المطعم مبكراً؛ فوجدها جالسة بمفردها فى المكان نفسه. وكان يتقدمه فى الطابور مباشرة رجل ضكيل الجسم سريع الحركة أشبه بالخنفساء ذو وجه منبسط وعيئين صغيرتين مريبتين وما إن ابتعد عن طاولة التوزيع وهو يحمل صينيته حتى اتجه إلى مائدة الفتاة كالسهم؛ فضاعت امال ونستون الذي تبعه وقد تجمد الدم في عروقه». ولكن لا جدوى من لقائه بالفتاة ما لم يكن على انفراد. في هذه اللحظة سَّمع صوت ارتطام وإذا بالرجل الضئيل قد هوى أرضاً على أطرافه الأربعة بينما طارت الصينية في الهواء وجرى منها جدولان من الحساء والقهوة فوق أرضية القاعة. نهض الرجل على قدميه وهو يرمق ونستون بنظرات عدائية. كان واضحا أنه يشك في أن ونستون قد عرقله من الخلف. غير أن كل شيء مر بسلام. وبعد خمس ثوان 1030 80015-01

كان ونستون يجلس إلى مائدة الفتاة بينما راحت دقات قلبه تدوي كالرعد.
لم يرفع نظره إلى عينيها. بل أخذ ينقل أوعية الطعام من الصينية إلى الطاولة وشرع في التهام طعامه على الفور. كان أمراً بالغ الأهمية أن يبادر بالحديث إليها قبل مجيء أي شخص آخرء ولكن شعوراً فظيعاً بالخوف قد انتابه» فقد انقضى أسبوع كامل على أولى بوادرها نحوه ولربما تكون قد غيرت رأيهاء بل لابد أنها قد غيرت رأيها! كان من المستحيل أن تكلل مثل هذه العلاقات بالنجاح . إن ذلك لا يحدث على أرض الواقع .
ولعله كان سيحجم عن الحديث إليها لولا رؤيته أمبلفورث فى تلك اللحظة» الشاعر ذا الأذنين كثيفتى الشعرء وهو يتجول فى أنحاء نجه لطع على نيل ومييه صيية روا حذا عرو كان تتاف اكانا قي وشيجة غامضة تربط أمبلفورث بونستون ومن المؤكد أنه لن يتردد في الجلوس معه إن هو رآه. لم يكن أمام ونستون غير دقيقة واحدة للعمل . كان ونستون والفتاة منهمكين في التهام الطعام دون توقف. وكان ما يتناولانه عبارة عن حساء فاصوليا. وبصوت هادئ وأشبه بالغمغمة كسر ونستون حاجز الصمت بينهما دون أن يرفع أي منهما عينيه عن صينيته مواصلين تناول الحساء. وبين ملعقة وأخرى تبادلا بعض الكلمات الضرورية بصوت خفيض ودون أن يعتري وجهيهما أي انفعال. - أي ساعة تتركين عملك؟ - السادسة والنصف مساء. - أين يمكن أن نلتقي؟ - ساحة النصر قرب التمثال. - إنها مليئة بشاشات الرصد. - لا خوف إذا كانت مزدحمة بالناس. - هل من إشارة؟ 131 80015-01

كلاء لاتقترت متى إلا إذا رايتى بين تقد من الثاسن. ولا تنظر نحوي بل - ابق على مقربة مني. - فى أي وقت؟ - احسنا . لكن أمبلفورث لم ير ونستون». فجلس إلى مائدة أخرى. أما ونستون والفتاة فلم يتبادلا كلمة واحدة بعد ذلك وكانا يتحاشيان تبادل النظر ما استطاعا إلى ذلك سبيلاً. فرغت الفتاة من غدائها على عجل وانلصرفت»

في حين بقي ونستون يدخن سيجاره. يدور حول النصب الهائل الحجم ذي الشكل الأسطواني» المنتهي بتمثال ضخم للأخ الكبير وهو يحدق جنوبا في الأفق حيث عقد له النصر على الطائرات الأوراسية (قبل سنوات كانوا يقولون طائرات شرقاسيا) فى معركة خاضتها المحطة الجوية رقم 1. في الشارع وأمام التمثال كان هناك تمثال آخر لرجل يمتطي حصاناً يفترض أنه أوليفر كروموبل. مضت خمس دقائق على الموعد ولم تظهر الفتاة فانتاب ونستون خوف شديد من جديد إذ ظن أنها لن تأتي وأنها قد عدلت عن رأيها. راح يتقدم ببطء إلى الطرف الشمالي من الساحة وقد علا وجهه نوع من السرور الباهمت عندما وقعت عيناه على كنيسة القديس مارتن التى كانت أجراسهاء حينما كانت لها أجراسء تدق نغمات «أنت مدين لي بثلاث فارذنج». ثم فجأة رأى الفتاة واقفة عند قاعدة التمغال وهى تقرأء أو تتظاهر بقراءة» ما كتب على قاعدة التمثال» ولم يكن من المأمون أن يقترب منها قبل أن يتجمع المزيد من الناس حولهاء فشاشات الرصد تملا المكان. بيد أنه في هذه اللحظة انبعث صوت هتافات وسمع أزيز عربات ثقيلة تنطلق من الناحية اليسرى. وفجأة سادت حالة من الهرج والمرج في الساحة. تسللت الفتاة من بين تمائيل الأسّود عند قاعدة النصب ثم غرقت في الزحام. وتبعها 132 80015-01

ولسعون: نيما كان يُحْلنَ أن قافلة عه اسرئ الحرت الأوزاسيين كاك تمر .
كانت جماهير كثيفة من الناس قد تقاطرت على الساحة حتى أغلقت طرفها الجنوبي.
فرأى ونستون نفسه» وهو الذي في الأوقات العادية ينأى عن كل أشكال العراك» وقد راح يشق طريقه بالمناكب ويدفع ويلكز ليشق طريقه إلى وسط الحشود. وسرعان ما بات على مبعدة ذراع واحدة من الفتاة. ولكن الطريق كان مسدودا بترجل ضخم الجثة من العامة وامرأة بحجمه تقريباً» ربما تكون زوجته» وكأنهما يشكلان معاً حائطاً بشرياً لا يمكن اختراقه. شق ونستون طريقه بصعوبة حتى حشر كتفه بينهما بعنف. للحظة من الزمن أحس وكأن أحشاءه قد انسحقت بين هاتين الكتلتين من اللحم. لكنه نجح في اختراقهما وقد تصبب عرقاً. أخيراً وجد نفسه إلى جانب الفتاة كتفاً لكتف وكلاهما يحدق أمامه دون أن يلتفت إلى الآخر. كان هناك رتل طويل من الشاحنات» تحمل حراساً ذوي وجوه خشبية ومسلحين بالبنادق الآلية يقفون منتصبين في كل زاوية من زوايا الشاحنات» يمر ببطء في الشارع. وفي الشاحنات كان يجلس رجال ضئيلو الأجسام ذوو بشرة صفراء وثياب خضراء رئة اكتظت بهم الشاحنات فاغرين أفواههم غير عابئين بشيء. وكنتا تسمع من حين لآخر قعقعة الأغلال الحديدية التى سُربلوا بها كلما تأرجحت شاحنة. شاحنات تلو شاحنات من الأسرى المساكين كانت تمر. وكان ونستون يشعر بوجود هذه الوجوه لكنه كان يراهم على نحو متقطع. إذ كانت الفتاة تقف بيجانبه وقد التصقت ذراعها اليمنى بمرفقه» وكانت وجنتها قريبة منه بحيث كان يحس حرارتها. وسرعان ما أمسكت الفتاة بزمام الموقف مثلما فعلت حينما كانت في المطعم. وابتدرته بالكلام وبالصوت نفسه الخالى من الانفعالات كالعادة» حيث كانت شفتاها لا 01-80015

تتح ركان إلا بالكاد ولا يخرج منهما إلا همس يكاد يضيع وسط طنين الأصوات وقرقعة الشاحنات. - هل تسمعني؟ - أجل . - هل يمكنك الحصول على إذن من العمل بعد ظهر الأحد؟ - أجل . - إذن اصغ إليّ بعناية وانتبه جيداً لكل ما سأقوله. اذهب إلى محطة بادنجتون. . . وبدقة عسكرية متناهية أدهشته؛ أخذت توضح له الطريق الذي يسلكه كالتالي: رحلة بالقطار تستغرق نصف ساعة» ثم الانعطاف يسارا خارج المحطة ثم السير كيلومترين عبر طريق حتى يصل إلى بوابة تزع قضيبها العلوي اعبرها إلى طريق عبر الحقول يؤدي إلى ممر مغطى بالعشب عبر شجيرات صغيرة إلى أن تصل إلى شجرة ميتة عليها طحالب كثيرة. كان الموقف يبدو كما لو كانت تحمل خريطة داخل رأسها. وآخيرا سالته. رضوت خفض:: - هل يمكنك تذكر كل ذلك؟ - أجل. - إذن» انعطف يساراً ثم يمينا فيساراً ثانية لتجد بوابة نُزْع قضيبها العلوي . - فهمت» لكن في أي وقت؟ - حوالي الساعة الثالثة. ريما ستضطر للانتظار لأننى سأسلك طريقاً آخر. لكن هل أنت متأكد أنك تتذكر جيداً كل ما قلت؟ - أجل. - إذن ابتعد عني بأسرع ما يمكن . 134 010-80015

لم تكن تحتاج إلى قول ذلك. فقد ظلا لفترة من الزمن عاجزين عن تخليص نفسيهما من الجماهير المحتشدة. كانت الشاحنات لا تزال تتتابع والناس فاغرين أفواههم دهشة وعجباً. في البداية كان هناك قليل من صيحات الاستهجان والصفير وكانت تنبعث من أعضاء الحزب فقط ولم تلبث أن توقفت. فقد كانت غريزة حب الاستطلاع تخيم على الأجواء. فالأجانب سواء كانوا من أوراسيا أو شرقاسيا يُنظر إليهم كنوع من الحيوانات الغريبة. إذ لم يكن المرء يراهم إلا في ثياب السجناء وحتى في ذلك لم يكن يستطيع أن يراهم إلا للحظات عابرة كما أن مآلهم كان يظل مجهولاً فباستثناء «تنك اليذه ينيم الدين يتنفود باعتبارهم مجر مي حرب» كان الباقون يختفون تماماً عن الأنظار ولعلهم يرسلون إلى معسكرات الأشغال الشاقة. وغابت الوجوه المنغولية المستديرة لتحلّ محلها وجوه أوروبية قذرة ذات لحى يظهر عليها أثر الإرهاق. ومن فوق خدود ناتئة العظام كانت عيونهم تنفذ إلى عيني ونستون. فتارة تكون نظراتهم قاسية وتارة تذهب بعيداً. وبينما كان رتل الشاحنات يقترب من نهايته رأى ونستون في آخرها عجوزاً كهلاً وفك اكتسى وجهه بشعر أشيب كثيف» يقف منتصباً وقد عقد معصميه معاً بشكل متقاطع أمام صتنة كه لر كان قد إقتاذ أن هما مر تزقر مها . وكان الوقت قد حان لافتراق ونستون والفتاة. ولكن في اللحظة الأخيرة وفيما كانت الجماهير ما زالت محتشدة شبكت يده بيدها وضغطت عليها. لم يستغرق هذا التشابك بين يديهما أكثر من عشر ثوان» ومع ذلك بدا أنهما قد تشابكتا مدة أطول. وكان في ذلك ما يكفي ونستون لمعرفة كل تقاطيع راحة يدها تفصيلاً. فقد تلمّس الأصابع الطويلة والأظافر حسنة التقليم؛ وراحة اليد التي اخشوشنت من أثر العمل وتلمّس اللحم الناعم عند المعصم. وكان مجرد تحسسه لها قميئاً بأن يعرفها لاحقا مع أنه لم يرها. وفي اللحظة ذاتها خطر بباله أنه لم يعرف لون عينيها. ربما

01-80015

أحياناً. وكان من الحمق الشديد أن يلتفت لينظر إلى عينيها. فقد ظلا يحدقان أمامهما باستمرار حتى حين تشابكت يداهما. وبدلاً من أن يتطلع ونستون في عيني الفتاة» رأى عيني الأسير الكهل تحدقان بكآبة في عينيه 1036 80015-01

الفصل الثاني وجد ونستون نفسه يسير عبر ممر يخيم عليه الظل حيناً ويغمره الضوء حيناً آخرء وكان عندما يسرع الخطى تل به قدمه في برك من الماء أكسيتها أغنمة الشعسن المشيرية من خلال أقضان الأسهان لرناً ذهبياً. وكانت الأرض تحت الأشجار التي عن يساره تكتسي بزهور زرقاء تشبه الجرس في تكوينها. وكان يبدو أن الهواء يداعب الوجوه. لِمَ لا واليوم هو الثاني من أيار. ومن مكان ما في قلب الغابة كان ينبعث هديل الحمام . كان ونستون قد وصل إلى مكان اللقاء قبل الموعد المضروب دون أن تواجهه أي صعوبات أثناء الطريق. إذ يبدو أن الفتاة كانت ذات خبرة واسعة تجعلها موضع ثقة في تخيّر الأماكن الآمنة» حتى إن الفزع الذي اعتراه في أثناء رحلته كان أقل مما يكون عليه في المعتاد. ومع ذلك ليس للمرء أن يحسب أنه أكثر أماناً في الريف مما هو في لندن. نعم يخلو الويف من شاشات الرصد بيد أن خطراً آخر يكمن فيه الا وهو الميكروفونات المخبأة عن العيون والتي يمكنها التقاط صوتك وتمييزه» فضلا عن أنه لم يكن من السهل أن تقوم برحلة بمفردك دون أن تلفت إليك الأنظار. وبالرغم من أنه لم يكن من الضروري أن تحصل على جواز مرور ما دامت رحلتك لا تتجاوز المئة كيلو متر. ولكن محطات التكلة التحديدية كرن اخانا مركها لجال الذووية» فإذانها صادفت 137

هنالك أحد أعضاء الحزب فإنها تستوقفه لفحص أوراقه واستجوابه بأسئلة محرجة. غير أنه لم تعترض ونستون في رحلته أي دوريات» ومع ذلك كان وهو في طريقه من المحطة يأخذ جانب الحذر ويتلفت خلفه مرة تلو أخرى عد ازريكون لقتون ينل اتره: كان القطان يزو هما بالعامة الذين تخيم عليهم أجواء الانتعافن المصاحية للعظلة في طفن ضيقئق لطيف. وكانت العربة ذات المقاعد الخشبية التى استقلها ونستون تغص بأسرة واحدة كبيرة العدد تراوح أعمار أفرادها اين جدة طاعنة في السن وطفل رضيع ابن شهر واحد. كانت هذه الأسرة ذاهبة لقضاء بعض الوقت لدى بعض أصهارهم في الريف وأيضاء وحسبما عبّروا بصراحة لونستون» الحصول على قليل من الزبد من السوق السوداء. اتسع الممرء وما هي إلا دقيقة حتى وجد ونستون نفسه أمام الطريق الذي حدثته عنه الفتاة. وكان مجرد طريق للماشية يمتد بين شجيرات قصيرة.

لم يكن ونستون يحمل ساعة ولكنه كان يقدّر أن الوقت لم يبلغ الثالفة مساء بعد. وكانت الزهور الزرقاء التى تشبه الأجراس تكسو الأرقى شك كليت للقالة إل حه ينقد ل عه الانبطاها المون قدت ركع ونستون على ركبتيه وجعل يقطف بعضها ليقتل الوقت من ناحية ولأنه من ناحية أخرى كانت تراوده فكرة غامضة وهي أن يقدم للفتاة باقة من الزهور لحظة لقائه بها. وكان ونستون قد جمع باقة كبيرة وراح يشم رائحتها الزكية عندما أتاه صوت من ورائه جمّد الدم في عروقه. كان الصوت صوت وقع أقدام تطأ الحشائش . ولكنه تجاهله وواصل قطف الزهور غير مكترث إذ ارتأى أن ذلك هو أفضل ما يمكنه عمله. وراح يفكر فيمن يكون هذا القادم» ربما كانت الفتاة وربما كان شخصاً آخر يتعقب خطاه اولان كنت حواليها كان من عان" أن يثير الشكوك حوله» فقد راح يقطف زهرة تلو أخرى حتى أحس بيد تربت على كتفه برقة. رفع وجهه فإذا بالفتاة أمام عينيه. وأشارت إليه محذرة من أن يتفوه بكلمة؛ ثم شقت طريقها عبر الشجيرات لتنفذ إلى داخل الغابة عبر ممر

مس لم يكن ثمة شك في أنها سارت في هذا الممر من قبل» إذْ كانت تروغ من البقع الموحلة كما لو كانت تفعل ذلك بحكم الألف والعادة. وتبعها ونستون وهو ما يزال يقبض على باقة الزهور. في البدء شعر ونستون بالارتياح» بيد أن مراقبته لهذا القوام الممشوق القوي وهو يتبختر أمام عينيه وقد شد على الخصر ذلك الزنار القرمزي شدا يبرز مفاتن الردفين قد كرست لديه الشعور بالدونية ويل إليه أنها ربما تراجع نفسها فى ما هى مقدمة عليه إن هى استدارت ونظرت إليه. لكن عذوبة الهواء فوت اراق الربيع كانتا قد ملاتا رهبة. وكانت شمس أيار في المسافة التى قطعها من المحطة قد أثئارت لديه شعوراً بالخجل من قذارته هري كيعلرق اقيرف الشمسء وقد انسدّت مسام جلده بفعل سخام لندن الذي يكسوها. وتنبه إلى أن الفتاة ربما لم تره حتى الآن في وضح النهار حيث الضوء الساطع. وبلغا الشجرة المتداعية التي حدثته عنها فتجاوزتها الفتاة وشقت لنفسها طريقا بين الشجيرات التي بدت مسدودة» وسار ونستون في أثرهاء وسرعان ما وجد أنهما يقفان في مكح عزن النن لعفي السقر تصسيط نيا ايان رارفة الظلذل لمحب الرؤية . هنا توقفت الفتاة ثم التفتت قائلة : - ها نحن قد وصلنا. وقف محدّقاً فيها تاركاً بينه وبينها خطوات» فهو لم يجرؤ على الاقتراب منها لأكثر من ذلك . واستطردت تقول: «لم أشأ أن أحدئك بشيء ونحن في الطريق خشية أن يكون ثمة ميكروفون مخبأ فى مكان ما. وإن كنت أعتقد أن لس هناك شه من ذلك ولككن يجب أخذ الحيظة على أي حالء فاحتمال التقاط صوتك وتمييزه من قبل أحد الأوغاد يظل احتمالا قائما على الدوام. أمَا هنا فنحن في أمان. ولم يجد ونستون في نفسه من الشجاعة ما يكفي ليتجرّأ به على الدئو منها حتى الآن.

فجعل يردد عبارتها في غباء : «هنا نحن في أمان». «أجل. . انظر حولك إلى الأشجار.» كانت أشجار دردار صغيرة قطعت في يوم من الأيام ثم عادت فنبتت من جديد مكونة غابة من القضبان التى لا تزيد سماكة واحدها غلى سماكة معضم اليد.. وأضافت الفتاة: (لا توجد أشجار كبيرة يمكن إخفاء ميكروفون فيها. عدا عن ذلك فقد جئت إلى هذه البقعة من قبل؟. كان :ذلك تمهيدا لبدة حدكهما "وتغلب وتسعوق على ما تملكه مق رهبة ودنا منها. كانت تقف أمامه منتصبة القامة وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة باهتة ومفعمة بالسخرية وكأنها تتساءل عن سبب إحجامه عن أي فعل حتى الآن. وهنا حدث أن سقطت باقة الزهور التي بين يديه أرضاً وبدا أنها قد سقطت من تلقاء نفسهاء فأمسك بيدها وقال: «أوَتصدقين لو قلت لك إنني لم أعرف لون عينيك حتى الآن؟» ولاحظ للتو أنهما بتّيتاذ أو بالأحرى فيهما ظلال بنية خفيفة أما أهدابهما فكانت سوداء. وسألها: «أمَا وقد رأيتني في وضح النهارء فهل ما زلت تحتملين النظر إلى وجهي؟1' - أجل بسهولة. - إنني في التاسعة والثلاثين من عمريء ومقترن بزوجة لا أستطيع التخلص منها وأعاني من الدوالي ولي خمسة أسنان اصطناعية . فقالت الفتاة: «إن هذا لن يقلل من اهتمامي بك». وفى اللحظة التالية» ودون أن يدري من منهما بادر بذلك»: كانت الفتاة بين ذراعيه . في البداية لم يكن ونستون يصدق ما يجري. فها هو الجسد الغض مشدودٌ على جسده.ء والشعر الأسود يغطى صفحة وجهه. ورفعت الفتاة وجهها فأخد يعطر كفيها الجمرارين بالتلكت؛ وأحاطت عنئقه بذراعيها وهي تناديه بمعسول الكلمات. جذبها إلى الأرض فلم تُبدِ أي مقاومة؛ فكان باستطاعته أن يفعل بها ما يحلو له. لكن الحقيقة أنه 10

لم يكن لديه أي رغبة جسدية تذهب إلى ما هو أبعد من مجرد التماس بينهما. فقد استولت عليه مشاعر الزهو وعدم التصديق. كان مسروراً بما يحدث لكنه لم يكن يشعر بأية رغبة جسدية. لقد حدث كل شيء بسرعة خاطفة إلى حد أن شبابها وجمالها قد أرهباه» بعد أن كان قد أَلِفَ العيش ندوة ناه > وهو يجي ننه ذلله: وقافيكك الفعاة عق الأرفى وابفلت زهرة من شعرهاء وجلست ملاصقة له وهي تلف ذراعها حول خصره وقالت: «هدئ من روعك ياعزيزي. لسنا فى عجلة من أمرنا. وما زال لدينا متسع من الوقت. ألا ترى أن هذه الخلوة رائعة. لقد اكتشفتها عندما ضللت طريقى ذات مرة فى إحدى الرحلات الجماعية. ولو جاء أحدهملامكننا سماع وقع خطاه وهو على بعد ماثة مثر.» سألها ونستون: «ما اسمك؟») فأجابت: «جوليا. إننى أعرف اسمكء. إنك ونستون! ونستون 0 : - وكيف تسنى لكِ معرفة ذلك؟ - أظن أنني أبرع منك في اكتشاف الأشياء يا عزيزي. هل أخبرتني بمشاعرك نحوي قبل أن أعطيك الرسالة في ذلك اليوم؟ لم يشعر ونستون بأي دافع للكذب عليهاء وكان يعتقد أن أفضل بداية لحبهما هو أن يفضي إليها بأسوأ ما كان يكنّ لها. فأجاب: «كنت أكره مجرد رؤيتكء وراودتني كثيراً الرغبة في اغتصابك ثم قتلك بعد ذلك. بل ومنذ أسبوعين كنت أفكر جدّياً في تحطيم رأسك بحجر. وإذا كنت تودين معرفة السبب» فقد ظننت أن بينك وبين شرطة الفكر رباط ما». ضحكت الفتاة مبتهجة, إذ اعتبرت ذلك ثناء على براعتها في التخفي . 1041

وقالت: «هل حقاً ظننت أنني أعمل مع شرطة الفكر؟ أوكنت جاداً في ذلك الظن؟» فأجاب: «قد لا يكون ذلك بالضبط. ولكن مظهرك العام وكونك في ريعان شبابك ومتعافية وجميلة» جعلني أظن أن ذلك محتمل. 21. قالت: «إذن كنت تظن أنني عضوة بالحزب وصادقة في قولي وفعلي. ولعلك اعتقدت أنني من الذين يشاركون في حمل الأعلام وترديد الشعارات والسير في المسيرات والخروج في الرحلات الجماعية وكل ما شابه ذلك. وظننت أنه لو سنحت لي أدنى فرصة للوشاية بك كمجرم فكر لفعلت ذلك حتى يقتلوك؟» - نعم لقد خامرتني أشياء من هذا القبيل. فكما تعلمين هناك فتيات كثيرات يقدمن على ذلك . فقالت وهي تخلع الزنار القرمزي» شعار اتحاد الشبيبة المنامض للجنس وتعلقه على غصن شجرة: (إنها شرطة الفكر اللعينة هي التي تبث هذا الانطباع». بعدئذ» وكما لو أن ملامستها لخصرها قد ذكّرتها بشيء ماء تحسست جيب معطفها وأخرجت منه قطعة شوكولا وقسمتها شطرين وأعطت ونستون أحدهما. وقبل أن يمد يده أدرك من رائحتها أنها من نوع غير عادي» فقد كانت ذات لون غامق ولامع وملفوفة بورق فضى . فالشوكولا التى يعرفها كانت ذات لون بنى كئيب ومتفتتة وكان طننمها أشية:ما'يكوة. رطعم التخان المتيعف من .حزائق أكواء القتمافة: ومع ذلك فقد كان من حين لآخر يتذوق شوكولا مثل تلك الشوكولا. ولقد أهاجت من رائحتها ذكرى لم يستطع أن يستحضرها رغم كونها قوية ومربكة. سألها: «من أين لك هذا؟» فأجابت غير عابئة : «من السوق السوداء». ثم استطردت: «إنني من الفتيات اللواتي يلفتن إليهن الأنظار. إنني رياضية. كما أنني كنت قائدة زمرة في منظمة الجواسيس . وكنت أقوم بثلاث مهمات تطوعية كل 102

أسبوع ضمن اتحاد الشبيبة المناهض للجنس . لقد كنت أمضي الساعات تلو الساعات أجوب أنحاء لندن لألصق ملصقاتهم اللعينة» وفي المواكب كدت إدائماً أحمل طرف من الراية وكانت «مشاعر التهجة بادية عل محياي دائماً ولم يحدث أن تهربت يوماً من شيء يُسْنَد إلي؛ وأشارك الجماهير في هتافها. إن هذه وحدها هي طريق السلامة» . وذابت أول قضمة من الشوكولا على لسان ونستون. كان الطعم لذيذاً. لكن ثئمة ذكرى ظلت تتحرك في أطراف وعيهء ذكرى شيء يستشعره بقوة دون أن يستطيع قولبته في شكل محدد تماماً مثل جسم يراه المرء بطرف عينيه. وكان يحاول أن يطردها عنه وهو يعي أنها ذكرى شيء ما ود لو لم يفعله لكنه لم يستطع ذلك . قال لها: «إنك لا تزالين في مقتبل عمرك. فأنت أصغر مني بعشر أو خمس عشرة سنة. فما الذي أعجبك في رجل مثلي؟» ِ ردت قائلة: الإنه شيء ما في وجهك شجعني على خوض المغامرة. إنني ماهرة في اكتشاف الأشخاص الذين لا انتماء لهم. فما إن رأيتك حتى أيقنت أنك ضدهم؟. وأدرك ونستون أنها تعني الحزب بقولها (ضدهم).؛ وبالأخص قيادة الحزب التي كان حديثها عنها ينم عن كراهية ممزوجة بالسخرية» وهذا ما جعل ونستون يشعر بالقلق رغم علمه بأنهما أكثر أماناً في هذا المكان من أي مكان آخر. بيد أن ما أدهشه هو خشونة عبارتها. فقد كان من المفترض أن أعضاء الحزب لا يتلفظون بالسباب» حتى إن ونستون نفسه كان نادراً ما يفعل ذلك بصوت عال على الأقل. أما جوليا فقد بدا أنها لا تستطيع أن تأتي على ذكر الحزب؛ وعلى الأخص قيادة الحزب» دون أن تستخدم ذلك اللون من الكلمات التي تُرى مرسومة بالطباشير على جدران الأزقة الضيقة الفقيرة. ولم يستقبح ونستون منها ذلك» فهذا علامة على ثورتها على الحزب وكل أساليبه» بل ويبدو دليلا على العافية والصحة. إنه أشبه بالحصان يعطس حين يشم رائحة دريس فاسد. كانا 103

قد تركا تلك البقعة الطبيعية وأخذا يجولان ثانية عبر الظلال المتقطعة وقد لف كل ننتهما ذراعة حول خضر:الآخخر كلما كات بإمكاتهها أن يسيرا تجنياً إلى جنب. ولاحظ أن خصرها قد غدا أكثر ليونة بعدما خلعت عنه الزنار القرمزي. كانا يتحدثان همساً. فخارج البقعة وحسبما قالت جولياء يحسن بهما أن يلتزما الهدوء. وكانا قد بلغا حافة الغابة الصغيرة فاستوقفته قائلة : - لا تخرج إلى الأرض المكشوفة» فقد يكون هنالك شخص يترصدنا. إننا نظل في أمان ما دمنا وراء أغصان الأشجار. لقد كانا يقفان تحت ظل شجيرات البندق بينما كانت أشعة الشمس المتسرّبة عبر أوراق الشجر الغزيرة تلفح وجهيهما. وما إن نظر ونستون إلى الحقل الممتد وراء الغابة حتى أخذت جسمه رجفة بطيئة وغريبة» فقد عرف هذا الحقل بمجرد أن وقع بصره عليه. كان مرعى قديماً مغطى بالعشب ويتخلله ممشىء وتلال الخلد هنا وهناك. وعلى الجانب الآخر من الحقل تدّلت أغصان أشجار الدردار متمايلة مع النسيم وتتحرك أوراقها ببطء وكثافة وكأنها خصلات شعر امرأة. وفى مكان قريب» لكن كار مجال لظن لاني أن تناك دولا ذا ررك شرا تسبح فيها الأسماك؟ وهنا همس متسائلاً: «ألا يوجد جدول ماء بالقرب من هنا؟» - بلى» ثمة جدول عند حافة الحقل التالى. إن فيه سمك كبير الحجم حتى ليمكنك أن تراه فوق صفحة البرك يحرك ذيله أسفل أشجار الصفصاف . فغمغم قائلاً: «إنه الريف الذهبي» تقريبا». - أي ريف ذهبي ذلك؟ - لا شيءء لكنه مشهد طبيعي كنت أراه أحياناً في الحلم . وهمست جوليا: «انظر!» 144

كان طائر الحسّون قد حط على غصن لا يبعد أكثر من خمسة أمثار عنهما وعلى مستوى وجهيهما تقريباً. ويبدو أن الطائر لم يرهماء فقد كان هو في الشمس وكانا هما في الظل . نشر الطائر جناحيه ثم أعادهما بعناية إلى وضعهما الأولء» وخفض رأسه للحظة. كما لو كان يؤدي فرضاً من فروض الطاعة والتبجيل للشمسء وأخذ يصدح بأغانيه. ووسط هدأة ما بعد الظهيرة بدا أن الصوت قد جعل ونستون وجوليا يجفلان فاحتضن كل منهما الآخر مبهورين بذلك الصوت العذب. وانسابت الموسيقى دقيقة تلو أخرى مع تنويعات تبعث على الدهشة» فلم يكرر أي نغمة طوال ذلك وكأنما كان يتعمد استعراض براعته في الغناء. وكان الطائر يتوقف لثوان أحياناً لينشر جناحيه ثم يضمّهما ثانية» ويملأ صدره بالهواء ثم ينطلق في التغريد ثانية. كان ونستون يراقبه ولديه شيء من التبجيل الغامض . وتساءل في نفسه ترى لمن كان الطائر يغرد ولماذا؟ لم يكن بجواره رفيق أو غريم. وما الذي يجعله يحط على غصن من أغصان غابة مهجورة كهذه ويصدح بموسيقاه في العراء وما من أحد يسمعه؟ وتساءل أيكون هنالك بعد كل هذا ميكروفون مخبأ في مكان ما على مقربة منهم؟ إنه وجوليا قد حرصا على أن يكون كلامهما همسأء ولن يستطيع الميكروفون التقاط ما قالاه» لكنه حتما سيلتقط تغريد الحسون. وربما ثمة رجل ضئيل الجسم أشبه بالخنفساء عند الطرف الآخر من الميكروفون ينصت باهتمام إلى ذلك . بيد أنه وبالتدريج استطاع فيض الموسيقى المنسابة أن يطرد كل الهواجس من ذهنه. وكان هِدا القيهن أثنه 'بساكل ايتسكت قوق حعشمه دوجا بأشتعة الشتسين المتسربة عبر أوراق الشجر. وهنا توقف ونستون عن التفكير مكتفياً بما يعتمل فى داخله من أحاسيس . كان خصر الفتاة الذي يحيطه بذراعيه ليئاً لوانا .حلا سد سان سا وس ماد لسار رار اعفن انين يمتزج بجسده. وأينما تحسست يداه كان جسدها مستسلماً كالماء. وتلاقت شفاههما بقبلات مختلفة تمام الاختلاف عن تلك الجافة التي 145

تبادلاها قبل ذلك. وعندما انفك ذلك العناق وتنهد كلاهما تنهيدة عميقة»
جفل الطائر وفزع فأطلق لجناحيه العنان. واقترب ونستون من أذن جوليا وهمس: «الآن؟» فهمست هي أيضاً: «ليس ها هناء هيا بنا إلى المخبأ فإنه أكثر أماناً» . ٠ ومع طقطقة الأغصان تحت أقدامهما راحا يشقان طريقهما نحو الخلوة. وعندما دلفا إلى حلقة أشجار الدردار استدارت نحوه وكان كلاهما يتنفس أنفاساً سريعة متلاحقة ولكن لم تلبث الابتسامة أن ارتسمت على ثغر الفتاة من جديد. أخذت تتمعن في وجهه للحظة ثم تحسست أزرار ثيابها. أجل! كان الموقف أشبه بما رآه في الحلم. فبسرعة كتلك التي تخيلها نزعت عنها ثيابها وحينما طرحتها جانبا كان ذلك بالحركة الرائعة تفسها الى بدا وكأنها تقوّض أركان حضارة بكاملها. وبدا جسدها ناصع العام تعنم ده الشمسء. ولكنه لم يتطلع إلى جسدها من فوره فقد كانت عيناه معلقتين بذلك الوجه الأنمش ذي الابتسامة الخافتة الجريئة. ركع أمامها ثم أخذ بيدها بين يديه. - هل فعلتِ ذلك من قبل؟ - بالطبع مئات المرات أو قل عشرات المرات. - مع أعضاء الحزب؟ - نعم دائماً مع أعضاء الحزب. - مع أعضاء القيادة الحزبية؟ - كلاء ليس مع أولئك الأوغاد. لكن هناك كثيرين منهم تقتلهم الرغبة فيما لو سنحت لهم أدنى فرصة. إنهم ليسوا بهذا العفاف الذي يدعونه . قفز قلب ونستون ابتهاجاً. إذن لقد أتت ذلك الفعل عشرات المرات» وتمنى لو أنها قد فعلته مئات أو آلاف المرات. فكل شيء يشير 146

إلى الفساد كان يملأه بأمل مجنون. من يدري» ربما كان الحزب يواري فساداً مستشرياً تحت هذه القشرة» وما تعاليمه عن التقشف ونكران الذات إلا ستار يخفي وراءه ألوان العسف والجور. وكم ستكون سعادته لو استطاع أن ينقل لهم العدوى بالبرص أو الزهري وأن يفعل كل ما من شأنه أن ينشر الفساد والانحلال في الحزب حتى يمكن تقويضه! ثم حذبها ف الأرمن نيف أصبعا رحبا كع زيال لها كلما ازواد غدد الذين يضاجعونك منهم ازداد حبي لك . هل تفهمين ما أعني؟» - نعم تماماً. - إننى أكره التبتل» وأمقت القداسة! ولا أريد بقاء لأي فضيلة فى أي مكان. أريد أن يستشري الفساد في كل شخص حتى النخاع . - حسنًاً لا بد إذن أننى أناسبك يا عزيزي» فالفساد موغل فيّ - هل تحبين إتيان ذلك الفعل؟ لست أعني معي فقط». وإنما أعني الفعل في حد ذاته. - إنني أحبه حباً جماً. كان ذلك هو عين ما أراد أن يسمعه منها. ليس مجرد حب شخص لآخرء وإنما هي الغريزة الحيوانية والرغبة التي يستوي فيها الناس» إنها القوة التى ستمزق الحزب إلى أشلاء. ومددها فوق العشب وبين الزهور التاقطة: ولم يصادف صعوبة هذه المرة وعادت أنفاسهما إلى الحالة الطبيعية» ثم انفصلا بعدما انتابهما إعياء مفعم باللذة. وكانت الشمس قد اشتدت حرارتها. وأحسا بنعاس يغالبهما. مد ونستون يده إلى معطفها الذي ألقته جانباً وغطى به بعض جسدها. وراحا من فورهما يغطان في نوم عميق امتد بهما زهاء نصف ساعة. كان ونستون هو من استيقظ أولاً فراح يتأمل ذلك الوجه الأنمش» الذي لا يزال نائماً في سلام متوسداً راحة يدها. ولم يكن فيها من جمال 17

يلفت النظر سوى جمال ثغرها. فهنالك خط أو خطان حول عينيها إذا دققت النظر. أما شعرها القصير الأسود الفاحم فكان غزيراً وناعماً بشكل غير عادي. وتنبه في تلك اللحظة إلى أنه لا يزال يجهل اسمها كاملاً أو عنوانها. أثار هذا الجسد الغض القويء الذي ما يزال ساكناً فى نومه. شعوراً بالأسى والرغبة في حمايتها. ولكن الرقة المتناهية والتي ستشعرها وهو تحت شجرة البندق حينما كان طائر الحسون يغرد لم , تعاوده ثانية. وحسر الثوب عن جسدها وراح يتفحص خصرها الغض . وتذكر أن الرجل في الأيام السالفة كان ينظر إلى جسد الفتاة بشهوة ثم يكتفي بذلك. أما في هذه الأيام فلا يمكن أن تحس بالحب الخالص أو الشهوة النقية» فلم تعد هنالك عاطفة نقية لأن كل شيء بات يخالطه الخوف والكراهية. لقد كان عناقهما معركة ونشوتهما نصراً. كانت صفعة على وجه الحزب بل فعل تحدٌ سياسي . 18

الفصل الثالث قالت جوليا: «بإمكاننا أن نأتى إلى هنا مرة أخرى» فليس ثمة خطر في استعمال المخبأ الواحد مرتين» ولكن ليس قبل مضيّ شهر أو ٠. شهرين؟ . حين أفاقت جوليا بدّلت هيئتهاء وأصبحت أكثر تنبّهاً وحيوية فارتدت ثيابها وشدت حزامها القرمزي حول خصرها ثم أخذت ترسم خطة الإياب » وبدا من الطبيعى أن تُترك لها مثل هذه المهمة» فقد كانت تتللة ما ينقده وستوة دن خيرة ؤدهاء مطل ينا عل هذا الام كما كان لذيهنا مغرفة شاملة بالريف المحيظ: بلتدق تراكمت لديها عبز الرحلات الجماعية الكثيرة التي قامت بها. كانت طريق الإياب التي رسمتها له غير تلك التي سلكها في مجيئه حيث جعلته يستقل القطار من محطة غير تلك جاء منها عند ذهابه. وقالت له كمن يرسي مبدأ عاماً وهاماً: «إياك والعودة إلى البيت من الطريق نفسه الذي سلكته في الذهاب». وحسب الخطة كانت ستغادر المكان أولآ فيما يتظر وتستون نصف ساعة قبل أن ينطلق عائداً بعدها. وقد عينت له مكاناً يمكنهما اللقاء فيه بعد انتهاء العمل فى الليلة الربعة من ذلك الكاريع.وعان الجكان بارة عن فتارع مين اكد الأحياء بؤساً حيث توجد سوق مكشوفة تعج دائماً بالضجيج والازدحام» وكان من المقرر أن تتجول بين الحوانيت متظاهرة بأنها تبحث عن رباط 19

نعل أو خخيوط لرتي الثياب» وحين ترى أن المكان آمنٌ فسوف تعطس حينما يقترب منهاء وإن لم تفعل فعليه أن يمر بها كما لو كان لا يعرفها. ااا و الما ارد ير المأمود الار ا ارات التدابك بارع ساعة مستغلين الزحام الحاصل وعندها يمكنهما ترتيب لقاء آخر. وبعدما انتهت من تعليماتهاء قالت: "يتعين عا لخد راق الآن. يجب أن أكون هناك في السابعة والنصف, إذ يفيف أ أناوب ساعتين وتراظة' الدية الجاممة لجسن أنصيهما في تزريم المسرراتبوما شاكلها. أليس في ذلك سّخف؟ من فضلك انفض لي ثيابي . ألا زالت هناك أغصان عالقة بشعري؟ هل أنت متأكد؟ إذن إلى اللقاء ياحبيبي» إلى اللقاء!» ١ قالت هذا وألقت بنفسها بين ذراعيه وأمطرته بقبلات مشبوبة» ثم انسلّت من بين ذراعيه لتشق طريقها عبر أشجار الدردار وتختفي في الغابة دون أن تحدث صوتاً. وحتى هذه اللحظة لم يكن ونستون قد عرف اسمها كاملاً أو عنوانها بعد. لكن ذلك لم يكن ذا أهمية لأنه من المستبعد أن يلتقيا داخل منزل أو أن يتبادلا أي شكل من أشكال الرسائل لم يعودا مرة أخرى إلى ذلك المكان من الغاب. وعلى مدى بقية شهر أيار لم تتح لهما سوى فرصة واحدة لممارسة الحب .. وكان ذلك في مخبأ آخر تعرفه جولياء إنهااغرقة بر كنينة مهلاعة في منطنة ريفيه شبه مهجورة حيث سقطت قنبلة ذرية قبل ثلاثين سنة. كان محا آنا لكن بلوغه كان محفوفاً بمخاطر جمة. أما بقية اللقاءات فكانت تتم في في الشارع» وفي مكان مختلف كل مرّة دون أن يتجاوز لقاؤهما الواحد نصف الساعة. ففي الشارع كان بإمكانهما أن يتبادلا الحديث بشكل ما. وكانا عندما يسيران على الأرصفة المزدحمة يحرصان على ألا يسيران متجاورين أو يلتفت واحدهما إلى الآخرء وفى أثناء ذلك يتبادلان حديثاً مقطا رصيورة كعك على الاسعكراب حرف كان اتخدية اق ضيه 0ظ10

مئارة يومض ويخبوء فمثلاً قد يضطرهما مرور أحد أعضاء الحزب بزيّه الرسمي أو اقترابهما من شاشة رصد إلى صمت مفاجئ ومطبق ثم يستأنفان حديثهما بعد دقائق قليلة مبتدئين من وسط جملة كانا قد قطعا حديثهما عندها. ثم فجأة يمسكان عن الحديث عندما يفترقان في المكان المتفق عليه ليواصلا ما انقطع من حديث في اليوم التالي دون مقدمات ومن حيث انتهيا. وبدا أن جوليا متمرسة تماما على ذلك النوع من الحديث والذي كانت تسميه (الحديث بالتقسيط)؛ كما أنها كانت تتمتع ببراعة فائقة في التحدث دون أن تحرك شفتيهاء ولم يتمكنا إلا مرة واحدة خلال شهر من اللقاءات الليلية من تبادل قبلة وذلك عندما كانا يسيران في شارع جانبي يخيم عليه الصمت (كانت جوليا لا تتحدث مطلقا إلا عندما تكون في شارع رئيسي) وعندما سمعا صوت زئير يصم الآذان» واهتزت الأرض من تحت أقذامهماء وعبق الجوء وكان ونستون ممدداً على الأرض وقد أثخنته الجراح وانتابته حالة من الهلع» لا بد أن قذيفة صاروخية قد سقطت بالقرب منهما. وفجأة لم يشعر إلا ووجه جوليا لا يفصله إلا بضعة سنتيمترات عن وجهه. وكان وجها شاحبا شحوب الموتى حتى إن شفتيها الحمراوين اصطبغتا باللون الشاحب نفسه. وظن أنها لقيت حتفها فضمّها إليه وحينما جعل يقبّلها تبيّن له أنه يقبل وجهاً حياً دافئاً. لكن بعضاً من مادة غبارية حالت بين تلاثم شفاههما إذ كان كلا الوجهين مغطيين بطبقة من الملاط . وكان يحدث في بعض المرات أن يبلغا مكان اللقاء ثم يضطران إلى المرور ببعضهما دون أن يتبادلا ولو إشارة» وذلك إما لأن إحدى الدوريات قد ظهرت في المكان أو لأن حوامة أخذت تحلق فوق الرؤوس. وحتى لو كانت لقاءاتهما لا تنطوي على مثل هذه الأخطارء فقد كان يتعذر عليهما أن يجدا وقت فراغ يلتقيان فيهء لأن ونستون كان يعمل ستين ساعة أسبوعياً في حين كانت جوليا تعمل أكثر من ذلك. كما كانت أيام عطلاتهما تتباين حسب ضغوط العمل ونادراً ما تتوافق. وفي

كل الأحوال كان من النادر أن تحصل جوليا على أمسية خالية تماماً من الواجبات لأنها كانت تمضي وقتاً طويلاً للغاية في الاستماع للمحاضرات» والمشاركة في التظاهرات» وتوزيع المنشورات الخاصة برابطة الشبيبة المناهض للجنسء. وإعداد الرايات الخاصة بأسبوع الكراهية» وجباية الأموال لحملة الادخار وما شاكل ذلك من نشاطات. وكانت تقول في ذلك أنه يفيد كتمويه: «فإذا التزمت بصغائر القواعد يمكنك خرق كبائرها». ومن ثم فإنها حثت ونستون على أن يتطوع بأمسية أخرى يمضيها في إعداد الذخائر وهو ما كان يضطلع به أعضاء الحزب شديدو الحماس. وهكذا كان ونستون يمضي أمسية من كل أسبوع. أربع ساعات من الملل القاتل في تجميع قطع معدنية صغيرة ربما كانت فتائل قنابل في ورشة باردة وسيئة الإضاءة حيث تختلط طَرّقات المطارق» على نحو باعث على الكآبة؛ بالموسيقى المنبعثة من شاشات الرصد. وعندما التقيا في برج الكنيسة كان حديثهما المتقطع يتصل بعد وصل ما تخلله من فجوات. وقد حدث ذلك في ظهيرة يوم قائظ ملتهب حبق كان الهواة فى الخرفة المورعة'الصغيرة الت كعلو الأجرائن بزاكدا وحاراً وتتوح منه رائحة ثقاذة تروك الحمام: وكد جلها لساعات يتحدثان فوق أرضية الغرفة المغطاة بالغبار وبأوراق الشجر المتساقطة. ومن حين لآخر كان ينهض أحدهما ليلقي نظرة عبر ثقوب الغرفة كي يتأكد من عدم قدوم أحد كانت جوليا في السادسة والعشرين من عمرهاء وكانت تعيش مع ثلاثين فتاة أخرى في نزل. (وكان لديها مقولة تكررها: دائماً في مستنقع النساء! لَكم أكره النساء) . كالن أمكل ٠ كما كان يظن» على آلات كتابة الروايات في قسم الخيال وتستمتع بعملها الذي يقوم أساساً على إدارة وتشغيل محرك كهربائي قوي. وبالرغم من أنها لم تكن «بارعة»» فإنها كانت مغرمة باستعمال يديها وتشعر بالارتياح كلما وقفيتأمام الآلق

وكان بوسعها أن تصف المراحل التي تمر بها عملية تأليف رواية ابتداء بالتوجيه العام الذي تصدره لجنة التخطيط وانتهاء باللمسات الأخيرة التي تضعها الفرقة المنوط بها إعادة الكتابة. غير أن جوليا لم تكن تهتم كثيراً بشكل المنتج النهائي إذ كانت تقول إنها لا تأبه كثيراً بالقراءة» فالكتب في نظرها ليست سوى سلعة يتم إنتاجها مثلها مثل المربى وأربطة النعال. لم يكن لديها ذكريات عما قبل الستينات» وكان الشخص الوحيد الذي أتيح لها أن تعرفه وكثيراً ما يتحدث عن أيام ما قبل الثورة هو جدّها الذي اختفى عندما كانت هى فى الثامنة. وفى المدرسة كانت قائدة فريق الفركن: وقازت تنيئالة الاب الجمباوق لدورئين مجاليقين: كنا كانت قائدة فريق (في اتحاد الجواسيس) وأمينة سر أحد فروع رابطة الشبيبة قبل أن تلتحق برابطة الشبيبة المناهضة للجنس . لقد كانت دائما تتمتع بشخصية ممتازة» بل إنها اختيرت (وهي علامة أكيدة تدل على السمعة الطيبة) لكي تعمل في أحد الأقسام الداخلية لقسم الخيال الذي كان ينتج روايات إباحية للعامة. وكان العاملون في هذا القسم ينعتونه ب «ماك هاوس». ولقد أمضت فيه سنة حيث كانت تساعد في إنتاج كتيبات مغلفة ومختومة تحمل عناوين مثل (قصص مثيرة) أو (ليلة واحدة في مدرسة البنات) تسوّق بين شباب العامة في الخفاء فيبتاعونها باعتبارها من المحظورات التي حصلوا عليها. سألها ونستون بفضول: «وعلام تحتوي هذه الكتب؟» - تفاهات مقززة. إنها في الحقيقة تبعث على الملل. فهي جميعها تقوم على ست حبكات فقط تدور حولها ولكنهم يحرّرونها قليلاً في كل مرة. بالطبع أنا لم ألتحق بفريق إعادة الكتابة أبدأء فدوري يقتصر على العمل على المكشاف (الكلايدسكوب) كما أنني لست أديبة يا عزيزي ولا حتى مؤهلة لذلك. عرف ونستون وملؤه الدهشة أن جميع العاملين في هذا القسم. ما عدا رئيسه» من الفتيات. والفكرة كانت أن الرجال أقل قدرة على كبح 163

غرائزهم الجنسية من النساءء ومن ثم كانت المواد التي يتعاملون معها تجعل الرجل أكثر عرضة للفساد. وأضافت قائلة: «إنهم حتى لا يحبذون وجود المتزوجات من النساء ضمن القسمء فهم يفترضون أن الفتيات دائماً عفيفات. ولكن أمامك الان تقف واحدة منهن». في السادسة عشرة أقامت جوليا أول علاقة لهاء وكانت مع عضو من أعضاء الحزب في الستين من عمرهء وانتحر لاحقا ليتجنب القبض عليه. وأضافت : القد أسدى لي بذلك صنيعاً طيباً وإلا لكانوا قد انتزعوا اسمي منه فيما سيدلى به من اعترافات». ومذاك الحين عرفت الكثيرين غيره» فقد كانت الحياة من وجهة نظرها بسيطة للغاية» فالمرء يود لو يمضي أوقاتاً طيبة بينماء هم. وتعني الحزب, يريدون لو يحولوا دون ذلك . ولذا فإن المرء يلجأ لخرق هذه القواعد قدر استطاعته. وبدا أنها تعتقد أن من الطبيعي أنهم يريدون أن يسلبوك ملذاتك بقدر ما هو من الطبيعي أن يحاول المرء الإفلات من قبضتهم . وكانت تكنّ كرها للحزب ولا تتردد في التعبير عن ذلك بأشنع الكلمات. لكنها لم تكن توجه له انتقادات تعميمية إلا حينما يمس الأمر حياتها الشخصية فساعتئذ لم تكن تأبه مطلقاً بعقيدة الحزب. ولاحظ ونستون أنها لا تستعمل مطلقا أيا من مفردات اللغة الجديدة ما عدا تلك المتداولة في الاستخدام اليومي للغة. فمثلاً لم تسمع مطلقاً بما يسمّى «الأخوة» بل وأنكرت وجودها. وكانت ترى أن أي شكل من أشكال الثورة المنظمة ضد الحزب محكوم عليه بالفشل ولا يقوم به سوى الأغبياء والحمقى», وأما الحذاقة في نظرها فهي أن يخرق المرء القواعد ويظل على قيد الحياة بعد ذلك. وتساءل ونستون في نفسه عن عدد الذين يفكرون على شاكلتها من الجيل الأصغرء إنهم أناس تربّوا في عهد الثورة ولم يعرفوا عهداً سواه. حيث يسلّمون بالحزب كما لو كان قدراً مقدّراً لا يتغير مثله مثل السماءء فلا يتمردون على سلطته وأقصى ما يتجرّأون عليه هو أن يروغوا منه كما يروغ الأرنب من الكلب. 154

ولم يتطرقا في حديثهما إلى إمكانية زواجهماء فقد كان ذلك أمراً صعب المنال ويجب حتى عدم التفكير فيه. إذ لا يمكن حتى تخيل فكرة أن تسمح اللجنة المعنية بمثل هذا الزواج وحتى لو أمكن التخلص من كاترين» زوجته السابقة» بطريقة ماء فإن زواجهما كان سيظل أمرا مقطوعاً منه الرجاء تماما كحلم يقظة . وسألته جوليا: «كيف كانت زوجتك؟» فأجابها: الإنها كانت ... هل تعرفين كلمة «التفكير الصالح» في اللغة الجديدة؟ والتي تشير لق الراك الى لاي كار تم الور بل وعدم قدرته على التفكير الطالح؟ . - كلا لم تمر عليّ هذه الكلمة» ولكني على دراية جيدة بمثل هذا النمط من الأشخاص. وبدأ ونستون يروي لها حكاية زواجه وكانت دهشته شديدة حينما استبان له أنها على علم بتفاصيلها الرئيسية بالفعل؛ إذ أمسكت بزمام الحديث بدلاً عنه وأخذت : تصف لهء كما لو كانت قد رأت جسد كاترين أو تحسسته» كيف أنه يتيبس بمجرد ملامسته لها وكيف أنها تدفعه عنها بكل ما أوتيت من قوة حتى حينما تكون ذراعاها تطوقان عنقه. ولم يجد ونستون غضاضة في الحديث عن مثل هذه الأمور مع جوليا. فعلى أي حال لم تعد كاترين وذكراها تقض مضجعه منذ زمن طويل إذ غدت مجرد ذكرى بغيضة على نفسه. قال لها: «لقد كان في استطاعتي احتمالها لولا شيء واحداء وأخبرها عن ذلك الطقس الذي كانت كاترين ترغمه على ممارسته في الليلة نفسها من كل أسبوع. وأضاف: «لقد كانت تمقت هذا الطقس ولكن لم يكن لأي شيء في الوجود أن يجعلها تكف عنه. لقد دأبت على تسميته ... » هل لك أن تخمني؟» قالت جوليا: «واجبنا إزاء الحزب». 155

قال لها: «وكيف عرفت ذلك؟»6 لقد كدت في المدرسة با عريري جيك كلدي من عي دوق السادسة عشرة درسا في الجنس مرة في الشهر. أما داخل حركة الشبيبة فهم يغرسونه فينا غرساً على مدى سنوات» بل وأجرؤ على القول إن ذلك كان يترك تأثيراً عميقاً لدى كثير من الفتيات ولكن لا أحد يمكنه التصريح بذلك فالناس مراؤون جداً فيما يتصل بذلك. وراحت جوليا تسترسل حول الموضوع. فمع جوليا كل شيء يرتبط بغريزتها الجنسية» فحالما يلامس أحد هذه الغريزة فإنها تصبح حادة الذكاء. وهي خلافاً لونستون كانت قد فطنت إلى المعنى الباطني للطهر الجنسي الذي يحث عليه الحزب. فهذه الغريزة لا تني توجد عالماً خاصاً بها خارج سلطان الحزب» ومن ثم كان يتعين استصالها إذا أمكن» بل الأهم من ذلك أن الحرمان الجنسي يفضي بعضو الحزب إلى حالة من الهستيرياء وهو أمر مرغوب فيه حيث يمكن تحويله إلى نوع من حُمَّى الحرب وعبادة الزعيم. وقد بسطت فكرتها على النحو الآتي: اعندنا يكارين البو الجن فإند ينلد قؤاه وييستيي توعامن اللذة تجعله لا يأبه بعدها بشيء. وهم لا يرغبون في ذلكء» لأنهم يريدونك أن تكون شعلة من النشاط طوال الوقت. وليست كل هذه المسيرات التي لا تهدأ وما يصحبها من هتافات وتلويح بالرايات إلا تنفيساً لطاقة جنسية مكبوتة. فلو كان المرء مبتهجا فى قرارة نفسه فما الذي يدفعه للاهتمام بالأخ الكبير وبالخطط الثلاثية ودقيقتي الكراهية والبقية الباقية من ترهاتهم اللعينة». واعتبر ونستون أن ما قالته جوليا صحيحٌ» فثمة صلة وثيقة ومباشرة بين إجبار المرء لنفسه على العفّة وبين ولائه السياسي. إذ كيف يتسنى للحزب ضبط مستوى الخوف والكراهية والتصديق المطلق لدى أعضائه عند الحد المطلوبء إلا من خلال الضبط القسري لبعض الغرائز القوية لاستخدامها فيما بعد كقوة دافعة؟ ولأن الحافز الجنسي كان مصدر خطر 156

على الحزب فقد كان يُحَوّل لمصلحته. وكذلك كانوا يلعبون لعبة ممائلة مع غريزة الأبوة والأمومة» فمع أن مفهوم الأسرة ظل قائماء وظل يتم تشجيع الآباء والأمهات على إبداء حبهم لأطفالهم بالطريقة نفسها المتبعة في العهد القديم تقريباًء فإن الأطفال على الجانب الآخر كان يتم تحويلهم» وبطريقة ممنهجة؛ للعمل ضد أبائهم كما يُدَرّبون على التجسس عليهم والإبلاغ عن أي انحرافات تظهر. وهكذا أصبحت الأسرة امتداداً لشرطة الفكرء ووسيلة لضرب نوع من الحصار حول كل فرد بواسطة عملاء يحصون عليه كل حركاته وسكناته ليلا نهارا. وعلى نحو مفاجئ عاود التفكير في كاترين والتي كانت ولا ريب ستشي به إلى شرطة الفكر لولا أنها كانت من الغباء إلى حدّ يجعلها لا تدك الاندرافات الساضللة فى اراقه سن عقيدة السرية» لك الشوده الذي جعلها تخطر بباله حقيقة هو حرارة الجو الخائقة في ذلك التوقيت والتي جعلت العرق يتفصّد من جبينه» فبدأ يخبر جوليا عن شيء قد حدثء. أو بالأحرى لم يحدث في ظهيرة صيف أخرى شديدة القيظ منذ إحدى عشرة سنة . كان ذلك بعد ثلاثة أو أربعة أشهر من زواجه» حينما ضلا طريقهما أثناء رحلة جماعية في مقاطعة «كنت»» ولم يتخلفا عن الآخرين سوى دقيقتين إذ سلكا منعطفاً خاطئاًء وفي الحال وجدا نفسيهما عند جرف لمحجر طباشير قديم بلغ ارتفاعه ما بين عشرة أو عشرين متراً وفي القاع كانت تتراكم كتل من الصخور. وقد ضلاً طريقهماء وحالما أدركا ذلك بدت كاترين شديدة الانزعاج» فقد كان مجرد بُعدها عن الضجيج المنبعث من أصوات الرفاق كفيلاً بأن يشعرها بأنها قد اقترفت إثماً. وكانك تريد: العوحة شريعا بن الطريق الذي ملكا يفطا كم فيد البيت في الاتجاه الآخر. بيد أنه في هذه اللحظة استرعى انتباه ونستون بعض الزهور التي تنمو وسط شقوق الجرف الذي تحتهما. وكان بعضها ذا لونين» رغم أنهما ينبتان من الجذر نفسه. 1057

ولأن ونستون لم يكن قد رأى زهوراً كهذه من قبل» فقد صاح: «انظري كاترين! انظري إلى هذه الزهور. تلك التي تنمو قرب القاع. إنها ذات لونين مختلفين؟»

كانت كاترين قد ولت وجهها نحو طريق العودة» ولكنها اضطرت مغتاظة أن تعود. وانحنت برأسها فوق حافة الجرف لتنظر إلى حيث يشيرء كان ونستون يقف خلفها على بعد مسافة قليلة منها وقد وضع يده حول خصرها خشية أن تفقد توازنها. وفي هذه اللحظة خطرت بباله فجأة فكرة أنهما وحيدان تماما؛ فما من مخلوق بشري حولهما وما من ورقة شجر تهتز بل ولا طائر يرفرف بجناحيه. وفي مكان كهذا المكان كان احتمال وجود ميكروفون مخبأ احتمالاً جد ضئيل» وحتى لو وُجد ميكروفون فإنه لن يلتقط إلا الصوت. لقد كانت تلك الساعة أشد ساعات الظهيرة قيظاً وأكثرها إغراءً للنوم» حيث كانا يصطليان تحت أشعة الشمس» وتتصبب حبات العرق على وجه ونستون. وسرعان ما غيل يت لذ الكو .1 سألته جوليا: «ولماذا لم تُلقِ بها من فوق الجرف؟ لو كنت مكانك لفعلت»). فقال: «نعم عزيزتي كنت ستفعلين. بل إنني كنت سأفعل» أو ربما كنت سأفعل» ذلك أيضاً لو أنني كنت على ما أنا عليه الآن. إنني لست متأكداً على أية حال». - هل أنتَ آسف على أنك لم تفعل؟ د اأك تالا آنا اع كانا يجلسان جنباً إلى جنب على الأرض المغطاة بالغبار فجذبها إليه وضمها ثم أراح رأسها على كتفه فتغلبت رائحة شعرها الجميلة على رائحة روث الحمام. كانت في ميعة الصبا ولا تزال تنتظر الكثير من الحياة» بيد أنها لم تدرك أن دفع شخص بغيض من فوق جرف والتخلص منه لن يحل المشكلة. 168

قال: «الواقع أن ذلك لم يكن ليغير من الأمر شيئا» . قالت جوليا: «علام إذن الأسف لأنك لم تتخلص منها؟» قال: «لأنني أفضّل الإيجابي على السلبي» ففي هذه اللعبة التي نلعبها ليس فى استطاعتنا أن نفوزء. إذ كل ما فى الأمر أن بعض الفشل أهون من بعض». ١ وحينذاك أحس بارتعاشة سرت في كتفيها كدلالة على عدم موافقتهاء إذ كانت تعارضه دائماً كلما ثفوه بأشياء من هذا القبيل. .فهى لا تسلّم إطلاقاً بفكرة أن قانون الطبيعة يحكم على الفرد دائماً بالهزيمة . وبطريقة ما كانت تعلم أن مصيرها إلى زوال؛ ذاك أن شرطة الفكرء إن عاجلا أو آجلآء ستلقي القبض عليها وتزيلها من الوجود. لكنها من وجهة نظر أخرى كانت تؤمن أنه من الممكن» بشكل من الأشكال» إقامة عالم يعيش في الخفاء ويمكنك العيش فيه حسبما تشاء وتختار. وكل ما تحتاج إليه لتحقيق ذلك العالم هو حظ ودهاء وجرأة. بيد أنها لم تدرك أنه ليس ثمة ما يسمى بالسعادة» وأن النصر الوحيد الذي يمكن تحقيقه قابع في المستقبل البعيد الذي سيأتي بعد موتك بأمد طويل» كما لم تكن تدرك أنه يجدر بالمرء أن يعتبر نفسه جثة بلا روح منذ اللحظة التي يعلن فيها الحرب على الحزب . علّق: «إننا في عداد الموتى». فقالت جوليا بإصرار: (إننا لم نمت بعد). قال: «أوافقك أننا لم نمت جسدياً. لكن بعد ستة أشهر» سنة» خمس سنوات حسبما أتصور سنكون من الموتى. إنني أخاف الموت» وأنتٍ أصغر مني سناً وربما تخافين الموت أكثر مني. لا ريب أننا سنحاول إرجاء قدومه قدر المستطاع» وإن كان ذلك لن يغير من حقيقة الأمر شيئاء فما دام الإنسان هو الإنسان فإن الموت والحياة لديه يصبحان وجهين لعملة واحدة). 159

قالت جوليا: «إن هذا لهراء. ترى مع أي منا تحب أن تنام الآن» معي أم مع هيكل عظمي؟ ألا تستمتع بكونك على قيد الحياة؟ ألا تحب أن تتحسسني؟ ها أنا ذاء وهذه يدي». وهذه ساقيء أنا حقيقية» أنا برجودة» إش بن الاق عنا؟ة : ودنت منه لتضغط بصدرها على صدره. أحسّ نهديها ناضجين وبارزين من خلال معطفها. وبدا جسدها كما لو كان يصبّ بعضا من عنفوانها وحيويتها في جسده. فأجاب: «بلى» أحب ذلك». قالت: «إذن كف عن ذكر الموت. والآن أصغ إليّ عزيزي» علينا أن نتفق على موعد لقائنا القادم» يمكننا أن نعود إلى مكاننا في الغاب» فقد غبنا عنه فترة طويلة» ولكن يجب علينا أن نسلك طريقاً آخر هذه المرة. لقد حددت كل شيء. استقل القطار... لكن انظرء سأرسمه لك)2. وبطريتتها العناءة تبعت جزءا ميغيراً من الأرفن المغظاة بالقبار: واستلّت ريشة من عش حمام وراحت ترسم خريطة الطريق. 1060

الفصل الرابع راح ونستون يُقلّب نظره في زوايا الغرفة الوضيعة الصغيرة الكائنة فوق حانوت السيد شارنغتون. كان فيها سرير ضخم ينتصب مرتباً بجوار النافذة وعليه أغطية بالية. وكان فوق المتكأ العلوي للمدفأة ساعة عتيقة من ذات الاثني عشر رقما تسمع دقاتها. وفي زاوية الغرفة شبه المعتمة كان يومض وعلى نحو ضعيف ثقل الورق الزجاجي الذي اشتراه في آخر زيارة له إلى ذلك الحانوت . قرب سياج المدفأة كان هنالك موقد زيتي من الصفيح أكل الدهر عليه؛ فضلاً عن إبريق وفنجانين أمدّه بها السيد شارنغتون. أشعل ونستون شريط الموقد ثم وضع فوقه إبريق الماء ليغلي» وكان قد أحضر معه عبوة من قهوة النصر وبعض مكعبات السكرين. كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة مساءء فيما هي في الواقع السابعة والثلث. أما موعد وصول جوليا فكان في السابعة والنصف. راح قلبه ينبض خوفاً بكلمات: إنها لحماقة! إنها لحماقة» إني أجرجر نفسي متعمداً إلى موت زؤام مجاني» فالجريمة التي أوشك على ارتكابها هي من الجرائم التي لا يمكن لعضو الحزب أن يتملّص منها. لقد انبجست في ذهنه هذه الفكرة للمرة الأولى وأثارتها في مخيلته رؤيته للثقل الزجاجي الذي انعكس على سطح الطاولة المطوية. وكما تكهن فإن السيد شارنغتون لم يجد غضاضة في أن يؤجر الغرفة له» وبدا جلياً 1061

أن حفنة الدولارات التي سيدرّها عليه ذلك قد سورّته كثيراً حتى أنه لم يظهر عليه أي أثر لصدمة أو شعور بالتأذي لدى معرفته بأن ونستون ينوي أن يتخذها ملاذاً لممارسة الحب» بل وعلى النقيض من ذلك راح يتظاهر بعدم المبالاة وجعل يسترسل في الحديث عن مبادئ عامة وبلهجة لطيفة تعطنى: انطتاعا ببأنة اليس له وجو بالخرفة: :وفال لبن كانت الخسومية قينا نهدا جدأء فالمرء يحتاج من وقت لآخر إلى موئل يختلي فيه بنفسه؛ وأصول اللياقة الاجتماعية تقضي بأن يحتفظ كل من تناهى إلى معرفته هذا الأمر بالمعلومات لنفسهء ب وبدا وكأنه يتلاشى نهائياً ويلخي وجوده وهو يضيف قائلاً: «إن للمنزل مدخلين» أحدهما يمر عبر الساحة الخلفية ويطل على زقاق». وتحت النافذة كان هنالك شخص يغني» فاسترق ونستون النظر محتمياً وراء ستار الموسلين؛ وكانت شمس حزيران لا تزال في كبد السماءء حيث كان ينظر في الساحة التي غمرتها الشمس إلى تلك المرأة الضخمة التي يدها يمان المتين أشبه بعمود نورماندي» فكانت ذات ساعدين مفتولي العضلات حمراوي اللون تلفّ حول خصرها مئزراً» كما كانت تروح وتجيء بين وعاء الغسيل والحبل حيث كانت تعلق أشياء صغيرة بيضاء اللون أدرك ونستون أنها حفاضات أطفال» وكانت كلما انتهت من مشاجب الغسيل التى تحملها بين شفتيها تنطلق بالغناء بصوت جهوري: اكان حلماً مقطوع الرجاء مر كيوم من نيسان ولكن بنظرة وكلمة وأحلام أثاروها استلب مني فؤادي». ظلت أصداء هذه الأغنية تتردد في أنحاء لندن على مدى أسابيع» لقد كانت واحدة من أغنيات مشابهة لا حصر لها يوجهها أحد فروع قسم الموسيقى إلى العامة» وكانت كلماتها تؤلف دون أي تدخل بشري 1062

بواسطة جهاز يعرف باسم «الناظم». غير أن المرأة كانت تغنيها بطريقة بعثت الحياة في كلماتها ما جعل هذه السخافات الكئيبة تتحول إلى أصوات تبعث على السرور. كان ونستون يسمع المرأة وهي تغني» كما يسمع وقع احتكاك حذائها وهي تجرجره على أحجار الشارع مختلطاً بصراخ الأطفال في الشارع. كما كان يتناهى إلى السمع هدير خافت لحركة الشاحنات يأتي من أفق بعيد» ومع ذلك ظل سكون عجيب يخيم على الغرفة» وربما كان مردّ ذلك عدم وجود شاشة رصد في الغرفة. وعاد يحدث نفسه: يا لها من فكرة حمقاء»ء إنه لمن المستبعد التردد على هذا المكان لأكثر من بضعة أسابيع بغير افتضاح سترهما. ولكن فكرة أن يمتلكا مكاناً مغلقاً وآمناً وفى متناولهما كانت تمارس على كليهما إغراء لا يقاوم» إذ تعذّر عليهما لفترة بعد لقائهما في برج الكنيسة ترتيب لقاءات جديدة» فقد ازدادت ساعات العمل بشكل لا يُحتمل استعداداً لفعاليات «أسبوع الكراهية». ومع أنه كان لا يزال هناك شهر قبل حلول هذا الأسبوع فإن الاستعدادات الهائلة والمعقدة التي تسبقه ألقت بمزيد من الأعباء على كاهل كل شخص. وأخيراً تمكن كل منهما من تدبير نصف يوم عطلة في اليوم نفسهء وكانا قد اتفقا على أن يعودا إلى مخدعهما في الغاب. وفي المساء الذي سبق الموعد المضروب التقيا على نحو خاطف في الشارع» وكالمعتاد لم يتطلع ونستون مباشرة إلى جوليا وهما يسيران واحدهما في اتجاه الآخر في قلب الزحام» بيد أنه مع ذلك لاحظ من خلال هذه النظرة الخاطفة أن جوليا أكثر شحوبا من وحينما تبيّن لها أن لا خطر يتهددها إن هى تكلمت» غمغمت تقول القداتم إلخاء الموعب أتعد موه العذة .د" أجاب ونستون: «ماذا؟» قالت: «لن أستطيع المجيء بعد ظهر الغدا. قال: «ولِم لا؟» 1063

أجابت : اللسبب المعتاد نفسه. لقد بدأت الاستعدادات أبكر فى هذه المرة؟.
1 وتملّك ونستون غضبٌ عارم. فخلال الشهر الذي مضى كان ثمة تغيير قد طرأ على طبيعة رغبته إزائها. في أول الأمر كانت مفعمة بالقليل من الشهوة الحقيقية» وكان أول لقاء حب يضمهما بمثابة عمل صادر عن إرادة لا رغبة. لكن ذلك تغيّر في المرة الثانية»؛ إذ إن رائحة شعرها وفمها وملمس بشرتها قد تغلغلت في جوانحه وملأت الهواء الذي يحيط به وأصحت ضرورة بالسبة إليهء بل امتحالت شيعا لا بريد قحسي بل يشعر أيضا بأن من حقه الحصول عليه. ولذلك فعندما قالت إنها لن تستطيع المجيء ساوره شعور بأنها تخادعه؛ ولكن في هذه اللحظة ازداد ضغط الزحام فالتقت أيديهما مصادفة» وشعر بها تضغط على أطراف أصابعه بشكل لا يثير الرغبة بل يحرك العاطفة. وحدثته نفسه أن المرء حينما يعيش مع امرأة يجب أن يعتبر خيبة الرجاء هذه أمراً عادياً وحدثاً متكرراًء وهنا شعر بعاطفة مشبوبة إزاءها كما لم يشعر من قبل. ومنّى نفسه لو أنه قد تزوجها قبل عشر سنوات» ولو أنه كان يستطيع أن يمشي جياتي لحرت الما خهاده لان دكن علانية ودون خوف. ويتبادلان الحديث حول التفاهات ود يشتريان معاً احتياجات بيتهما. وفوق كل ذلك تمنى لو كان لديهما مكان يختليان فيه معاً دون رقيب أو حسيب وبغير أن يكون لزاماً عليهما أن يمارسا الحب في كل مرة يلتقيان فيها. لم تكن فكرة استئجار غرفة السيد شارنغتون قد خطرت له في تلك اللحظة؛ بل حدّث ذلك في اليوم التالي» ولم يكد يعرضها على جوليا حتى قبلتها بسرعة لم يتوقعها. كان كلاهما يعي أن هذا عمل طائش. إذ كانا كمن يحفران قبريهما بمحض إرادتهما. وبينما كان يجلس على حافة السرير راح يفكر ثانية في زنزانات وزارة الحب. إنه لأمر غريب أن هذا الفزع المحكوم به على الإنسان يجتاح وعيه حينا ويختفي حيناء فهو يكمن هناك في المستقبل» ويستبق الموت تماما مثلما يسبق الرقم 99 المائة. 1604

فالمرء لا يستطيع تحاشيه وإن كان يستطيع إرجاءه؛ ومع ذلك فإن على المرء من حين لآخر أن يختار بمحض إرادته أن يقصّر الفترة التي تسبق وقوعه. وفي تلك اللحظة سمع ونستون وقع أقدام سريعة على السلم اندفعت على أثرها جوليا إلى داخل الغرفة» وكانت تحمل حقيبة أدوات من قماش خشن بني اللون مثل تلك التي كان يراها تحملها في أروقة من الوزارة. فنهض وتقدم نحوها ليأخذها بين ذراعيه ولكنها تخلصت منه بسرعة ربما لأنها كانت لا تزال تحمل الحقيبة. وقالت: «لحظة من فضلكء. دعنى أريك ما أحضرت معى. هل خش خسف ون النفد الع الايد انف فنلكاه: يمكدات أن ترمي له بعيدا لأننا لن نحتاج إليه بعد الآن. انظر». ونزلت على ركبتيها وفتبحت الحقيبة وأخرجت ما بها من مفاتيح ربط ومفكات كانت تغطي القسم الأعلى منها حيث كانت تضع تحتها عبوات ورقية أنيقة. وكانت العبوة الأولى التي ناولتها إلى ونستون ذات ملمس غريب وغامض بعض الشيء» لقد كانت معبأة بمادة ثقيلة أشبه بالرمل . قال: «ما هذا؟ سكر؟» - إنه سكر حقيقى لا مكعبات السكرين. وهذا رغيف من الخبزالخبز الأبيض الرائع» لا الخبز الكريه الذي يُعطى لنا. وها هي علبة صغيرة من المربى. وإليك بعضا من الحليب. لكن انظر هذا هو الشيء الذي أفتير .به بحعا لق د اقطروت لله بقظمة من الخيش لأنسو م" ولم تكن ثمة حاجة لأن تشرح له لماذا اضطرت للف هذا الشيء؛ فقد كانت رائحته قد ملأت الغرفة بالفعل وكانت رائحة غنية ودافئة بدت وكأنها انبعاثات آنية من عالم طفولته الأولى: رائحة لا تصادف المرء في الوقت الراهن إلا حينما تفوح من خلف باب موصد يطل على ممر أو تنبعث بطريقة ما في شارع مكتظ بالناس حيث يستنشقها المرء للحظة ثم تختفى ثأنية . 2 165

همس ونستون بدهشة: (إنه بن بن حقيقي». - إنه البن الذي يشربه أعضاء الحزب الداخلي. إليك كيلو كاملاً منها. - ولكن كيف تسنى لكِ الحصول على مثل هذه الأشياء؟ - إنها كلها مواد خاصة بالحزب الداخلي. ليس ثمة ما ينقص هؤلاء الأوغاد. ولكن بطبيعة الحال يستطيع الخدم والندل أن يسرقوا بعضاً منها خلسة ... انظر لقد حصلت على عبوة من الشاي أيضاً. جلس ونستون القرفصاء بجانبها ومزق إحدى عبوات الشاي ثم صاح قائلاً: «إنه شاي حقيقي لا أوراق شجر العليق». وقالت جوليا بغموض: «لقد أصبح لديهم كميات كبيرة منه في الآونة الأخيرة كما لو كانوا قد احتلوا الهند أو شيئاً من هذا القبيل. والآن أصغ إليّ عزيزي: إني أريدك أن تدير ظهرك لثلاث دقائق. اذهب واجلس على الجانب الآخر من السرير ولا تقترب من النافذة ولا تستدر نحوي إلا عندما أطلب منك ذلك». وراح ونستون يحدق من خلال ستار الموسلين وهو غائب الذهن. وكان يبدو أن المرأة ذات الساعدين حمراوي اللون لا زالت تروح وتجيء في الساحة بين وعاء الغسيل وحبل الغسيل . وأخرجت مشجبي غسيل من فمها وهي تغني بحس عميق : اليقولون إن الزمن يداوي كل الجراح تقولون إن المرء بوسحة ذائما اسان بيد أن الابتسامات والدموع عبر السنين ما تزال حتى الآن تقطع نياط قلبي!») كان يبدو أن المرأة تحفظ جميم مقاطع هذه الأغنية عن ظهر قلب. وأخذ صوتها يسري لأعلى محمولا على أجنحة نسيم الصيف العليل وعلى لحن رقيق مفعم بشعور ينم عن سعادة تخالطها الكآبة. وكان

الناظر إليها يخامره شعور بأنها ستكون راضية كل الرضا لو أن أمسية حزيران هذه قد امتدت بلا نهاية ولو أن ما لديها من ثياب مغسولة لا ينفد حتى تظل على حالها هذه لألف عام تعلق فيها حفاضات الأطفال وتردد الأغنيات التافهة. وتنبه إلى أن من غريب الحقائق أنه لم يسبق له أن سمع عضوا من الحزب وهو يغني وحده وبهذه التلقائية» إذ كان ذلك قمينا بأن يبدو شكلاً من أشكال عدم الولاء وانحرافاً عن مبادئ الحزب وشذوذاً خطيراً يرقى إلى مستوى كلام المرء إلى نفسه. وربما لم يكن اللا لحتو عر قوع للغديايه الا حييا نيوت علوي افير المت جوعاً. مرّت الدقائق الثلاث» فقالت جوليا: «يمكنك أن تستدير الآن؛. استدار ونستون وللحظة بدا له أنه لا يعرفها. وكان فى الحقيقة يتوقع أن يراها عارية: بيد أنها لم تكن كذلك فالتحول الذي جرى عليها كان أكثر إثارة للدهشة من التعري. ذلك أنها كانت قد طلت وجهها بمساحيق الزينة وتلويناتها. لا بد أنها قد انسلّت إلى أحد الحوانيت الكائنة فى أحياء العامة واشترت لنفسها مجموعة من أدوات الزينة. كانت شفتاها قد ازدادتا احمراراً ووجنتاها قد توردتا وأنفها قد طاله شيء من المسحوق» بل وكان هناك أثر لشيء ما تحت عينيها يجعلهما أكثر بريقاً. نعم» لم يكن قيامها بذلك كله قد تم ببراعة» ولكن مقايبس ونستون أيضا في مثل هذه الأمور لم تكن رفيعة» إذ لم يسبق له أن رأى أو حتى تخيل امرأة من الحزب تصبغ وجهها بمساحيق الزينة. لقد كان التغيير الذي طرأ على مظهرها مثيراً للدهشة» فهي لم تصبح أكثر جمالاً فحسب بل أيضاء وهو الأهم. أكثر أنوثة. وقد زاد من روعة مظهرها هذا شعرها القصير وزيها الصبياني. وما إن ضمها بين ذراعيه حتى غمرت أنفه رائحة زهور بنفسج صناعي » وعادت به الذاكرة في الحال إلى العتمة التي كانت تخيم على المطبخ شبه المعتم سيّئ الذكر وإلى المرأة ذات الفم كالمغارة. ورغم أن 167

عطر جوليا هو نفسه العطر الذي كانت تستعمله تلك المرأة» لكنه فى هذه اللحظة كان ذا أثر مغاير. 1 وصاح: «وعطر أيضاً!» - أجل يا عزيزي. عطر أيضاً. هل تدري ما أنوي عمله في المرة التالية؟ سوف أجيء بثوب نسائي حقيقي وألبسه هنا عوضاً عن هذه البنطلونات اللعينة! سوف ألبس أيضاً جورباً حريرياً وحذاء عالي الكعب. أريد أن أكون في هذه الغرفة امرأة لا رفيقة حزبية.' ثم خلعا ملابسهما وقذفا بها بعيداً واعتليا السرير الخشبي الضخم. كانت هذه هي المرة الأولى التي يتجرد فيها من ثيابه كاملة مع جولياء فحتى تلك اللحظة كان ما يزال يشعر بخجل شديد من جسمه النحيل الشاحب وتلك الدوالي البارزة في بطتي ساقيه وكذلك البقعة المشوهة اللون فوق كاحلهء ولم يكن فوق السرير أي شراشف سوى تلك البطانية البالية التي كانت خيوطها قد بليت حتى أصبحت ملساءء وما إن رقدا عليها حتى تملكتهما الدهشة من ضخامة السرير ومرونة نوابضه. وقالت جوليا: «لا ريب أنه محشو بالبق» لكن ذلك لا يعنينا في شيء!» لم يعد المرء يرى أسرة مزدوجة هذه الأيام اللهم إلا في بيوت العامة. لقد نام ونستون في واحد منها في صباه؛ أما جوليا فلا تتذكر أن فرصة كهذه أتيحت لها من قبل . وللتو راحا في نوم عميق لفترة وجيزة. وعندما استيقظ ونستون كانت عقارب الساعة قد زحفت حتى قاربت التاسعة مساءء لكنه لم يتحرك لأن جوليا كانت لا تزال نائمة متوسدة ذراعه. كانت معظم مساحيق زينتها قد انتقلت إلى وجهه فضلا عن الوسادة» لكن ثمة بقعة خفيفة من اللون الأحمر كانت لا تزال تبرز جمال وجنتيها. وفوق مؤخرة السرير كان شعاع أصفر من أشعة الشمس الغاربة يسقط فينعكس ضوؤه على موقد النار حيث يغلي الماء في الإبريق. أما في الأسفل» في الساحة» فكانت المرأة قد كفّت عن الغناء» إلا أن صياح الأطفال في 168

الشارع كان يتناهى إلى مسامعه عبر النافذة. وأخذ ونستون يتساءل في غموض عما إذا كان أمراً طبيعياً في ماضي الأيام الغابرة أن ينام معاء في سرير مثل هذا ووسط الجو المنعش لأمسية صيفية كهذه» رجل وامرأة وهما متجردين من كل ثياب» يمارسان الحب متى شاءا ذلك ويتبادلان الحديث متى شاءاء ودون أن يشعرا بأن ثمة ما يضطرهما إلى مغادرة فراشهما. هل كان أمراً عادياً أن يضطجعا بكل بساطة لا يشغلهما إلا الإصغاء إلى الأصوات الهادئة الآتية من الخارج؟ لا ريب أن شيئاً من ذلك لم يكن عادياً في يوم من الأيام. وهنا استيقظت جوليا وفركت عينيها ثم رفعت نفسها متكئة على مرفقها ونظرت إلى الموقد الزيتي. وقالت: «لقد تبخر نصف الماء» سأنهض وأعدّ بعض القهوة خلال لحظة. أمامنا ساعة بعد. في أي ساعة يقطعون الكهرباء عن شققكم؟» - في الحادية عشرة والنصف مساء. - إنهم في نزلنا يقطعونه في الحادية عشرة مساءء ولكن علينا أن نكون هناك قبل ذلك لأن .. . آه ما هذا؟ اخرج أيها الوحش القذر! وألقت ببعض جسمها فجأة من فوق السرير حيث التقطت حذاء من علق الأرقن وقدقك نه بسركة صبيائية تجو ؤاوية من زؤانا الفرقة): كماما كما رآها تلقي بالقاموس في وجه غولدشتاين في ذلك الصباح أثناء ١دقيقتي الكراهية» . سألها بدهشة: (ما هذا؟» - إنه جرز رأيته يمد أنفه اللعين من ثقب فى الغطاء الخشبى. لقد ليع عن إلى جاناء 1 1 - ففغم ونستون: «اجرذان! حتى في هذه الغرفة!» فقالت جوليا غير أبهة وهي تعاود الاضطجاع: - إنها موجودة في كل مكان. حتى في مطبخ نزلناء كما أن بعض المناطق في لندن تغص بها غصاً. هل تعلم أنها تهاجم الأطفال؟ نعم إنها 169

تفعل . وفي بعض الشوارع لا تجرؤ أم على ترك طفلها بمفرده لدقيقتين. إن الجرذان الضخمة بنية اللون هي التي تهاجمء وأقبح ما يفعله هذا النوع من الجرذان هو أنها دائماً . . فقاطعها وشعوة بعبضيا عينية تمان + «كفاك حديكا كن هذا الموضوع». - ما بالك يا حبيبي» لقد شحب لونك. ما الأمر؟ هل تصيبك رؤيتها بالغثيان؟ - إن أكثر ما يرعبني في هذا العالم هو الجرذان. فضمّته إلى جسدها وأحاطته بأطرافها كأنما أرادت أن تبث فيه الطمأنينة بدفء جسدها. لكنه لم يفتح عينيه مرة أخرى مباشرة» فقد مرت به لحظات تملكه خلالها شعور بأن ذلك الكابوس الذي كان لا يفتأ يشانه زن ع لخر طرال افد عاوده من نديد لقد كان داكا الكابوس نفسه الذي يرى فيه نفسه واقفاً أمام جدار من الظلام وعلى الجانت الأغرز كان كنة قي لا يفكن احقمالة» إنه شه كزية على النفس لآ يمكن اللمرء مواجهعه : وفي ذلك الخلم الكابوس كات ما يستحوذ عليه هو شعوره بأنه يخادع ذاته» لأنه في واقع الأمر كان يعلم ما وراء هذا الجدارء ويجهد جهيدء وكأنما ينتزع قطعة من مخه كان يمكنه أن يخرج هذا الشيء ف إل الكون. بيد ألم كان داتنا يتعفظ دوة أن يكتنه هوية ذلك الشيء: رغم أنه كان يبدو وكأن رابطاً ما يربطه بما كانت جوليا تتحدث عنه حينما قاطعها. - إنني آسفء لا شيء» كل ما في الأمر هو أنني لا أحب الجرذان. - هدئ من روعك حبيبي» فلن نبقي على هذه الحيوانات اللعينة كام نا حجر هذا اعقب يقطعة دي اليك قبل أن تسترفي رقن المرة العالاعين تووية مادم لكي معدن الاكقك راتونعان اله مضمون . 10

كانت نوبة الفزع التي انتابت ونستون قد أخذت في الزوال. ولشعوره بالخجل من نفسه جلس متكئاً على مقدمة السرير» في حين كانت جوليا قد نهضت وارتدت زيها الرسمي وأعدّت القهوة. كانت الرائحة المتضاعدة من الغاذية قؤية وقاذة د انهم أوضة الافقة حقية تسربها إلى الخارج لثلا تلفت الأنظار وتصبح الغرفة مثارا للشكوك. ولم يكن ثمة ما هو ألذ مذاقا من القهوة إلا ذلك الطعم حريري الملمس الذي أكسبها إياه السكرء الذي كاد ونستون ينساه بعد أن ظل لسنوات لا يستعمل إلا السكرين. أما جوليا فقد أخذت تتجول في الغرفة وقد دسّت إحدى يديها في جيبها فيما الأخرى تمسك بقطعة خبز بالمربى وهي تتطلع بلا مبالاة إلى رف الكتب في محاولة لاستكشاف أفضل الطرق لإصلاح قوائم الطاولة المطوية» ثم ألقت بنفسها فوق المقعد البالي ذي المسندين لترى ما إذا كان مريحاً أم لا؟ ثم مضت تتفحص الساعة ذات الاثني عشر رقماً عتيقة الطراز بارتياح من يتسلى بشيء» ثم حملت الثقل الزجاجي إلى السرير لتمعن النظر فيه. ولكنه أخذها من يدها مأخوذا كالعادة بمنظر الزجاج الناعم الذي يشبه ماء المطر. فسألته جوليا: «ماذا تظن هذا يا ترى؟» - لا أظن أنها شيء مهمّء أقصد أنه لم يسبق لها أن كانت ذات فائدة في يوم من الأيام. وهذا هو ما أحبه فيها. إنها أثر من الماضي فاتهم أن يمحوه. إنها رسالة يعود تاريخها إلى مئة عامء هذا إن استطاع المرء أن يقرأها. وأومأت جوليا صوب الصورة ذات القضبان المحفورة والمعلقة فوق الحائط قائلة: «وماذا عن هذه الصورة؟ هل يمكن أن يكون عمرها مئة عام؟» أجاب ونستون: «أكثر من ذلك» ربما مئتي عام. لكن هذا ما لا يستطيع أحد أن يجزم فيهء فقد بات من المستحيل على المرء أن يحدد عمر أي شيء في هذه الأيام» . 171

ودنت جوليا من الصورة لتنعم النظر فيها ثم قالت وهي تركل الغطاء الخشبى للحائط أسفل الصورة مباشرة: «ها هو الثقب الذي أطل الجرذ اللعين بأنفه منه. ما هذا المكان؟ أذكر أنني رأيته قبل ذلك». قال ونستون: «إنها كنيسة؛, أو على الأقل كانت كنيسة القديس سانت كليمنت دان). وحينئذ كانت أصداء مقطع الأغنية التي لقنه إياها السيد شارنغتون قد عاد يتردد في ذاكرته وأضاف بلهجة مفعمة بالحنين إلى الماضي: ابرتقال وليمونء تقول اجراس سانت كليمنت!» ولدهشته أكملت جوليا المقطع بما يلي : الإنك مدين لي بثلاث فارذنج» تقول أجراس سانت مارتن» فمتى ستدفعيها؟ تقول أجراس أولد بايلي ...») وأضافت تقول: «لست أذكر ماذا تقول الأغنية بعد ذلك. ولكني أذكر أنها تنتهي على النحو الآني: ها هي شمعة تستضيء بها إلى فراشك؛ وها هو سيف لحر رقبتك». كان الأمر أشبه بمقطعين تتألف منهما كلمة سرء ولكن كان لا بد أن يكون ثمة شطر آخر بعد «أجراس أولد بايلي»» ربما يمكن انتزاعه من ذاكرة السيد شارنغتون إذا أمكن تذكيره به على نحو مناسب . سألها: «لكن من علمك هذا؟» - إنه جَدَيء لقد اعتاد أن يرددها لي وأنا بعد فتاة صغيرة. لقد تبخر عندما كنت في الثامئة أو اختفى على أي حال. وأضافت بشكل غير متجانس : كر ماذا كان شل اللسمرئة؟ لقد رايت البمرتقال» إنه فاكهة مستديرة صفراء اللون ذات قشرة سميكة. قال ونستون: «أنا أستطيع تذكر الليمون» لقد كان شائع الانتشار في الخمسينات وكان شديد الحموضة إلى حد يجعلك تصرين صريرا على أسنانك بمجرد أن تتذوقيه». 2آ1

قالت جوليا: «أراهن أن هذه الصورة تؤوي بقًّاً خلفها. سوف أنزلها من مكانها وأنظفها جيداً في يوم من الأيام. أظن أن وقت انصرافنا قد حان. يجب أن أبدأ في إزالة هذه الزينة عن وجهيء يا له من عمل مزعج. وسوف أزيل أحمر الشفاة عن وجهك فيما بعد. ولم ينهض ونستون رغم مرور بضع دقائق أخرى. كان الظلام قد بدأ يسدل ستاره على الغرفة» فاستدار ناحية انبعاث الضوء وراح يحدق في الثقل الزجاجي . وما كان يثير لديه دهشة لا تنقطع ليس قطعة المرجان بل لب الزجاج الذي يحيط بها والذي كان يبدو شفافا كالهواء رغم عمقه السحيق . وبدا كما لو أن سطح الزجاج قوسا سماوياً يضم عالماأ صغيرا بكل أجوائه. وانتابه شعور بأنه يمكنه أن يدلف إلى هذا العالم» بل إنه في الواقع موجود بداخله مع السرير الخشبي والطاولة المطوية والساعة والقضبان المحفورة والثقل الزجاجي ذاته. فالثقل بمثابة الغرفة التي تحتويه وقطعة المرجان هي حياة جوليا وحياته وهما مثبتتين بنوع من الروابط الأبدية في قلب البلور ذاته. 173

الفصل الخامس اختفى سايم. ففي ذات صباح تغيّب عن عمله؛ ولم يتساءل عن سبب اختفائه إلا بضعة أشخاص مغفلين. وفي اليوم التالي أصبح طي النسيان ولم يأت على ذكره أحدء وفي اليوم الثالث ذهب ونستون إلى قاعة قسم السجلات ليلقي نظرة على لوحة الإعلانات» وكانت إحداها تحمل لائحة بأسماء أعضاء لجنة الشطرنج التي كان سايم عضواً فيهاء وبدت اللائحة كما كانت تبدو من قبل تماماء إلا أنها نقصت اسما واحداً. وكان في ذلك دلالة كافية على أن سايم لم يعد له وجودء بل لم يكن له وجود من قبل على الإطلاق . كان الطقس حاراً جدّاء وفى الوزارة الأشبه بالمتاهة والمعدومة النوافذ كانت لذو قي سكن انراد الول ورف در 1 أما في الخارج فكان لهيب الحرارة على الأرصفة يشوي أقدام المارة كما كانت رائحة قطارات الأنفاق المزدحمة في ساعات الذروة تزكم الأنوف» وكانت الاستعدادات لأسبوع الكراهية تجري على قدم وساق» وموظفو كافة الوزارات يعملون ساعات إضافية» إذ كان يتعين عليهم تنظيم المواكب والاجتماعات والاستعراضات العسكرية والمحاضرات والتماثيل الشمعية والعروض السينمائية وبرامج شاشات الرصدء كما كانوا يعملون على نصب الحوامل للتماثيل وصّنع دمى لشخصيات معينة ونقش الشعارات وصياغة الأغاني وإطلاق الشائعات وتزييف الصور. ولذلك 114

توقفت وحدة جوليا في قسم الخيال عن إنتاج الروايات من أجل الإسراع
فى إصدار سلسلة من المنشورات التى تصور الفظاعات التى يقترفها الأعدامى
انانونميدين كانه إهافة إن عملم الساد» يضرف السافات الطوال كل يوم في مراجعة
ملفات الأعداد القديمة من صحيفة التايمز وذلك لتغيير أو تحريف فقرات إخبارية كان
يتعين الاستشهاد بها في ما سيلقى من خطابات. في تلك الأيام كانت المدينة في حركة
محمومة حيث تنزل الجموع المثيرة للشغب من العامة لتطوف في الشوارع في أوقات
متأخرة من الليل» كما كانت القذائف الصاروخية تتساقط على المدينة بمعدل يفوق أي
وقت آخرء وكان دوي انفجارات هائلة يسمع عن بعد دون أن يجد أحد تفسيراً له؛ الأمر
الذي كان يسمح بتطاير شائعات لامعقولة حولها. وكان اللحن الجديد لأغنية أسبوع
الكراهية (وكانوا يطلقون عليها أغنية الكراهية) يبثّ عبر شاشات الرصد دون توقف.
لحن كان في عمومه أبعد ما يكون عن الموسيقى بسبب ما كان يميزه من إيقاع وحشي
يجعله أقرب إلى نباح الكلاب وأشبه بدق الطبول» كما كان يزرع الذعر في النفوس
حينما تزأر به مئات الحناجر على وقع أقدام الجند وهي تضرب الأرض . أما العامة فقد
أغرموا بها حتى أنها دخلت فى المنافسة مخ الأغنية القديعة النى كانت لا توال تحظى
الديهم: تشعبية كبيرة والني تقول «كان حلماً مقطوع الرجاء»» كما كان أطفال بارصون
يعزفونها ليل نهار وبصورة لا تحتمل على أسنان مشط وقطعة من ورق الحمام. وهكذا
أصبحت أمسيات ونستون أكثر ازدحاما بالمهام من أي وقت مضى» كما شكلت فرق من
المتطوعين يقودها بارصون كانت مهمتها هي إعداد الشوارع لاستقبال أسبوع
الكراهية» فيحيكون الرايات ويرسمون الصور ويخطون اللافتات وينصبون صواري
الأعلام فوق المنازل ويمدون الأسلاك عبر الشوارع» بشكل يعرضهم للخطرء لاستقبال
المحتفلين من حَمَلَة الأعلام. وكان بارصون يباهي» وهو في أوج نشاطه وسعادته» بأن

بنايات النصر وحدها ستعرض أربعمائة متر من قماش الرايات» كما بدا أن شدة الحرارة والعمل اليدوي قد أعطياه الذريعة للعودة إلى ارتداء السروال القصير والقميص المفتوح في المساء» كما غدا شعلة من النشاط والحركة إذ تراه دافعاً شيئاً وجارًا آخرء ناشراً أو طارقاً بمظرقة؛ يلاطف هذا ويمازح ذاك بطريقة رفاقية» ويقوم بما تمليه عليه المواقف. وهو في كل ذلك كان يطلق من كل طية من طيات جسمه ما بدا معينا لا ينضب من عرق كريه الرائحة يزكم الأنوف. وفجأة ظهرت ملصقة جديدة في كافة أرجاء لندن» لم تكن تحمل أي كتابات أو تسمية بل كانت تمثل صورة مخيفة لجندي أوراسي يراوح طوله ما بين ثلاثة إلى أربعة أمتار وهو يخطو إلى الأمام بوجه منغولي جامد الملامح منتعلاً حذاء ضخماً ومتأبطاً مدفعاً رشاشاً. ومن أي زاوية نظرت إلى الملصقة بدت فوهة المدفع على نحو أكبر وأقرب وهو يسددها نحوك مباشرة. ولم يُترك مكان خال على جدار في لندن إلا وُلقت عليه هذه الملصقة حتى أنها فاقت صور الأخ الكبير عدداًء بل لقد كانت تدفع بالعامة الذين يقفون في العادة موقفا لامباليا من الحرب إلى الانخراط في نوبات من السعار الوطني. وانسجاماً مع هذه الأجواء كانت القذائف الصاروخية تتساقط مسببة في إزهاق الأرواح بأعداد أكثر من المعتاد» وحدث أن سقطت إحداها على قاعة سينما غاصة بروادها في حي «استيبني» فدفنت مئات الضحايا تحت الأنقاض» فخرج جميع سكان الجوار للتشييع في جنازة ضخمة سارت لساعات طويلة وقد كانت في الحقيقة مسيرة غضب. كما سقطت قذيفة أخرى على قطعة أرض خربة كان يستخدمها الأطفال كملعب فمزّقت العشرات منهم إلى أشلاء. وكانت ثمة مظاهرات ساخطة تجوب الشوارع تُحرق فيها دمى تمثّل غولدشتاين وتُمزق المئات من الملصقات التي تصور الجندي الأوراسي ويقذف بها جميعاً لألسنة اللهب» ثم تنهب المتاجر أثناء أعمال الشغب التي تترافق مع المظاهرات. وسرت شائعة بعدئذ مفادها أن جواسيس 16

كانوا يوجهون هذه القذائف الصاروخية عبر موجات لاسلكية» فقام المتظاهرون بإضرام الثيران في أحد المنازل العائدة لزوجين عجوزين من أصل أجنبى كانت الشكوك قد ثارت حول ضلوعهما فى ذلك فماتا اختناقاً بالدخان .˚ جوليا وونستون وكلما تسنى لهما بلوغ الغرفة الكائنة فوق حانوت السيد شارنغتون كانا يضطجعان جنبا إلى جنب فوق السرير المجرد من الأغطية تحت النافذة وهما عاريين جرّاء شدة الحرارة. وبالرغم من أن الجرذان لم تعاود الظهور فإن البق قد تكاثر على نحو مخيف بسبب الحرارة الشديدة» ولكن يبدو أن أي من ذلك لم يكن ينتقص من سعادتهماء فقد كانا يعتبرانها جنة سواء أكانت قذرة أو نظيفة.» وكانا بمجرد وصولهما إلى الغرفة يمطران كل شيء بوابل من الفلفل الذي ابتاعاه من السوق السوداء» ثم ينزعان ثيابهما ويمارسان الحب معا والعرق يتصبب من جسديهما حتى يستغرقا في نوم عميق» فإذا ما أفاقا وجدا البق وقد جمع صفوفه واحتشد لشن هجوم مضاد. وقد بلغ عدد مثل هذه اللقاءات خلال شهر حزيران ما بين أربعة إلى سبعة. وفي هذه الأثناء كان ونستون قد أقلع عن عادة شرب الجن تماماً وكأنه لم يعد بحاجة إلى ذلك» كما غدا جسمه أكثر امتلاء ولم تعد دوالى ساقيه ظاهرة عدا بقعة بنية فوق كاحله؛ وزالت عنه نوبات السعال التي كانت تنتابه كل صباح؛ كما لم يعد يرى الحياة حملاً ثقيلاً لا يطاق أو يشعر بالحاجة الماسة لأن ينظر بغضب نحو شاشة الرصد أو يطلق اللعنات بأعلى صوته. والآن وقد أصبح لديهما ملاذ آمن هو بمثابة المنزل لهماء فقد باتا لا يشعران بالضيق من كونهما لا يلتقيان إلا مرات قليلة ولا يمكثان معاً في كل مرة سوى ساعتين. إذ كان همّهما منصباً على أن الغرفة الكائنة فوق الحانوت ينبغي أن تظل موجودة وكان مجرّد أنها موجودة ولم تُنتهك حرمتها يشعرهما بارتياح يكاد يضاهي ذلك الذي يشعرانه حينما يكونان بداخلهاء. إذ كانت الغرفة تمثل لهما عالما خاصا

كما باتت جيباً من جيوب الماضي تستطيع الحيوانات المنقرضة أن تسير فيه» وكان ونستون يرى في السيد شارنغتون حيواناً منقرضاً هو الآخر. وقد اعتاد ونستون أن يتوقف, كلما هم بالصعود إلى الغرفة» لدقائق اانه جع جو طرف الحدوة بع للد ودار عاو ادي كلررانادر يا يغادر حانوته ولا يأتيه إلا القليل من الزبائن» فقد كان يعيش حياة أشبه بحياة الأشباح تبدأ من ذلك الحانوت المعتم الضيق وتنتهي في المطبخ الخلفي الأشد ضيقاً حيث كان يعد فيه وجباته والذي كان يحتوي» من بين ما يحتوي» على مذياع قديم جداً (غرامافون) ذي بوق هائل. وكان ذلك الوتدوة بر كلجا ستعت له زرط الدلزيك ع بومحون؛ وكان في تجواله بين متاعه عديم القيمة» بأنفه الطويل ونظارته الغليظة وكتفيه المقوستين في معطفه المخملي» يبدو كهاو لجمع التحف أكثر منه تاجراً. وبشيء من الحماس الفاتر كان يشير بأصابعه إلى هذه القطعة من الخردة أو تلك - كسدادة قنينة من الصيني أو غطاء مطلي لعلبة سعوط مكسورة أو علبة مغلقة تحتوي على خصلة من شعر طفل مات منذ زمن طويل» وكل هذا دون أن يسأل ونستون إن كان لديه رغبة في شراء أي منهاء فكل ما يطمح إليه هو أن تحوز إعجاب ونستون. أما الحديث معه فكان أشبه بالإصغاء إلى رنين صندوق موسيقي اهترأت أوتاره حيث كان ستتحضر من زوايا ذاكرتة يعضا من القضائد النئسية» فكانت إحداها تدور حول أربعة وعشرين شحروراً وأخرى حول بقرة ذات قرن مكسور وثالثة عن موت الديك روبين المسكين. وكان كلما استذكر بعض المقاطع يقول بضحكة خافتة مستنكرة: لقد خطر لي أنك ربما تهتم بذلك» بيد أنه لم يكن يستطيع أن يتذكر أكثر من أبيات قلائل من كل قصيدة . وكان ونستون وجوليا يدركان» وبطريقة لا تفارق بالهماء أن دوام حياتهما على هذه الحال أمر محال. وكانت تمر بهما أوقات يخيل إليهما فيها أن موت وشيكاً يحدق بهما تماما كالسرير الذي يرقدان فوقهء

وحينذاك كانا يلتصقان أحدهما بالآخر وقد تملكتهما شهوانية يائسة مثل روح هالكة دنت لحظتها وتريد إشباع شهواتها وملذاتها قبل أن تدق ساعة هلاكها. وفى أوقات أخرى كانا يعيشان شعور أن حالهما هذه ليست آمنة تحني رإنما أرقا ذاك دوموفة» كنا كانا ونور اقار كنا عا داعا وى هده الغرفة فلن يلحقهما أي مكروه. ومع أن الوصول إلى الغرفة كان شاقاً ومحفوفا بالمخاطر إلا أنيا كانت ليما عكرما إمنا لقد كان وشكوة يعابة فيها شعور كذاك الذي ينتابه عندما يحدق في قلب الثقل الزجاجي» ويحس بأن في مقدوره الدخول إلى ذلك العالم الزجاجي جاه صر أن يدلف إليه فإن بوسعه أن يوقف دوران الزمن. وكثيرا ما كانا يسلمان قيادهما لأحلام يقظة تدور حول إمكانية إفلاتهما من موت محتوم» فقد يظل الحظ حليفاً لهما إلى أجل غير منظور فيستطيعان مواصلة مؤامرتهما على هذا النحو في البقية الباقية من حياتهما الطبيعية» أو قد تموت كاترين ويفلحان» بمناورة بارعة؛» في الحصول على إذن بالزواج» أو قد نفخران فعا أو قا توارفاة عن العدون ووككزان مهنا يفيت ا يعرفهما أحد ويتعلمان الكلام بلهجة البروليتاريا حصا على شل بن أحد المصانع ويعيشان ما بقي لهما من حياة في شارع خلفي بعيدا عن العيون. بيد أن كل تلك الأحلام كانت محض هراء ولم يكن ذلك يغيب عن إدراكهما. ففي واقع الأمر لم يكن أمامهما من مهرب» فحتى الخطة الوحيدة القابلة للتطبيق» وهي انتحارهماء ما كان في نيتهما وضعها موضع التنفيذ. لقد كانت إخياتهما من يتوم إلى :نوم ومن اسبوع إلى أسبوع. وهما يغزلان خيوط خافر ثلا مستقيل له تبدو أمرا غريريا ا يمكنهما صده. تماماً مثلما تظل الرئتان تجذبان النفس تلو النفس ما دام الهواء 00 وفى أحيان أخرىء كانا يتحدثان عن الانخراط فى ثورة حقيقية على سلطان الحزب ولكن دون أن يكون لديهما أدنى تصور عن الخطوة الأولى فى ذلك السبيل. وحتى لو كانت حركة «الأخوة» الخرافية 19

موجودة حقاًء فإن اختراق عالمها يظل عقبة كأداء» وقد تحدث ونستون إلى جوليا عن تلك الألفة الموجودة؛ أو التي يخيل إليه أنها موجودة؛ بينه وبين أوبراين» وعن ذلك الدافع الذي كان يراوده أحياناً في أن يلتقي أوبراين ويفصح له عما يكئه من عداوة للحزب ويطلب منه العون في ذلك. ومن الغريب حقاً أن جوليا لم تكن تعتبر ذلك عملا متهوراً يتعذر الإقدام عليه؛ إذ كانت اعتادت أن تحكم على الناس من سيماء وجوههمء ولذا بدا لها أن من الطبيعي أن يعتقد ونستون بأن أوبراين جدير بالئقة لمجرد ذلك التلاقى الذي حصل مرة بين شعاعي البصر للايهما. وضلا عن ذلك فقد كانت تعتقد اعتقادا راسكاً بآن كل شتخض تقريباً يضمر في قريرته نقمة على الحزب وأنه لن يتردد في خرق القواعد من م عناقنة .ذللف + :ولكتها رفضت أن تؤمن بآن معازضة واسبعة النظاق ومنظمة موجودة أو يمكن أن يكتب لها الوجود. إذ كانت ترى أن ما يداول من حكايات عن غولدشتاين وجيشه السري ما هي إلا خرافات اختلقها الحزب خدمة لأغراضه وعليك أن تتظاهر بأنك تؤمن بها. وفي مرات لا يحصى عددها كانت تجد نفسها في تجمّعات الحزب وفي تظاهراته العفوية» تهتف بأعلى صوتها مطالبة بضرورة إعدام أشخاص لم تكن قد سمعت بأسمائهم من قبل كما لم تكن تصدق أي من الجرائم المزعومة التي نسبت إليهم. وعندما تنعقد المحاكمات العلنية» كانت تأخذ مكانها بين مفارز اتحاد الشبيبة» التي تحيط بقاعات المحاكم منذ الصباح وحتى المساء؛ وهي تردد من حين لآخر «الموت للخونة». أما خلال دقيقتي الكراهية فكانت دائماً تبرّ رفيقاتها في كيل الإهانات وصب اللعنات على غولدشتاين مع أنها لم يكن لديها أدنى فكرة عمن يكون غولدشتاين هذا أو عن معتقداته وما يمثّل. لقد أدركت الحياة في عهد الغورة» أما قبل الثورة فكانت صغيرة ولا يمكنها أن تتذكر شيئاً عن المعارك الأيديولوجية التى دارت رحاها فى الخمسينات والستينات . وكان وجود شيء مثل الحركة الاقف السكفلة أمرا لاسن دود 1060

وككانك 'تؤامن بأن الخوت كوه لأ تقهين»: وآأنه شيظل قاتما كما هو أبذ الدهر. وكل ما فى استطاعة المرء فعله هو أن يتمرد عليه بالعصيان سرأ اهلان الأككر بأعمال علق مظرنة كقدلن شبخص أر تف كاية ا : وكاتة جوت اكد وهنا ع عون وافل تاثرا يقاضانة الجوت: فذات مرة» عندما عرّج في حديثه معها على الحرب ضد أوراسياء هاله قولها بأنها تعتقد أنه لم يكن هنالك من حربء وأن القذائف الصاروخية التي تتساقط يومياً فوق لندن ربما كانت تطلقها حكومة أوقيانيا بنفسها لا لشيء إلا «لإبقاء الشعب في حالة من الفزع»» وهذه فكرة لم تكن قد خطرت ببال ونستون إطلاقاً» كما أنها أثارت في نفسه شيئاً من الحسد عندما أخبرته بأن العقبة الكبرى التي كانت تواجهها خلال دقيقتي الكراهية هي تحاشي الضحك عالياً. وكانت تتشكك في تعاليم الحزب» خاصة حينما تمس هذه التعاليم بطريقة يقة ما حياتها الخاصة» وقد كانت في غالب الأحوال على استعداد لقبول الأساطير المؤسسة للحزب وذلك لأن الفرق بين الحقيقة والزيف أمر لم يكن يهمها من بعيد أو قريب» فمثلاً كانت تصدق ما تعلمته في المدرسة من أن الحزب هو الذي اخترع الطائرات. أما ونستون فكان يذكر أنه في أيام دراسته في أواخر الخمسينات تعلّم أن الحزب اخترع طائرات الهليكوبتر فقط. ولكن بعد مرور اثنى عشر عاماًء عندما كانت جوليا فى المدرسة؛ ادّعى الحزب أنه اخترع الطائرة» ولا يك آنه فعل عرو جيل أخر ددع اختراعه للمحرك البخاري. وعندما أخبرها أن الطائرات كانت موجودة قبل أن يولد» بل وقبل أن تقوم الثورة بوقت طويل» وجد أنها لا تعير هذه الحقائق انتباهاً. فمهما يكنء, ما هي أهمية أن نعرف من الذي اخترع الطائرات؟ بل وراعته الصدمة أكثر حينما اكتشف من ملاحظة عابرة وردت في حديثها أنها لا تذكر أن أوقيانيا كانت في حرب ضد شرقاسيا وفي سلام مع أوراسيا منذ أربع سئوات. صحيح أنها كانت تعتبر مسألة الحرب برمتها ادعاء زائفاً. ولكن من الواضح أنها لم تنتبه إلى أن اسم العدو قد تغير» 1061

إذ قالت بغموض: «كنت أظن دائماً أننا فى حرب مع أوراسيا». وقد أخافه ذلك . فاختراع الطائرات يعود إلى ما قبل مولدها بزمن طويل» ولكن التحول في الحرب لم يحدث إلا قبل أربعة أعوام أي بعد أن كانت قد نضجت ووعت الحياة. ودخلا في حجاج حول ذلك الموضوع زهاء ربع الساعة. وفي النهاية نجح ونستون في إرجاع ذاكرتها إلى الوراء حتى تذكرت على نحو غير واضح أنه في وقت من الأوقات كانت شرقاسيا لا أوراسيا هى العدو. ولكنها ظلت ترى أن هذه المسألة عديمة الأهمية. وقالت بصبر نافد: #وماذا يهم؟ إنها دائماً حرب دموية تتلوها حرب دموية أخرىء والكل يعرف أن هذا كله محض أكاذيب». أحياناً كان يحدثها عن قسم السجلات وعن التزويرات الوقحة التي تتم. وقد أدهشه أن معرفتها بمثل هذه الأشياء لم تفزعهاء ولم تكن تشعر بالهوة السحيقة والرّعب عندما علمت أن الأكاذيب هناك تتزيا بزي الحقائق. وقص عليها ما كان من 'أمر جونز وآرونسون ورازرفورد وقصاصة الورق الخطيرة التي حدث ووقعت بين يديه ذات مرة. إلا أنها لم نتأثر كثيراً بذلك: بل ولم تفطن في بداية الأمر إلى مغزى ما يورده من شواهد في القصة فسألته : - هل كانوا أصدقاءك؟ - كلاء فأنا لم أعرفهم أبداًء لقد كانوا أعضاء في الحزب الداخلي» فضلاً عن أنهم كانوا أكبر مني سنا وكانوا من بقايا الأيام الغابرة التي سبقت الثورة» ولا أكاد أميزهم بالنظر. - إذن ما الذي يقلقك؟ فالناس دائماً يلقون حتفهم ويُقتلون» أليس كذلك؟ حاول أن يجعلها تفهم استثنائية الوضع» وأن الأمر ليس مجرد قتل شخصء فسألها: «هل تعلمين أن الماضيء ابتداء من الأمس» قد تم محوه محواً تاماً؟ وحتى إذا كان له أي وجود فقد يكون في أشياء قليلة مصمتة لا كلمات عليها مثل ذلك الثقل الزجاجي . إننا نكاد لا

شيئاً محدداً عن الثورة والسنوات التي سبقتهاء فكل السجلات تم إتلافها أو تحريفهاء وكل كتاب أعيدت كتابته» وكل صورة أعيد رسمهاء واسم كل تمثال وشارع وبناية حري اسكيدالة: وكل تاريخ جرى تحريفه» وما زالت هذه العملية متواصلة يوما بيوم ودقيقة بدقيقة. لقد وصلنا إلى نهاية التاريخ » وانتفت صفة الوجود عن كل شيء عدا الحاضر الذي لا نهاية له والذي يتطى'يآن الحرب دائما على حق. إنني أعلم بالطبع أن الماضي يزيف ولكن لن يكون بمستطاعي إطلاقا أن آني ببرهان على ذلك حتى لو كنت أنا الذي قمت بالتزييف. فبمتجرد الانتهاء من التزييف يجري إحراق كل دليل حي. والدليل الوحيد هو ذلك الذي يبقى داخل عقلي ولا أعرف يقيناً إن كان هنالك إنسان آخر يشاركني في ما أحمل في ذاكرتي أم لا. وطوال حياتي لم أعثر على دليل مادي وملموس إلا مرة واحدة وبعد أن كان الحدث قد مضى عليه سنوات». - لكن وما النفع من ذلك؟ - لم يكن ذا نفع لأنني ألقيت به في المحرقة بعد بضع دقائق. لكن لو أن ذلك حدث اليوم لكنت احتفظت به. فقالت جوليا: «أما أنا فلم أكن لأحتفظ به! إنني على أتم الأهبة للمجازفة ولكن فقط من أجل شيء جدير بهذه المجازفة لا من أجل قصاصة من صحيفة قديمة. ماذا كان باستطاعتك أن تفعل لو أنك احتفظت بها؟») أجاب قائلاً: «ربما لم أكن لأفعل الكثيرء ولكنه كان دليلاً على أي حال؛ دليلاً قد يزرع بعض الشك هنا و هناك على افتراض أنني كنت سأتجرّأ على إطلاع البعض عليه. إنني لا أتخيل أنه سيكون بمقدورنا أن نغير أي شيء في حياتنا الراهنة» ولكن بوسع المرء أن يتخيل إمكانية ظهور جيوب صغيرة للمقاومة تظهر هنا وهناك» في شكل جماعات صغيرة من الأفراد يشد بعضها إزر بعض» وتأخذ في التكاثر تاركة وراءها ولو بضعة سجلات حتى يتسنى للجيل التالي أن يبدأ من حيث انتهينا؛ . 153

فقالت: الإنني لست مهتمة بالجيل التالي يا عزيزي. ما يهمني هو نحن» .
فقال لها: (إنك ثائرة من خصرك فما دونه فحسب». رأت فى ذلك دعابة لطيفة منه فعانقته ضاحكة وهى فى غاية لم تكن جوليا لتعير أدنى اهتمام لعقيدة الحزب وتفرعاتها. وحالما كان ونستون يبدأ الحديث عن مبادئ الاشتراكية الإنجليزية والتفكير المزدوج وسيرورة الماضي وإنكار الواقع الموضوعي ويأخذ في استخدام كلمات من اللغة الجديدة؛ كان يبدو عليها الملل والارتباك وتقول إنها لم يسبق أن أبدت اهتماماً بمثل هذه الأمور. فالمرء يعلم أنها كلها محض سخافات». فعلام يقلق نفسه بها؟ كانت تعلم متى يجب عليها الهتاف ومتى يجب السباب؛ وذلك هو كل ما كان يحتاج إليه المرء. وإذا ما أصر ونستون على الحديث عن مثل هذه الموضوعات كانت تستسلم للنومء فقد كانت من النوع الذي يستطيع أن ينام في أي ساعة وفي أي وضعية. ومن حديثه معها أدرك أنه من السهل أن يتظاهر المرء بالولاء للحزب وهو لا يدرك حتى معنى الولاء. وبطريقة ما» فرضت نظرة الحزب نفسها على أناس لا يقدرون حتى على فهمهاء فجعلتهم يقبلون انتهاكاته الفاضحة للحقيقة لأنهم لم يستطيعوا أبداً أن يفهموا ذلك» كما أنهم لم يكونوا يبدون القدر الكافي من الاهتمام بما يحدث حتى يمكنهم فهم التزوير لوقائع الحياة. ولقد كان لافتقادهم للفهم فضل في جعلهم بمأمن من الجنون. لقد كانوا ببساطة يبتلعون كل شيء ولم يكن ما يبتلعونه ليصيبهم بأي أذى لأنه لا يترك أي رواسبء» بل يمر كما تمر حبة القمح في جوف طائر دون أن يهضمها. 104

الفصل السادس وأخيراً حدث ما كان ونستون يترقبهء لقد جاءته الرسالة المرتقبة والتي خيل إليه أنه أمضى كل حياته منتظراً مجيئها . فبينما كان يسير عبر الممر الطويل بالوزارة قرب النقطة التي وضعت فيها جوليا رسالتها خلسة في يده. شعر بأن شخصاً يفوقه في الحجم يسير وراءه مباشرة. وقد سعل هذا الشخص سعلة خافتة توطئة لبدء حديثه. فما كان من ونستون إلا أن توقف فجأة واستدارء فإذا به أمام أوبراين . وأخيراً أصبح ونستون وجهاً لوجه مع أوبراين» وبدا لونستون أن حافزاً واحداً يحركه الآنء وهو أن يلوذ بالفرار. وأخذ قلبه يخفق خفقانا شديداء وانعقد لسانه عن الكلام» ولكن أوبراين واصل سيره في الاتجاه نفسه وربت على كتف ونستون بلطف حتى يتسنى لهما أن يسيرا جنباً إلى جنب. ثم استهل كلامه بأسلوب ينم عن وقار واحترام فريدين كانا يميزانه عن غالبية أعضاء الحزب الداخلي. وقال: «لقد كنت أتحين فرصة للحديث معكء فقد قرأت بالأمس إحدى مقالاتك باللغة الجديدة في صحيفة التايمزء وبدا لي أنك تولى هذه اللغة اهتماماً علمياً أكاديمياً» أليس كذلك؟» كان ونستون قد استعاد بعضاً من رباطة جأشه. فقال: «لا أستطيع أن أقول إنه اهتمام علمي» فأنا هاو لها فقطء كما أنها ليست موضوع

تركيباتها الفعلية» . فقال أوبراين: «ولكنك تكتبها ببراعة وأسلوب واضحء
وهذا ليس رأيى وحدي. فقد كنت أتحدث مؤخراً مع أحد أصدقائك وهو لا شك من الخبراء بها. ولكن لا تسعفنى ذاكرتى باسمه فى هذه اللحظة. ؛ عاد قلب ونستون يخفق بشدة من جديد» إذ لم يكن ذلك إلا إشارة إلى سايم» وسايم لم يكن قد مات فحسب» وإنما امّحى وكأنه لم يكن له وجود. وباتت أي إشارة محددة إليه تنطوي على خخطر قاتل. ولذلك ظن ونستون أن ملاحظة أوبراين هى بمثابة إشارة أو شيفرة» وكونه يشترك معه في جريمة من جرائم الفكر مهما صغرت» فإن ذلك يجعلهما شريكين. وتابعا السير ببطء عبر الممر إلى أن توقف أوبراين لبرهة» وبحركته المعهودة الغريبة والمفعمة بود تأتلف له القلوب أعاد تثبيت اي 0 تقالك كلمي بطل العمة لياه ا دا ترى هل اطلعت على الطبعة العاشرة من معجم اللغة الجديدة؟» قال ونستون: «كلاء أظن أن هذه الطبعة لم تصدر بعدء فنحن ما زلنا نستخدم الطبعة التاسعة في قسم السجلات». فقال أوبراين: «أعتقد أن الطبعة العاشرة لن تظهر قبل عدة شهور إلا أن بضعة نسخ تجريبية قد وزعت ولديّ واحدة منها. ولعله يهمك أن تطلع عليها؟؛ وعلى الفور أجاب ونستون وقد تراءى له أنه أدرك ما يرمي إليه أوبراين: العم يهمني جداً». فقال أوبراين: «إن بعض التحسينات الأخيرة التى أجريت على اللغة الجديدة تدل على إبداع حقيقي» فتخفيض عدد الأفعال مثلاً هو إحدى 166

النقاط الجديدة التى ستحوز إعجابك على ما أظن. هل أرسل لك الحفى
:مم اح السمانة ولكتي أخندى أن انفكا مغل هذا كعادء ولعله من الأفضل أن تأتى إلى
شقتى فى وقت يناسبك لتأخذه؟ انتظر ريثما أعطيك عنواني». ١ وا كانا يقفان أمام إحدى شاشات الرصدء» وبحركة عفويّة تحسس أوبراين جيوبه ثم أخرج مفكرة مبطنة بالجلد وقلم حبر مذمّب». ووقف أسفل شاشة الرصد مباشرة يكتب العنوان في وضعية تتيح لمن يراقب على الطرف الآخر من الشاشة أن يقرأ ما يكتبه» ثم نزع الورقة التي كتب عليها وسلمها لونستون. وقال: «إنني في العادة أكون في المنزل مساء. فإن لم تجدني» فسيعطيك خادمي المعجما. ومضى أوبراين تاركاً ونستون ممسكاً بقصاصة الورق التي لم يكن بحاجة إلى إخفائها هذه المرة. ومع ذلك فقد حفظ بعناية ما كان مكتوباً فيها. وبعد بضع ساعات ألقى بها في مقبرة ثقب الذاكرة مع مجموعة من الأوراق الأخرى. استغرق حديثهما دقيقتين على الأكثرء ولم يكن لهذا الحدث غير مغزى واحد محتمل. لقد حاكه أوبراين بطريقة تجعل ونستون يتعرف على عنوانه. ولم يكن من ذلك بدّء فبدون الاستعلام المباشر يستحيل أن يتعرف المرء على عنوان سَكنى أي شخص آخر. فما من دليل لذلك من أي نوع. «إذا ما أردت مقابلتي» فهذا هو العنوان الذي يمكنك أن تجدني فيه». كان هذا هو ما قاله أوبراين لونستون. وقال ونستون في نفسه ربما تكون هناك رسالة مخبأة بين صفحات المعجم. ولكن مهما يكن من أمرء هناك شيء واحد بات مؤكداً» وهو أن المؤامرة التي كان يحلم بها جارية بالفعل وأنه يقف على أعتابها. كان يعلم أنه سيلبي دعوة أوبراين إن عاجلاً أو آجلاً. ربما كان . ذلك غداً أو بعد زمن أطول؛ فذلك ما لم يكن يعرفه على وجه الدقّة. 167

لكن الذي حدث في هذا اليوم لم يكن سوى حصاد لعملية بدأها منذ سنوات.
فالخطوة الأولى التى خطاها كانت مجرد فكرة سرية لاإرادية» وأما الثانية فكانت المفكرة وكتابة المذكرات. لقد انتقل من الأفكار إلى الأقوال» والآن ها هو ينتقل من الأقوال إلى الأفعال. وأما الخطوة الأخيرة فهي شيء ما سيحدث في وزارة الحب وعليه أن يتقبلها. فالنهاية توجد في طيات البداية» ولكنها نهاية مخيفة أو بعبارة أدق» هي أشبه بتذوق مسبق لطعم الموت قبل أن يجيء, وأشبه بكونك حياً ولكن لا معنى لحياتك. وحتى عندما كان يتحدث مع أوبراين ويفطن لمعاني كلماته» كانت تعتريه رعدة يرتجف لها جسمه» وينتابه إحساس بأن قدميه تهويان به نحو رطوبة القبر» ولم يكن هذا الإحساس جديداً عليه لأنه كان يدرك دائماً أن القبر هنالك في انتظاره. 1568

الفصل السابع استيقظ ونستون وعيناه مغرورقتان بالدموع» وكانت جوليا تتقلب بجواره وهي شبه نائمةء وغمغمت بكلمات ربما كانت «ما الخطب؟» فقال: «لقد كنت أحلم أن ...»» ثم انعقد لسانه ولم يكمل القول» فقد كان الأمر معقدا إلى حد تعجز الكلمات عن وصفه. لقد بقى الحلم نفسه والذكرى المرتبطة به عالقين في باله لبضع لحظات عقب استيقاظه . بقي ونستون مضطجعاً؛ مغمضاً عينيه اللتين كان ما زال يخيم عليهما أجواء الحلم. لقد كان حلماً ممتداً صافياً بدت له حياته كلها فيه وقد انبسطت أمامه كمنظر طبيعي لا يحده إلا الأفق على جبل وقد عُسِل بماء المطر في عصر يوم صيفي. لقد حدث كل ذلك في جوف الثقل الزجاجي والذي كان سطحه بمثابة قبة السماء التى كان ما بداخلها مغموراً يضام صاقف ناعم :يمك للمزه أن ير خلاله-مسافات لامتناهية. وفي الحلم تراءت له حركة ذراع أمه وهي تحتضن أخته الصغيرة» والتي تكررت ثانية بعد ثلاثين سنة ولكن من امرأة يهودية شاهدها فى إحدى الثقرات الإتبارية وعى تاوق عبناً أن تعن صنترهاءن طلغات الرصاص» قبل أن تنقض عليهما الهليكوبتر فتحولهما إلى أشلاء. فقال لها: «هل تعلمين أننى كنت حتى هذه اللحظة أعتقد أننى قتلت أمي؟»

فسألته جوليا والنعاس يغالبها: «ولماذا قتلتها؟؛ فأجابها: «أنا لم أقتلها. لم أقتلها بالمعنى العادي للكلمة». وكان ونستون قد استحضر في الحلم تلك النظرة الأخيرة التي ألقاها على أمه؛ وما هى إلا لحظات بعد استيقاظه حتى تداعت إلى ذهنه كافة التفاصيل التي اقترنت بالمشهد. إنها الذكرى التي حاول عن عمد طوال سنوات أن يدفعها خارج دائرة وعيه» وإن كان ونستون لا يذكر متى حدث ذلك على وجه التحديد» فإنه يذكر أن عمره آنذاك لم يكن يقل عن عشر سنوات أو اثنتي عشرة سنة. كان أبوه قد اختفى قبل وقت من وقوع الحادثة. كم من الوقت تخديداً لا متكر أبقا بيد أناكان يتذكن الأجواة المشحونة بالقلق والصخب التي كانت تخيم على تلك الفترة: فقد كان يذكر دوي الغارات الجوية وما يسببه من نوبات هلع يهرع الناس على أثرها إلى محطات قطارات الأنفاق» ويذكر أكوام الأنقاض التي ملأت كل الأماكن وسدت كل المنافذ» والإعلانات غير المفهومة والتى كانت تعلق فى كل زاوية من زوايا الشوارع وجماغات الشتببية ذوي النملضان الموحدة اللو والأرتال الهائلة من الناس يصطفون أمام الأفران والأصوات المتقطعة لطلقات المدافع الرشاشة وهي تسمع من بعيد. وإضافة إلى كل ذلك يذكر أن الناس لم يكن لديهم ما يكفيهم من الطعام. كما يذكر الساعات الطوال التي كان يمضيها مع غيره من الصبية وهم يحومون حول أكوام القمامة بحثاً عن عروق أوراق الملفوف وقشور البطاطس بل وحتى أحياناً يبحثون عن كسر الخبز العفنة التي يمسحون عنها الرماد بعناية» أو يمضونها في انتظار الشاحنات التي تنقل علف المواشي عند طرقات يعرفونها على أمل أن يتساقط بعضه على الأرض فيتناولونه . وعندما اختفى أبوه لم تُظهر أمه أي أمارة من أمارات الذهول أو الحزن الفاجع على اختفائه. لكن ثمة تغييراً فجائياً آخر قد طرأ عليهاء إذ بدت وكأن روحها قد أزهقت تماماً. لقد أصبح جلياً حتى لونستون آنذاك 130

أنها باتت تنتظر شيئاً تدرك أنه لا بد آت» فقد كانت تقوم بكل واجبات المنزل؛ فتطهو وتغسل الملابس وترتقها وترتب الفراش وتكنس الغرفة وتمسح الغبار» وكانت تؤدي كل تلك الواجبات ببطء قاتل وبسأم شديد حتى لكأنها تمثال يتحرك من تلقاء ذاته. وكان بنيانها الضخم حسن الشكل يبدو كأنه يرتد إلى حالة من السكون. فكانت تمضي الساعات جالسة فوق السرير جامدة لا تحرك ساكناً اللهم إلا العناية بأخته الصغيرة» تلك الطفلة التي تبلغ من العمر سنتين أو ثلاث سنوات ضئيلة الجسم معتلّة الصحة ساكنة الحركة والتي رَقْ وجهها حتى أصبح شبيهاً بوجه قرد. وفي أحيان كثيرة كانت أمه تأخذه بين ذراعيها وتضمه إلى صدرها فترة طويلة من الوقت دون أن تنبس بكلمة. ورغم صغر سنه وأنانيته كان ونستون يعي أن تصرفات أمه ترتبط بطريقة ما بذلك الشيء وشيك الحدوث والذي لم تشر إليه أبداً . وتذكر ونستون تلك الغرفة التي كانوا يعيشون فيها رغم عتمتها ورائحتها العفنة وضيق مساحتهاء والتي يشغل نصفها سرير ذو غطاء أبيض . كان هنالك موقد للطهي ورف لحفظ الطعام» وخارج الغرفة كان يوجد حوض يني لغسل الأواني والذي كانت تشترك فيه أكثر من غرفة. وكذلك تذكر ونستون أمه بجسمها الممشوق كالتمثال وهي تنحني على الموقد لتقلب شيئاً كانت تضعه فى القدر. وإضافة إلى كل ذلك تذكر إحساسه الدائم بالجوع والمعارك الشرسة التي كانت تندلع كلما حان وقت الطعام حينما كان يسائل أمه مرارا وتكرارا وبلهجة متذمرة عن سبب عدم وجود المزيد من الطعام. وحينما كان يصرخ ويثور عليهاء بل وحتى تذكر نبرة صوته حينما كان يتحايل عليها ببكاء يستدر العطف والشفقة من أجل الحصول على نصيب أكبر من حقه. وكانت أمه مستعدة دائماً لأن تعطيه أكثر من حصته فقد كانت تسلم بذلك» فهو «الولد» وينبغي أن يحظى بأكبر الحصص . ومع ذلك فقد كان كلما أعطي يطلب المزيد. وكانت أمه ترجوه عند كل وجبة ألا يكون أنانيا وأن يتذكر

أن أخته الصغيرة ة مريضة وبحاجة إلى الطعام أيضاً. إلا أن رجاءها كان
000 بل وكان يصرخ غاضباً إذا توقفت عن سكب الطعام له وكثيرا ما كان ينتزع القدر والملعقة من بين يديها أو يغتصب بعض القطع من طبق أخته . ومع أنه كان يدرك أن أمه وأخته قد تموتان جوعاً بسببه» م ا ا ال ل ا و أن من حقه أن يفعل ذلك. فقد كانت عضات الجوع التي تنهش أحشاءه تسوغ له ذلك . ا لي ا ا ا اماد الموضوع فوق الرف إذا سهت أمّه عن حراسته . وذات يوم وزعت عليهم مخصصاتهم من الشوكولاتة والتي كان قد مضى على انقطاعها أسابيع أو شهور. وكان ونستون لا يزال يذكر بوضوح تلك القطعة الصغيرة والثمينة من الشكولاتة التي أعطيت لثلاثتهم راح ار قطي قايت ارك لم جل وتاب تورتلات لمارا وكان نذنيا أن تقسم إلى ثلاثة أقسام متساوية» فراح ونستون فجأة يصرخ محر ا ولكن أمه نهرته وطلبت منه ألا يكون شرهاً ودار بينهما جدال طويل مزعج لم يخلّ من الصياح والنحيب والدموع والاحتجاجات والمساومات» ووسط كل ذلك كانت أخته الصغيرة تتشبث بكلا يديو ناميا :"ناما سلما قعل مار القردة. وهي تنظر إليه بعينين شاخصتين يملأهما الحزن. وفي النهاية اقتطعت أمه من الشوكولاتة ثلاثة أرباعها وأعطتها لونستون فيما أعطت الربع الباقي لأخته. وأمسكت الطفلة الصغيرة بقطعة الشوكولاتة وراحت للحظة ثم وبقفزة سريعة ومباغتة انتزع قطعة الشوكولاتة من يدها ولاذ بالفرار. وصاحت به أمه: الونستون» ونستون» ارجع! أعد قطعة الشوكولاتة لأختك !» فتوقف ونستون عن الركض لكنه لم يرجعء وكانت عينا أمه 152

القلقتين تحملقان فيه. وحتى فى تلك اللحظة كان يفكر في ذلك الشيء الوشيك والذي لآ يعرف كنهه: رآما اخنة هما كاذت تنطن إلى أن شيئاً ما قد سلب منها حتى انخرطت في ولولة واهنة» فراحت الأم تحيطها بذراعيها وتضمها إلى صدرهاء وكان في هذه الحركة ما يوحي لونستون بآن أخعه تلنظ آنقاسها الأخيرة لكنه امعدار غير آبه بشيء وولئى هازياً في حين كانت قطعة الشوكولاتة تذوب في يده. ١ ولم يقذر له أن يرى أمه ثانية» فما إن فرغ من التهام قطعة الشوكولاتة حتى تملّكه شعور بالخزي من نفسه وراح يهيم لساعات على وجهه في الشوارع لا يعرف له مقصداً حتى إذا شعر بالجوع ينهشه قفل راجعاً إلى البيت. لكنّه لم يجد أمه فقد اختفت» وكانت عمليات الاختفاء أمراً مألوفاً فى تلك الآونة. وجد ونستون كل شيىء فى الغرفة غلى اله لم تعسييه أحى دا أله .واخهه اللتين لم تاحذا شيا من تيايهئنا وحتى معطف أمه كان في مكانه. وحتى اليوم هذا لا يعرف على وجه اليقين إن كانت أمه قد لقيت حتفها أم لاء فمن الجائز جداً أن تكون قد أرسلث إلى أحد معسكرات الأشغال الشاقة» أما أخته فربما نُقَلَّتَء مثلما حدث معه هوء إلى إحدى مستعمرات الأطفال المشردين التى كان يطلق عليها «مراكز الإصلاح» والتي كانت أعداكماقن اإذاذيت تعبية لسرن الأهلية ا كا سن أمهاء أو تركت وحيدة في كان <نا لتدونت حنوعا أن همالا . كان الحلم ما يزال حياً في ذاكرته؛ خصوصاً حركة ذراعي أمه الحانية وهي تطوق بهما طفلتها وهي حركة كانت تنطوي على معان كير وعادك يمذاكرته إلى حلم أحن كان قن شلد انه به قبل شهرين» عندما ظهرت له أمه فى سفيئة تغرق والطفلة تتشبث بهاء تماماً كما كانت جالييية على عاق السرير العذر :في النت زهو برامتمنامن علو افق تغرقان وتغرقان إلى أعماق سحيقة لكنها ما تزال تنظر إليه بعينين شاخصتين عير

وروى ونستون لجوليا قصة اختفاء أمهء ودون أن تفتح عينيها راحت تتحرك على الفراش حتى باتت في وضع أكثر راحة. وقالت على نحو غامض: «أظنك كنت وغداً صغيراً فى هاتيك الأيام» ولا بأس فكل الأطفال أوغاد». 1 فقال لها: «أجل» ولكن النقطة الهامة في القصة هي...) لكنه أمسك عن الكلام حيئما لاحظ من إيقاع أنفاسها أنها عادت إلى النوم ثانية. وكان يود الاستمرار في حديثه عن أمه. فمن كل ما يذكره عنها لم يكن يرى فيها امرأة غير عادية أو ذكية» لكنها مع ذلك ظلت تتسم بالنبل وتتصف بالطهارة كونها كانت تتصرّف وفق معايير أخلاقية خاصة بها. فمشاعرها كانت تنبع من داخلها ولا يمكن لأي قوى خارجية أن تؤثر عليها. ولم تعتقد أبدا أن أي عمل مهما بدا غير مؤثّر يمكن أن يكون عديم المعنى والجدوى. وكانت تؤمن بأن المرء إذا أحب شخصاً فيجب أن يخلص له الحبء حتى إذا لم يبقّ لديه شيء يمنحه إياه» بقي لديه ذلك الحب. لذلك عندما انتزع ونستون قطعة الشوكولاتة الأخيرة من يد أخته احتضنت الطفلة بين ذراعيها لتعوضها عنها حنانا ا وبالرغم من أن ذلك كان عديم الجدوى ولم يغير من الأمر ث شيئاً ولم يُعِد للطفلة قطعة الشكولاته» كما لم يحل يحل دون موتها أو موت الطفلة» إلا أنها كانت ترى أن من الطبيعي أن تقوم بتلك الحركة وتحتضنها. وهكذا فعلت المرأة التي في مركب اللاجئين»؛ أحاطت صغيرها بذراعيها رغم علمها أن ذلك لن يحميه من طلقات الرصاص إلا بقدر ما تقيه قصاصة من ورق.

وربما كان أشنع ما قام به الحزب أنه كان يحاول إقناع الناس بأن مجرّد الدوافع والمشاعر لم تكن بذات قيمة» وفي الوقت نفسه كان يسعى لأن يجرد المرء من كل سلطة له على العالم المادي. وحينما كان المرء يقع في قبضة الحزب فإن كل ما يشعر به أو لا يشعر به وما يقدم عليه أو يحجم 0 فمهما حدث سيختفي ويزول هو وكل ما قام به ولن يسمع بذكره أحد 104

حينما يتم رفعه من مجرى التاريخ. بيد أن الناس قبل جيلين لم يكونوا يولون ذلك اهتماماً لأنهم لم يكونوا يسعون إلى تغيير التاريخ. فقد كانت لهم ولاءات خاصة. وكانت العلاقات الفردية هي ما يهمهم. فكل حركة مهما كانت عاجزة مثل عناق أو دمعة أو كلمة يواسى بها رجل على فراش الموت يمكن أن تنطوي على قيمة كبرى. وفجأة تنبه إلى أن العامة ما زالوا يعيشون على هذه الحال؛ فولاؤهم ليس لحزب أو دولة أو فكرة وإنما لبعضهم البعض. وكانت هذه هي المرة الأولى التي لا ينظر فيها ونستون إلى العامة نظرة ازدراء أو يعتبرهم مجرد قوة هامدة بل قوّة يمكنها أن تبعث إلى الحياة في يوم من الأيام فتنفخ في هذا العالم روحاً جديدة. لقد ظل العامة بشراً ولم تتحجر أفئدتهم. إنهم يتمسكون بعواطف فطرية كان عليه حتى يكتسبها أن يبذل جهوداً كبيرة. وفيما كانت هذه الأفكار تجول بخاطره إذا به يتذكر وعلى نحو غير ذي صلة بالموضوع كيف أنه رأى منئذ بضعة أسابيع يدا مبتورة على الرصيف فأزاحها بقدمه كما لو كانت عرق ورقة ملفوف. وقال بصوت عال: «إن العامة هم البشر أما نحن فلسنا من البشر في شيء. ا وقالت جوليا التي استيقظت على صوته: «ولماذا لسنا ببشر؟» ففكر ونستون لبرهة من الزمن ثم أجابها: «ألم يخطر لك أن خير ما نفعل هو أن نغادر هذه الغرفة قبل فوات الأوان ودون رجعة وألا يرى أحدنا الآخر بعد اليوم؟» فأجابت: «بلى يا عزيزي» لقد خطر لي ذلك مرات عديدة» ولكني مع ذلك لن أقدم على شيء من هذا القبيل.» ٰ فقال: «لقد كان الحظ حليفناء لكنه لن يظل هكذاء وأنت ما زلت شابة وتبدين غضة وبريئة» وإذا ما نأيت بنفسك عن أمثالي من الناس فقد يكتب لك أن تعيشين خمسين سنة أخرى .» ١ 155

فقالت: «لاء لقد قلبت الأمر على كافة أوجهه وقرٌ قراري على أنني سأفعل ما ستفعله أنت» فلا تبتئسء, أنا أعرف جيداً سبل البقاء على قيد الحياة. » فقال: لأربها نظل عا لسعة أشتهر أخرئ أو لسنةء فلا أحد يعلم» لكننا في النهاية سنفترق بكل تأكيد. هل تدركين كم ستكون الوحدة موحشة؟ فعندما نقع في قبضتهم لن يكون بمقدور أي منا مساعدة الآخر بأي شيء على الإطلاق. وإذا اعترفت أنا فسوف يعدمونك رمياً بالرصاصء» وإذا رفضت الاعتراف ستلاقين المصير نفسه وستموتين بالطريقة نفسها. وما من شيء باستطاعتي فعله أو قوله أو الامتناع عن قوله يمكن أن يؤخر موتك ولو خمس دقائق؛ ولن يكون بمقدور أحدنا أن بعك على الإطلاناما إذا كان الأخرسيا أو ميعاء'إذ ستسلب انذاك كل حول أو قوة. ولن يعنينا سوى أمر واحد وهو ألا يخون أحدنا الآخر وف انالك اررتيير سن لازن فنا ب» فقالت جوليا: (إذا كنت تعنى الاعتراف فهذا أمر لا مناص لنا منه» فالكل لا بد أن يعترف ولا مناص لأحد من ذلك» وإلا ذاق أشد صنوف العذاب .» فقال: «لم أقصد هذا الاعتراف. فالاعتراف في حد ذاته ليس خيانة» وما يقوله المرء أو يفعله لا أهمية له أبداًء فمشاعره فقط هي التي تون أذ مدكعرامن حمان أكقند عن جين لك قإن عدم الخيانة الحقيقية التي أقصدها.» وفكرت جوليا في كلامه ثم قالت بشكل قاطع: ١الا يمكنهم أن يبلغوا ذلك» فذلك هو الشيء الوحيد الذي لا يستطيعونه؛ إذ بوسعهم أن يكرهوك على قول أي شيء يريدونه» ولكنهم لا يستطيعون إكراهك على أن تؤمن بما تقول» فليس لهم سلطة ينفذون بها إلى كيانك.» فقال وقد لمع على وجهه شعاع من الأمل: ١الا ليس لديهم. صحيح تماماً. إنهم لا يستطيعون النفاذ إلى قلبك. وإذا استطاع المرء ء أن

يشعر بأن بقاءه إنساناً هو أمر يستحق التضحية من أجلهء حتى لو لم يؤدّ ذلك إلى نتيجة» فإنه يكون قد ألحق بهم الهزيمة.» وفكر ونستون في شاشة الرصد التي لا تنام لها عين أو تصمّ لها أذن» فهم يتجسسون عليك ليل نهار ولكنك إذا احتفظت بوعيك يمكنك أن تخدعهم. ورغم كل ما لديهم من مهارات فإنهم لم يتمكنوا من فك رموز السر الذي يفتح لهم نافذة على ما يجول بخاطر الإنسان. وربما تقل صدقية هذا القول حينما يقع المرء في قبضتهمء فلا أحد يعلم ما الذي يجري داخل أقبية وزارة الحب» وإن ظل بوسع المرء أن يتكهن بذلك: صنوف من العذاب وعقاقير هلوسة وأجهزة دقيقة تحصي عليك ردود فعلك العصبية وإنهاك تدريجي لقواك بالحرمان من النوم والوحدة والاستنطاق المتواصل. وفي كل الأحوال لا يمكن إخفاء الحقائق عنهم لأنهم يستطيعون استخلاصها بالتحقيق معك أو انتزاعها منك بالتعذيب. ولكن إذا كان هدفك ليس أن تظل على قيد الحياة وإنما أن تظل إنساناً فإن البون يصبح شاسعاً. فهم لا يستطيعون تبديل مشاعرك» ولا غرو فأنت نفسك حتى إذا أردت لا تستطيع ذلك. فبإمكانهم كشف أدق التفاصيل وفضح كل أقوالك وأفعالك وأفكارك» ولكن يظل قلبك المكنون والذي لا يمكنك أنت نفسك سبر أغواره حصنا منيعاً عليهم .

الفصل الثامن وأخيراً وقع المحظور. فقد وجد ونستون وجوليا نفسيهما يقفان في غرفة مستطيلة مضاءة بأنوار خفيفة» وكانت شاشة الكيد نك تضوت انك أشبه بالتمتمة» كانت تعوءة الستحادة ذات الزرقة الذاكنة »تقر الم عتدما يدوض عليها بأنه إنما يطأ مخملاً. وفي أقصى الغرفة كان أوبراين يجلس إلى مكتب منكبّاً على القراءة وفوق رأسه مصباح يلقي عليه ظلال خضراءء وقد رُصّت على جانبى المكتب مجموعة من الأوراق. وعندما أدخلهما الخادم إلى الغرفة ظل أوبراين على حاله ولم يكلف نفسه عناء النظر إليهما. شعر ونستون بقلبه يخفق خفقاناً شديداً حتى أن شكاً ساوره حول قدرته على الكلام؛ وانصبّ تفكيره على حقيقة كونه وجوليا قد فعلاها أخيراً ووقعا في المحظور. لقد كان نَزَقا وتهوّراً من كليهما أن يأتيا إلى هذا المكان» إنها تحدافة منتشيكية اليجنا بع رغم أنهما سلكا طريقين متباينين ولم يلتقيا إلا عند باب منزل أوبراين. ولكن يبقي أن مجرد ولوجهما مثل هذا المكان يحتاج إلى أعصاب فولاذية . فقد كان من النادر أن يتاح للمرء الدخول إلى منازل أعضاء الحزب الداخلي أو التجوّل في أحياء سكناهم. وكانت أجواء أماكن سكنهم بضخامتها إضافة إلى الرحابة والفخامة اللتين تطغيان على كل شيء والروائح غير المألوفة 108

لما لذ وطاب من طعام» والتبغ الجيد والمصاعد السريعة التي تتحرك صعودا ونزولاً في هدوء تامء والخدم ببزاتهم البيضاء يروحون ويجيئون مسرعين. . . » باختصار كان كل شيء مما يزيد من رهبة المكان ويلقي بالروع في النفس . وبالرغم من أن ونستون كانت لديه حجة قويّة تبرر مجيئه إلى هناء فقد كان شعور بالرعب ينتابه مع كل خطوة يخطوها مخافة أن يبرز له بغتة» من وراء حجاب» حارس ذو ثياب سوداء يطلب منه أوراقه قبل أن يأمره بمغادرة المكان» لكن خادم أوبراين لم يعترض سبيلهما وسمح لهما بالدخول. كان رجلاً ضئيل الجسم» أسود الشعر يرتدي سترة بيضاء وله وجه جامد الملامح يشبه الألماس يبدو منه كأنه صيني الأصل . تقدمهما في ردهة كانت أرضيتها مغطاة بسجاد وثير وجدرانها موشاة بورق حليبي اللون وكل ما فيها رائع النظافة. وكان في ذلك أيضاً ما يزيد الروع في النفس» إذ كانت هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها ونستون ردهة لا تعلو جدرانها آثار القذارة والسخام الناتج عن احتكاك الأجسام البشرية التي تعبر الردهات. كان أوبراين يمسك بقصاصة من الورق بين أصابعه يقرأها بإمعان» وقد بدا أن وجهه الضخم الذي انكبّ به على الورقة» حتى ليستطيع المرء أن يرى منه خط الأنف» يشع ذكاء ورهبة. مضى زهاء عشرين ثانية جلس فيها دون أن يحرك ساكناًء ثم جذب جهاز آلة التسجيل نحوه وأملى رسالة بلغة مختزلة تستخدم في الوزارات: «تم التصديق على البنود الأول والخامس والسابع. أما الاقتراح الوارد في البند السادس فغاية في السخرية ويوشك أن يكون جريمة فكر. يجب رفع عدد المكائن . . . انتهت الرسالة». ثم نهض عن كرسيه بتثاقل وتقدم نحو الضيفين عبر السجادة التي لا يُسمع صوت وقع الأقدام عليهاء وبدا أن بعضا من هيئته الرسمية المهيبة قد زالت عنه بعدما انتهى من إملاء رسالته باللغة الجديدة» إلا أن ملامح وجهه كانت متجهمة أكثر من العادة كما لو أن زيارتهما لم تسره. وكان

الرعب الذي شعر به ونستون بالفعل قد خالطه ارتباك وحيرة» إذ بدا له أن من الجائز تماماً أنه قد ارتكب خطأ ينم عن حماقة خطيرة» فأي دليل ملموس لديه على أن أوبراين متآمر سياسي؟ ليس لديه سوى وميض العينين وملاحظة وحيدة وغامضة, أما عدا ذلك فأوهام مبنية على حلم تراءى لهء كما أنه لا يستطيع اللجوء إلى الادعاء بأنه جاء لاستعارة المعجم لأنه في هذه الحالة سيتعذر عليه تفسير سبب مرافقة جوليا له. وعندما مر أوبراين بشاشة الرصد تصرّف وكأنما خطرت له فكرة» فتوقف ثم استدار وضغط زراً في الحائط» وفي الحال سُمِعَتَ طقة حادة وتوقف الصوت الصادر عن الشاشة . وهنا صدر عن جوليا صوت خافت إذ كبتت شهقة ذهول» ولم يكن ونستون أقل هلعا ودهشة» وقد عجزء من شدة دهشته» أن يمسك لسانه عن الكلام. فسأل: «هل تستطيع إقفال الجهاز؟) فقال أوبراين: «نعم يمكنني ذلكء» فنحن نتمتع بهذا الامتيازا . كان أوبراين يقف قبالتهما الآن» وبدا كأن قوامه المتين قد جثم التفسير. لقد كان ينتظر بتجهّم أن يبدأ ونستون الكلام» ولكن عن ماذا؟ فحتى هذه اللحظة كان يبدو كأنه رجل أعمال منهمك في شواغله ويضيق بمن يقاطعه. وبعدما أوقفت شاشة الرصد وخيم جرّ من الصمت الرهيب على الغرفة» وتتالت الثواني ثقيلة» وبصعوبة بالغة ظل ونستون مثبتا عينيه على وجه أوبراين. بعدئذ. وعلى نحو مفاجئ. افترّ وجه أوبراين المتجهّم عما يمكن أن يكون شروعا في ابتسامة» وبحركته المعهودة قام أوبراين بإعادة تثبيت نظارته. وقال: «هل أبدأ بالكلام أم تبدأ أنت؟» فسارع ونستون بقوله: «بل سأبدأ أنا 0 لكن قل لي هل أوقفت هذا الجهاز حقا؟» 200

قال: «نعم. لقد تم إيقاف كل شيء وها نحن الآن قد أصبحنا وحدنا». قال ونستون: «لقد جئنا إلى هنا لأننا. . .» ثم توقف عن الكلام بعدما أدرك وللمرة الأولى غموض دوافعه. ولأنه لم يكن يعلم حقاً نوع المساعدة التي يتوقعها من أوبراين» فقد كان من العسير عليه أن يفسر سبب قدومه إلى منزله. لكدوق تدوع يكمل ما انقطع من كلامه وهو مدرك أن ما سيقوله كان يبدو زعماً واهياً: «إننا نعتقد بأن مؤامرة ما تحاك خيوطهاء ونان كمه نوع من التنظيمات السرية تعمل ضد الحزب. وبأنك شريك فيها. ونحن نريد الانضمام إليها لأننا نضمر العداء للحزب ولا نؤمن بمبادئ الاشتراكية الانجليزية» إننا مجرمو فكر وفاسقون. إنني لم أبح لك بهذا إلا لأننا نريد أن نضع أنفسنا رهن تصرفكء» فإذا أردت منا أن نجرّم أنفسنا بأي شكل من الأشكال فنحن على أتم الاستعداد لذلك». وتوقف ونستون عن الكلام ونظر من فوق كتف أوبراين حينما أحس بأن الباب قد فتح» فإذا بخادم ضئيل الجسم أصفر الوجه يدلف إلى الغرفة دون أن يطرق الباب حاملاً صينية عليها قنينة وبعض الكؤوس . فقال أوبراين وهو جامد الملامح : «إن مارتئن واحد منا)ا . ثم راح يوجه كلامه للخادم: «هات الشراب إلى هنا يا مارتن» وضعه على المائدة المستديرة. هل لدينا ما يكفي من المقاعد؟ إذن ل ل وا ا خلال الدقائق العشر القادمة» . ستيفة خا خط بامياق ماد نظو إليه لتو يطرقط ينه وهاله أن دبفياة 201

الرجل برمتها ما هي إلا دور يؤديه 0 بقمع بتقطورة عغله من الشخصية التي يتقمّصها ولو للحظة. أما أوبراين فأمسك بالقنينة وراح يصب في الكؤوس شراباً حمرته داكنة» حتى أترعَت. وقد حرك ذلك في ونستون ذكريات غامضة عن شيء رآه منذ زمن بعيد مرسوم فوق جدار أو على لوحة إعلانات - قنيئة ضخمة تتكون من أضواء كهربائية بدا أنها تتحرك لأعلى ولأسفل وتصب محتوياتها في كأس السائل يبدو أسود اللون إذا نظر إليه المرء من أعلى» ولكنه في القنينة يتلألأ مثل الياقوت وتنبعث منه رائحة حمضية حلوة» فيما رأى جوليا وقد رفعت كأسها وراحت تشمّه باستغراب واضح. فقال أوبراين وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خافتة عندما رأى ذلك: «يسمّونه نبيذأء لابد أنكما قرأتما عنه في الكتب. ويؤسفني أن أعضاء الحزب الخارجي لا يحظون بالكثير منه». ثم انطبعت على وجهه ملامح الجد والمهابة مرة أخرى ورفع كأسه وقال: «أعتقد أنه من الأنسب أن نبدأ بشرب نخب زعيمنا إيمانويل غولدشتاين». رفع ونستون كأسه متلهفاً فقد كان النبيذ شيئاً قرأ عنه وحلم بهء ركان برى أن مكلة مكل الكل الرجاحي وتييائد جيل شار لشخون تنيه اميه تت تنتمي إلى «الأيام الغابرة»؛ كما كان يروق له تسميتها في خواطره السزية » وتسيب ما كان بحسب اتنا أن اليد طعا سند الحلارة كل مربى العليق وأن له تأثيراً مسكراً على الفور. لكنه في واقع الأمر حينما رفع الكأس وتجرع ما فيها أحس بخيبة أمل واضحةء فالسنوات التي ظل فيها يعاقر الجن أفسدت حاسة التذوق لديه وجعلته لا يكاد يستسيغ شراباً آخر» فوضع الكأس مكانها فارغة * ثم قال: ري ل - نعم هنالك شخص حقيقي» وهو حي يرزق. أما عن مكانه؛ 202

فسأل ونستون: «وماذا عن المؤامرة المنظمة؟ أهي حقيقة؟ أم تراها مجرد اختلاق من شرطة الفكر؟» فأجاب أوبراين: «كلاء إنها موجودة فعلاً ونحن نطلق عليها حركة «الأخوة». لكن لن يتسنى لك أبداً أن تعرف عنها أكثر من كونها موجودة وأنك تنتمي إليهاء ولسوف أتطرق للكلام عن ذلك لاحقاً». وتطلع إلى ساعتهء وأردف قائلاً: اليس من الحكمة حتى لأعضاء الحزب الداخلي أن يوقفوا شاشة الرصد لأكثر من نصف ساعة» وما كان ينبغي أن تأتيا معاً إلى هناء وسيتعين عليكما أن تنصرفا كلّ على حدة». ثم أشار برأسه نحو جوليا وقال: (أنت أيتها الرفيقة ستغادرين أولاء لكن ما زال لدينا عشرون دقيقة يمكننا التصرف فيها كيفما نشاء وسأسألكما بعض الأسئلة : بصفة عامة ما الذي أنتما على استعداد للقيام به؟» فأجاب ونستون: (إننا على استعداد لعمل كل شيء». استدار أوبراين قليلاً في كرسيه حتى أصبح في مواجهة ونستون تعاماً متجاملا بذلك :جوليا تقريباً» وكانه أدرك بداعة أن وتستون يمكنه التحدث بالنيابة عنها. وللحظة خفق جفنا عينيه ثم أخذ يلقي أسئلته بصوت منخفض تخلو نبراته من أي انفعال وكأن ذلك روتين اعتاده أو نوع من الاستجوابات التي يعرف إجاباتها مسبقا: - هل أنتما مستعدان لبذل حياتكما؟ - أجل . - وهل أنتما على استعداد لاقتراف جريمة قتل؟ - أجل. - وهل أنتما على استعداد للقيام بأعمال تخريبية قد تودي بحياة مئات الأرواح البريئة؟ - أجل . - وهل أنتما على استعداد لخيانة وطنكما لحساب قوى أجنبية؟ 203

أجل. - وهل أنتما على استعداد لاقتراف جرائم الغش والتزييف والابتزاز - وإفساد عقول الأطفال وتوزيع العقاقير المسببة للإدمان؛ وتشجيع البغاء ونشر الأمراض الجنسية والإقدام على كل ما من شأنه أن يحطم معنويات الحزب ويوهن من سلطانه؟ - أجل. - وإذا افترضنا أن المصلحة تقتضي أن تلقيا بحمض الكبريت على وجه طفل» فهل لديكما الاستعداد لاقتراف مثل ذلك العمل؟ - أجل. - وهل أنتما مستعدان لأن تتنكرا وتمضيا بقية حياتكما كخادمين أو عاملين في أحواض بناء السفن؟ - أجل. - وهل أنتما على استعداد للانتحار متى وإذا ما طلبنا منكما ذلك؟ - أجل . - وهل أنتما مستعدان. كلاكماء لأن تنفصلا بحيث لا يرى أحدكما الآخر مرة ثانية وإلى الأبد؟ وهنا صرخت جوليا مقاطعة: «كلا) . أما ونستون فقد احتاج إلى وقت أطول ليجيب» بل شعر أنه فقد القدرة على النطق. فقد كان يقلقل لسانه فلا يلفظ سوى حروف غير مفهومة» مجرد مقاطع ميتسرة ومتداخلة» وظل يحاول حتى لفظها في النهاية» فقال: «لا2. فقال أوبراين: «لقد أحسنتما صنعاً بإخباري ذلك». فمن الضروري لنا أن نعرف كل شيء». واستدار ناحية جوليا ثم أضاف بصوت أكثر إيحائية : - هل تعلمين أنه حتى لو كتب له البقاء حياً فإنه قد يصبح شخصاً 204

مختلفاً غير الذي تعرفينه؟ إذ قد نضطر إلى إعطائه شخصية جديدة وذلك بتغيير وجهه وحركاته وشكل يديه ولون شعره بل وحتى صوته. وأنت نفسك ربما تصبحين شخصاً مختلفاً ففي مقدور جراحينا أن يغيروا الأشخاص حتى ليتعذر معرفتهم» بل وقد نلجأ مضطرين أحيانا إلى بتر عضو من أعضاء الجسم . لم يستطع ونستون أن يمنع نفسه من النظر بطرف عينيه نظرة خاطفة إلى وجه مارتن ذي القسمات المنغولية» والذي لم يكن يحمل أي ندبات ظاهرة. أما جوليا فقد ازداد وجهها شحوبا وظهر ما فيه من نمشء لكنها ظلت ترمق أوبراين بنظرة جسورة وتمتمت بكلمات فُهم منها أنها موافقة. فقال أوبراين: «حستأء لقد اتفقنا إذن». وكانت فوق المائدة علبة سجائر فضية اللون دفعها أوبراين نحوهما وهو شارد الذهن بعدما استل سيجارة لنفسه. ثم نهض من مكانه وأخذ يذرع أرض الغرفة كما لو أنه يفكر بشكل أفضل حينما يكون واقفاً. وكانت السجائر من النوع الفاخر جداء غليظة وملفوفة بشكل جيد بورق ناعم الملمس كالحرير. تطلع أوبراين مرة ثانية إلى ساعتة» ثم قال: «يحسن بك أن تعود إلى المطبخ يا مارتن. سأعيد تشغيل الشاشة. انظر ملياً إلى وجهَي هذين الرفيقين قبل أن تنصرف فسوف تراهما مرة ثانية» أما أنا فربما لن أراهما أبداً» . ارتعشت عينا مارتن الضيقتين وهو يحدق بوجهيهماء تماماً مثلما فعل عندما استقبلهما لدى الباب» ولم تكن في طريقته هذه أي علامة على الود والصداقة. وكان يحاول أن يرسخ في ذاكرته ملامحهما وإن كان لم يشعر بأي اهتمام بهما أو بدا كأنه لا يشعر بذلك» وتنبه ونستون إلى أن وجهاً آلياً كهذا ربما لا يقدر على تغيير تعبيراته. ثم انصرف مارتن دون أن ينبس بكلمة أو يلقي تحية وداع عليهم وأوصد الباب خلفه بهدوء. وكان أوبراين لا يزال يذرع الغرفة جيئة وذهاباً وقد دفن إحدى 205

يديه في جيب ثوبه الأسود بينما كان يحمل في اليد الأخرى سيجارة»
وأخيراً قال: يجب أن تفهما جيداً أنكما ستقاتلان في الظلام» وستظلان دائما في الظلام. ستتلقيان أوامر وما عليكما إلا السمع والطاعة ودونما أن تسألا لماذا. وبعد فترة سوف أرسل لكما بكتاب يمكنكما من خلاله أن تفهما الطبيعة الحقة للمجتمع الذي نعيش فيه والاستراتيجية التي نتبناها من أجل تقويض أركانه» وبعد أن تقرأ الكتاب ستصبحان عضوين كاملي العضوية في تنظيم الأخوة. ولكن ما عدا الأهداف العامة التي لاقل من أجلها ومهام اللحظة الآنية التي تسند إليكماء لن تعرفا أي شيء على الإطلاق. وما أود تأكيده لكما هو أن حركة الأخوة موجودة. لكننى لا أستطيع أن أؤكد لكما ما إذا كانت تضم المئات أو ال الأعضاء. وأما أنتما فمن خلال معلوماتكما الشخصية فلن تقدّرا عددها بأكثر من عشرة أعضاء. إذ ستقتصر اتصالاتكم على ثلاثة أعضاء أو أربعة يتغيرون من حين لآخر ثم لا يلبثون أن يختفوا ليحل محلهم آخرون.
أما وإنني أول اتصال لكما فإن هذا سيظل قائماً لا يتغير» وعندما تتلقيان أوامر فستكون صادرة عنيء» وإذا ما تبين لي أن من الضروري الاتصال بكما فسيكون ذلك عبر مارتن. وإذا ما ألقي القبض عليكما في نهاية الأمر فسوف تعترفان إذ لن يكون ممكناً تجنّب ذلك» بيد أن ما ستعترفان به لن يتجاوز أعمالكما التي اقترفتماهاء ولن يكون في مقدوركما أن تشيا بأكثر من حفنة من الأشخاص الذين لا قيمة لهم. بل وربما لا تستطيعان حتى أن تشيا بي لأنني وقتذاك ربما أكون في عداد الموتى وربما أصبح شخصا اخر بوجه آخر)ا. وظل أوبراين يذرع الغرفة جيئة وذهاباً فوق السجادة الناعمة.
وبالرغم من ضخامة جسمه فقد كانت حركاته رشيقةء تلك الرشاقة التي بدت في حركة يده وهو يدسها في جيبه أو ينقل بها السيجارة بين أصابعه . وكان أوبراين قد ترك في نفسيهما انطباعاً يوحي بثقة بالنفس 206

وإدراك للأمور مفعم بالسخرية فضلاً عن القوّة. ورغم مظهره الذي يوحي بالجديّة» لم تكن عقليته تتسم بأي تعصّب أحادي الاتجاه أو تعالٍ. وحينما كان يأخذ في الحديث عن الاغتيال والانتحار والأمراض الجنسية والأطراف المبتورة والوجوه المغيرة» كان يشوب لهجته شيءمن التهكم» فكان يقول من بين ما يقول: «هذه أمور لا بد منهاء إنها أمور يتعين علينا أن نؤديها دون أن تَطرفْ لنا عين؛ ولكن ليس هذا هو ما تقوم به حيكما اتصبح الحا خخليقة بآن تعاشن 6+ وشبعر ونمدولة بعوجة إعجاب» يقارب العبادة» تجاه أوبراين» وفي هذه اللحظة كان قد تلاشى من مخيلته شبح غولدشتاين. وكان المرء حينما ينظر إلى أوبراين ببنيانه القوي ووجهه ذي الملامح القاسية» الذي كان يبدو قبيحاً ومهذباً في آن معاًء لا يمكن أن يتصوّر أن مثل هذا الشخص تمكن هزيمته» فهو كنء لمواجهة كل مشكلة» وليس ثمة خطر لا يمكنه التنبؤ به» حتى جوليا أَسَرَنها شخصيته» إذ تركت سيجارتها تنطفئ وهي تصغي إليه بجميع جوارحهاء بيئما كان أوبراين مستطردا في حديثه : «لا بد أنكما سمعتما شائعات حول حركة «الأخوة») ووجودهاء ولا ريب في أنكما رسمتما لها صورة في مخيلتكماء وقد تكونان خلتماها غالما برا هائلة ف التامرين) يتقدوة الاجتماعات خفية في الأقبية» وينقشون رسائلهم على الجدران ويتعارفون بكلمات سرية أو بإشارات متفق عليها باليدين. لكن اعلموا أن شيئاً من هذا ليس له وجودء فأعضاء الحركة ليس لديهم أي وسيلة للتعارف ومن المستحيل على أي عضو أن يكشف هوية أكثر من بضعة أعضاء آخرين» وحتى غولدشتاين نفسه لو وقع في قبضة شرطة الفكر فلن يكون بمقدوره أن يعطيهم قائمة كاملة بالأعضاء أو أي معلومات تقودهم إلى القائمة الكاملة» فليس لمثل هذه العامة والجسود»ولتعلها أن منظئة الأحرة لذ يمك انتتضال شاقنها أبدا وذلك لأنها ليست منظمة بالمعنى المعروف للكلمة ولا يجمع بين أعضائها سوى فكرة تستعصي على التدميرء ولن تجدا شيئاً يشد من

أزركما غير تلك الفكرة» كما لن تجدا تشجيعاً أو مواساة رفاقية من أحدء وحتى عندما تُعتقلان في النهاية فلن يمد لكما أحد يد العون» فنحن لا نقدم على ذلك أبداً مع الأعضاء. وحينما يتبين لنا أن ضرورة قصوى تستوجب إسكات شخص ما من الذين ألقي القبض عليهم.» فإننا في العادة نقوم بتهريب شفرة حلاقة إلى زنزانة السجين. ويتوجب عليكما أن تعتادا على العيش بلا أمل ودون انتظار لجني النتائج لأنكما ستناضلان لحين من الزمن» ثم يلقى القبض عليكما فتعترفان وتقادان إلى الموت. تلك هي النتائج الوحيدة التي ستلمسونها لأنه لا يُتوقع أن تحدث أي تغييرات محسوسة في المستقبل القريب». وفي ظل هذه الحال نحن أموات ولا حياة لنا إلا في المستقبل الذي سوف نسهم في بنائه كذرّات غبار أو كشظايا عظامء ولكن كم يبعد هذا المستقبل عن حاضرنا؟ لا أحد يعلم» فربما يأتي بعد آلاف السنين» وما علينا في وقتنا الراهن إلا أن نوسع دائرة انتشار فكرتنا شيئاً فشيئاً. ولأننا لن نستطيع العمل بصورة جماعية» فلا سبيل أمامنا إلا أن ننشر أفكارنا من فرد إلى فرد ومن جيل إلى جيلء؛ وما من سبيل غير هذا يمكن أن نسلكه في مواجهة شرطة الفكرا . عند هذا الحد توقف أوبراين وتطلّع إلى ساعته للمرة الثالثة» ثم قال مخاطبا جوليا: - لقد حان وقت انصرافك أيتها الرفيقة» لكن مهلاء فما زالت القنينة ملآنة حتى نصفها . ثم أترع الكؤوس ورفع كأسه قائلا: «انخب من سنشرب هذه المرة؟؟2 قالها بنبرة مفعمة بالتهكم والسخرية. «هل نشرب نخب الفوضى التي ستعم شرطة الفكر؟ أم نخب موت الأخ الكبير؟ أم نخب الإنسانية؟ أم نخب المستقبل؟» فقال ونستون: «بل نخب الماضي». فأقرّه أوبراين برزانة على هذا قائلاً: «نعم إن الماضي أهم». 208

وعندما انتهوا من احتساء كؤوسهم نهضت جوليا استعداداً للانصراف» فأخذ أوبراين علبة من أعلى الخزانة وناولها قرصاً أبيض لتضعه في فمها قائلاً: «من المهم ألا يخرج المرء ورائحة الخمر تفوح من فمه فلدى عمال المصاعد قوة ملاحظة فائقة». وما إن أوصدت الباب خلفها حتى بدا على أوبراين وكأنه نسي أمرها. وعاد يذرع الغرفة مرة أو مرتين ثم لم يلبث أن توقف مخاطبا ونستون: - ما زالت هنالك بعض التفاصيل التي يجب الاتفاق يشأنهاء أعتقد بأن لديك مخبأ في مكان ماء أليس كذلك؟ فشرح له ونستون كل شيء عن غرفته التي استأجرها فوق حانوت السيد شارنغتون. فقال أوبراين: «لا بأس بها حتى حين. وسوف نتدبر لكما مكاناً آخر فيما بعد فمن المهم أن يغير المرء مخبأه من حين لآخرء ولسوف أرسل لك بنسخة من الكتاب» كتاب غولدشتاين حالما يتيسر لى ذلك». ها لاح تون أن أودران ناشسيه لفطل كلم كاب يدرف عمد 4 «وقد لا أتمكن من الحصول على نسخة منه إلا بعد أيام» فالنسخ المتوفرة ليست بالكثرة التى تتصورهاء فشرطة الفكر تتعقب النسخ وتتلفها فوراء لكن ذلك لن يؤثر فيناء فالكتاب لا يمكن أن يفنى» فحتى إذا ما أتلفت النسخة الأخيرة منه فإن في وسعنا أن نعيد كتابته حرفاً حرفاً»» ثم أضاف : «هل تحمل حقيبة يد معك عادة إلى العمل؟» أجاب ونستون: «نعم ... في العادة». - وما شكلها؟ - سوداء وقديمة جداً وذات حزامين. - حسناً . . . ذات صباح في المستقبل القريب» إذ لا يمكنني مطبعية» وعليك أن تطلب إعادة إرسالهاء وفي اليوم التالي سيتعين عليك

أن تتوجه إلى عملك دون أن تحمل حقيبتك معك» وفي وقت ما من النهار وأثناء سيرك في الطريق» سيستوقفك رجل وهو يقول: «أظن أن حقيبتك قد سقطت منك» وسيعطيك محفظة» تحتوي على نسخة من كتاب غولدشتاين يتعين عليك قراءتها وردّها في غضون أسبوعين. وساد الصمت لحظة قبل أن يكسره أوبراين بقوله:

- أمامك دقيقتان ويحين موعد انصرافك؛ سوف نلتقي ثانية إذا قُدَرَ لنا أن نلتقي .

ونظر ونستون إليه قائلاً بئبرة تودّد: «في المكان الذي لا ظلام فيه). فأومأ أوبراين برأسه دون أن يبدو عليه أي أثر للدهشة. وقال كما لو أنه أدرك ما يلمّح إليه ونستون:

الع ني المكان الذي لا ظلام فيه» . ثم أردف قائلاً: «والآن هل لديك ما تود قوله قبل انصرافك؟ أي رسالة؟ أي تساؤل؟» أطرق ونستون هنيهة . لم تكن لديه أي تساؤلات أخرىء كما لم يكن لديه أدنى رغبة في أن يتحدث عن شؤون عامة "ودلا من أن تخطر بباله شيء ذو صلة بأوبراين أو بحركة الأخوة» طرقت ذهنه صورة مركبة من كل من الغرفة المعتمة التي أمضت فيها أمه أيامها الأخيرة والغرفة الضيقة الكائنة فوق حانوت السيد شارنغتون والثقل الزجاجي وصورة القضبان المحفورة في إطار اللوحة المصنوع من خشب الورد»ء فقال بصورة عفوية : - هل سبق أن تناهى إلى سمعك قصيدة قديمة يقول مطلعها: "تقول أجراس سانت كليمنت: برتقال وليمون؟» فأومأ أوبراين برأسه ثانية» وقال بنبرة رزينة مكملاً المقطع : تقول أجراس سانت كليمنت» برتقال وليمون فتقول أجراس سانت مارتن» أنت مدينة لي بثلاث فارذن

فتقول أجراس أولد بايلي» متى ستدفع لي؟ فتقول أجراس شورديتش»
حينما أصبح ثريا» فقال ونستون متعجباً: «إنك تعرف البيت الأخير!» - نعم أعرفه»
والآن حان وقت انصرافك. ولكن مهلاً حتى أعطيك قرصاً لتزيل رائحة الفم. وعندما
نهض ونستون مذ له أوبراين يده مصافحا بقوة حتى كادت قبضته القوية تسحق عظام
كف ونستون. وعند الباب تطلع ونستون وراءه ليلقي نظرة أخيرة» لكن بدا له أن
أوبراين كان قد وضعه بالفعل خارج دائرة تفكيره» إذ كان أوبراين ينتظر انصرافه ويده
فوق الزر الذي يتحكم فى تشغيل شاشة الرصد. ونظر ونستون وراء أوبراين فوجد
طاولة الكتابة وفوقها المصباح ذو الظلال الخضراء وآلة التسجيل والأوراق. وانتهى
اللقاء. وخطر لونستون أنه فى غضون ثوان معدودات سيعود أوبراين إلى عمله الهام
الذي يقوم به لصالح الحزب والذي قطعته الزيارة . 211

الفصل التاسع أصبح ونستون أشبه بجسم هلامي جراء ما أصابه من كلل»
ويبدو أن كلمة «هلامي» هي الأبلغ والأدق وصفاً لحاله حتى أنها خطرت بباله تلقائياًء
بل لقد خيّل إليه أن جسمه ليس بضعف الهلام فحسب بل بشفافيته أيضاًء وتملّكه
إحساس بأنه إذا ما رفع راحته أمام عينيه ونظر فيها لأمكنه رؤية الضوء من خلالها
لرقتها. كما بدا وكأن كل ما في عروقه من دماء قد استنزف وخلاياه اللمفاوية قد
ضمرت في حمأة الأعمال الضخمة التي احتملها والتي لم تخلف وراءها منه غير هيكل
هش من عظام وأعصاب وجلد. وبدا له أن كل شيء بات ينتج أثرا أضخم مما هو عليه
في الواقع حتى أن رداءه صار يقرّح كتفيه والرصيف يؤلم قدميه» بل إن مجرد بسط
قبضة يده وطيها قد غدا أمراً يحتاج منه إلى جهد جهيد تكاد مفاصله تئن له أنينا ظل
ونستون يعمل لأكثر من تسع عشرة ساعة في اليوم وعلى امتداد خمسة أيام وكان هذا
شأن كل فرد آخر في الوزارة. والآن تم كل شيء ولم يعد لديه أي مهام من أي نوع.
حزبية أو غير حزبية حتى صباح الغد ومن ثم يمكنه أن يمضي ست ساعات في ملاذه
الآمن وتسعاً في فراشه. تحت شمس الأصيل اللطيفة مشى ونستون على مهل في
شارع قذر باتجاه حانوت السيد شارنتون وكان ينظر بعينين» عين يترقب بها ظهور
الدوريات وعين ينظر بها أمامه رغم أنه كان يثق ثقة عمياء في أنه 212

لن يتعرض لأي خطر في هذا اليوم. وكانت الحقيبة الثقيلة التي يحملها ترتطم بركبته مع كل خطوة يخطوها فتسبب له ألما تسري وخزاته في كل ساقه؛ كانت تضم بداخلها الكتاب الذي أصبح في حوزته منذ ستة أيام ولم يفتحه بعد أو حتى يلقي عليه نظرة. وفي اليوم السادس من أسبوع الكراهية وبعد كل ما أقيم من فعاليات تمثَّلت في المواكب والخطب والهتافات والأناشيد والرايات والملصقات والأفلام وتمائيل الشمع ودق الطبول ونفخ الأبواق ووقع أقدام الجنود وضجيج جنازير الدبابات وأزيز أسراب الطائرات ودوي المدافع - بعد ستة أيام حافلة بهذه المشاهدء وبعد أن كانت نشوة الكراهية قد بلغت ذروتها والكراهية العامة لأوراسيا قد بلغت بالجماهير المحتشدة درجة الغليان والاهتياج حتى أنهم لو ظفروا بالألفي أوراسي من مجرمي الحرب الذين كان سيجري إعدامهم شنقاً على الملأ في اليوم السابع والأخير من الاحتفالات» لمزقوهم إرباً إرباً» في هذه اللحظة من الهيجان أَعْلِن أن أوقيانيا لم تكن بأي حال في حرب مع أوراسيا بل كانت في حرب مع إيستاسياء أما أوراسيا فكانت حليفتها. وطبعاً لم يعتبر الحزب أن تغييراً ما قد حدثء فكل ما هنالك أنه تم الإعلان على نحو مفاجئ وفي كل صقع من أصقاع البلاد بأن إيستاسيا لا أوراسيا هى العدو. وكان ونستون» فى تلك اللحظة التى أعلى قنيا هذا الاك يقارلة شن تشاع بإحدى ساعالك وش دن كان ذلك غلال اللكل ما مجمل الوجره البيضاء والرايات القرمزية تتلذلأ في الأنوار المضيئة وكانت الساحة تعج بآلاف من الناسء بينهم ألف من أطفال المدارس يلبسون زي الجواسيسء وعلى منصة موشاة باللون القرمزي وقف عضو من الحزب الداخلي يخطب ويهيّج الجماهير: رجل نحيل ضئيل الجسم ذو ذراعين طويلتين لا تتناسبان مع جسمهء وجمجمة صلعاء تنتشر فوقها بصورة مبعثرة بضع خصلات هزيلة من الشعرء وقف بقامته القصيرة وهو يقبض على عنق الميكروفون بكف فيما بكفه 213

الأخرى. التي تنتهي بها ذراعه ذات العظام الناتئة» يلوّح في الهواء مهدداً ومتوعداً. كان صوته يبدو رنانا بفعل المكبر وهو يدوي منددا بالفظائع والمذابح وأعمال الترحيل والإبعاد والسلب والنهب والاغتصاب وتعذيب الأسرى وقصف المدنيين العزل وإلقاء المنشورات والدعايات الزائفة والاعتداءات وخرق المعاهدات» ولم يكن باستطاعة المرء وهو يصغي إليه إلا أن يصدقه أو يقتنع بكلامه أو ينتابه سعار من الغضب من هول ما يسمع. كانت الصرخات الغاضبة تتعالى هادرة بين الفينة والأخرى من آلاف الحناجر بلا قدرة على كبحها حتى تغدو مثل زئير الوحوش فتطغى على صوت الخطيبء, وعن أطفال المدارس كانت تصدر أعلى الصيحات وأكثرها وحشية. كان قد مضى زهاء عشرين دقيقة من الخطاب عندما شوهد رسول يشق طريقه إلى المنصة ويدس قصاصة من الورق في يد الخطيب الذي قرأها بدوره على الفورء ودون أن يتوقف عن الخطابة» ورغم أنه لم يطرأ أدنى تغيير على نبرة صوته أو طريقة إلقائه أو على مضمون خطابه» فقد وقع تغيير مفاجئ في المسميات» وسرعان ما فطنت الجماهير وأدركت حقيقة ما جرى؛ وهى حقيقة مفادها أن أوقيانيا إإثما كانت فى حرب هم إيستاسيا! وفي,اللبحظة العالية سناد المكان حالة من الهرج والمرج بعدما أدركوا: أن كل الرايات والملصقات التي زينت بها الساحة كانت خاطئة! وكان نصفها يحمل صورا مغلوطة. وصاح بعضهم بأن ذلك ضرب من ضروب التخريب! وبأن عملاء غولدشتاين هم الذين يقفون وراء هذا العمل! وإثر ذلك ساد جو من الفوضى والشغب حيث نزعت الملصقات عن الجدران ومزقت الرايات وديست بالأقدام؛ وبذل الجواسيس جهداً مضنياً لتسلّق أسطح المنازل لتقطيع الأعلام التي كانت ترفرف فوق الأسطح متدلية من المداخن. ولكن في غضون دقيقتين أو ثلاث كان كل شيء قد انتهى» وداح الخطيب يواصل خطابه وهو لم يزل يقبض على عنق الميكروفون وكتفاه محدودبتان إلى الأمام ويده الخالية تلوّح في الهواء. وبعد دقيقة أخرى 214

كانت الجماهير قد انخرطت من جديد في صرخات غاضبة وحشية»
وتواضنل سعار الكراغية ثانا كما كان) عذا أن كينا واحدا تحير وهو الهدف الذي
يصبّون عليه جام كراهيتهم. لكن الأمر الذي ترك أثراً واضحاً في ونستون هو أن
الخطيب كان ينتقل من سطر إلى آخر دون أن يكمل جمل خطبته» وليس هذا فحسب
بل ودون توقف أو حتى خرق قواعد النحو. ولكنه تنبه إلى أن لديه أموراً أخرى تشغله
في هذه اللحظة» ففي اللحظة التي عم فيها الاضطراب وبينما كانت الجماهير تمزق
الملصقات إذا برجل لم ير ونستون وجهه يربت على كتفه قائلاً: «عفواء أظن أن
حقيبتك قد سقطت منك)ء فتناول ونستون الحقيبة منه وهو شارد الذهن من دون أن
ينبس ببنت شفة» وكان يدرك أنه سوف تنقضي أيام قبل أن تتاح له فرصة النظر إلى
ما في داخلها. وما إن انتهت التظاهرة حتى عاد رأسا إلى وزارة الحقيقة رغم أن
الساعة كانت قد قاربت الحادية عشرة ليلء وكذلك فعل جميع موظفي الوزارة امتثالاً
للأوامر الصادرة من شاشة الرصد رغم أن مثل هذه الأوامر لم تكن ضرورية. كان
السبب الذي استُدعي من أجله جميع الموظفين في هذه الساعة المتأخرة من الليل هو
أن أوقيانيا قد باتت في حالة حرب مع إيستاسياء بل إن أوقيانيا كانت دائماء ولم
تزلء في حرب مع إيستاسيا. وكان ذلك يعنى أن جزءاً هائلاً من الأدبيات السياسية
التى صدرت على مدى خمس سنوات قد أصبحت باطلة ويتعين القيام بعملية تنقيح
سريعة لكل التقارير والسجلات على اختلاف أنواعهاء والجرائد والكتب والكتيبات
والأفلام والأشرطة الصوتية والصور. ورغم أنه لم تصدر أي توجيهات» فقد كان معلوماً
أن رؤساء الأقسام يعتزمون عدم الإبقاء على أي إشارة إلى الحرب مع أوراسيا أو
التحالف مع إيستاسيا في غضون أسبوع واحد. لقد كانت المهمة جسيمة للغاية» لكن ما
زاد الطين بلة هو أن هذه العمليات لم تكن تسمى بأسمائها الحقيقية» وكان كل شخص
في قسم السجلات 215

يعمل على مدار ثماني عشرة ساعة في اليوم والليلة» ولا ينعم سوى بساعتي نوم أو ثلاث. وقد جيء بالأغطية والفُرش من الأقبية وبسطت في جميع الممرات كما أعدت وجبات سريعة تتألف من سندويشات وقهوة النصر يدور بها الخدم على عربات لتقديمها إلى الموظفين دون أن يبرحوا مكاتبهم. كان ونستون قبل كل مرة يذهب فيها لأخذ نوبة نوم يحاول جاهداً أن ينتهي من العمل المكدّس فوق مكتبه. لكنه كان في كل مرة يعود مجهد الجسد والعيئين ليجد مكتبه وقد تكدس مرة أخرى بلفافات الورق التي كانت تغطي مكتبه مثل ندف الثلج وتطمر جهاز الحاكي الكاتب حتى نصفه وتفيض على الأرض» مما يجعل مهمته الأولى رصّها في كومة مرتبة حتى يعطي لنفسه حيزاً ليعمل. إلا أن أسوأ ناف الأقز و أن الحطل كاذ سكا نكا يفا إذهالا ناكا يكفي أن مشدل انما بامن آخره انا خيها ملق الأمر كقارين مففلة للاتعداق فإنه كان يتطلب عناية وخيالاًء وحتى المعلومات الجغرافية التي يحتاج لبهلا العرنر انهل العتريت عن بز من الجالم إلى جزء آخر تتطلب جهداً جباراً. في اليوم الثالث راحت عيناه تؤلمانه أشد الألم» وبات مضطرا لمسح نظارته كل بضع دقائق» لقد كان العمل أشبه بصراع مضن لا بد أن يحسمه. وحسبما يتذكر ونستون» لم يكن يؤرقه أن كل كلمة يمليها إلى الحاكى الكاتب. وكل حرف يخطه كان بمثابة كذبة متعمدة» بل كان همه منصبّاً شأنه شأن بقية الموظفين» على أن تخرج عمليات التزوير متقنة. وفي صبيحة اليوم السادس انخفض تدفق الأوراق إليه وأصبح يفصل بين كل لفافة وأخرى من الورق حوالى النصف ساعة. وكانت حدة العمل قد خفّت في كل مكان في التوقيت نفسه وتنفس جميع موظفي القسم الصعداء خفية» لما لا وقد تم إنجاز عمل جبار لم يكن أحد يتصوره؛ وأصبح في حكم المستحيل على أي إنسان أن يأتي بدليل وثائقي يعبت أن حرباً ما وقعت بين أوقيانيا وأوراسيا. وفي الساعة الثانية 216

عشرة أعلن على نحو مفاجئ أن جميع الموظفين في الوزارة في حل من أمرهم حتى صباح اليوم التالي . كان ونستونء الذي ما يزال يحمل الحقيبة المحتوية على الكتاب فيضعها بين قدميه أثناء ساعات العمل وتحت جسمه أثناء نومه» قد مضى إلى البيت» وهناك حلق ذقنه وكاد ينام في الحمام رغم أن الماء لم يكن ساخناء وقرر الذهاب إلى المخبأ. بشيء من الصرير المثير للرغبة في مفاصله راح ونستون يصعد السلم المؤدي إلى غرفتة الكائنة فوق حانوت السيد شارنغتون. وحينما دلف إلى الغرفة أحس بإعياء شديد ولكنه لم يشعر بأية رغبة في النوم . فتح النافذة وأشعل موقد الزيت ووضع غلاية الماء على النار وراح ينتظر قدوم جوليا. وفي أثناء ذلك تذكّر الكتاب فجلس في مقعد بائس ذي ذراعين وفك حزامي الحقيبة . أخرج منها مجلداً أسود ثقيلاًء ملفوفاً بعناية» ولا يحمل اسماً أو عنواناء وبدت طباعته أيضاً غير عادية. وكانت الصفحات مهترئة عند أطرافها لكن تقليبها لم يكن يحتاج إلى عناء كما لو أن أيد كثيرة قد تداولته . وكان عنوان الصفحة الأولى يقول ما يلي : حكم الأقلية الطاغية تظريا ا ومطيية بقلم إيمانويل غولدشتاين وداح ونستون يقرأ: الفصل الأول الجهل هو القوة عبر التاريخ المعروف للإنسانء بل وربما منذ نهاية العصر الحجريء كان هنالك ثلاث فكات من البشر أو بالأحرى ثلاث طبقات 217

في العالم: العليا والوسطى والدنياء وقد قسمت هذه الطبقات فيما بينها طبقات أخرى فرعية» وحملت أسماء مختلفة لا حصر لها ولا عدء أما النسب التى تمثلها وكذا مواقفها إزاء بعضها البعض فقد فاتك مق عضن لآحوه خرن ان الذركرية الابسائيية للتحقب لت كنا هي لم تتغير أبداً بل حتى بعد اندلاع الثورات العارمة وما أحدثته من تغييرات تبدو لا رجعة عنهاء فإن ذلك النموذج يعود فيؤكد نفسه مثلما تفعل مروحة السفينة التي تعاود توازنها سواء أدرتها في هذا الاتجاه أو ذاك. وأما أهداف هذه الطبقات فكانت متضاربة ولا يمكن التوفيق بينها على الإطلاق ... وتوقف ونستون عن القراءة ريئما يستوعب حقيقة أنه أضحى يقرأ مرتاح البال وآمنا على نفسه؛ وأن خصوصيته محفوظة» فليس هنالك شاشة رصد مسلطة عليه ولا أذن تسترق السمع من وراء حجاب» ولا هاجس عصبى يجعله ينظر وراءه ويغطى بيده صفحة يقرأها. كانت تمات الفنيت العليلة تداعب ويعة» رمن كان عن كانك داهن لسمعه أصوات خافتة لأطفال في الشوارع» وأما في الغرفة نفسها فلم يكن هنالك غير صوت دقات الساعة. ولذا فقد استرخى فى مقعله وافها زسلددمى حاجن الندقاة راحين كما تر كد فى جنة الكلد! وفجأة وكما يفعل المرء كنات يدرك أنه لذ ين :أن تقر رابك ومرات» فقد راح ونستون يتصفح الكتاب سريعاً حتى بلغ الفصل الثالث منه فأخذ يقرأ: الفصل الثالث الحرب هي السلام إن انقسام العالم إلى ثلاث دول عظمى حدثٌ كان يمكن التكهن به قبل منتصف القرن العشرين؛ فمع ابتلاع روسيا لأوروباء وابتلاع الولايات المتحدة للإمبراطورية البريطانية» فإن اثنتين من القوى العظمئ الكلاكهما اورامیا واوقياتياء قد يردتا فعليا إلى الوجود: 218

أما القوة الثالثة وهى إيستاسيا فلم تظهر كوحدة مستقلة واضحة المعالم إلا 0000006 الزمن تخلله اقتتال فوضويء وكانت الحدود الفاصلة بين الدول العظمى الثلاث فى بعض البقاع عشوائية بينما كانت في البعض الأفى تتياين متسب يريتيان كفة كل دول [كناء التحارب» وإن كانت في أغلب الأحيان تتبع خطوطاً جغرافية. وتتالف أوراسيا من تلك الازاهدي الشاسعة شمال أوروبا وآسيا والتي تمتد من البرتغال إلى مضيق بيرينغ» أما أوقيانيا فتضم الأمريكتين وجزر المحيط الأطلنطي بما فيها الجزر البريطانية وأستراليا والجزء الجنوبي من أفريقياء في حين كانت إيستاسيا أصغر مساحة من الدولتين الآخريين وذات حدود غربية أقل تحديداًء وتتألف من الصين والأقطار الواقعة جنوبها ومن الجزر اليابانية وشطر كبير من منشوريا ومنفوليا وهضبة التبت وكانت تتغير مساحتها حسب سير العمليات الحربية. وكانت هذه الدول العظمى الثلاث في حالة حرب مستمرة مع تغيّر في التحالفات والعداءات» وعلى مدى الخمس والعشرين سنة الماضية لم تتوقف رحى الحرب التي لم تعد ذلك الصراع المتهور الذي يهدد بقاء الجنس البشري كما كان عليه الحال في العقود الأولى عن لقوق المسريزة زتها عاقة هري ذا تداك متحدئلة نين دولتين متحاربتين لا تملك أي منهما القدرة على تدمير غريمتها ودون أن يكون لدى أي منهما سبب واضح للاقتتال» كما لم تكن بينهما خلافات أيديولوجية حقيقية. لكن هذا لا يعني أن سير الحرب أى الموقف منها قد أصبح أقل تعطشاً للدماء أى أكثر شهامة ونبلاء بل على النقيض من ذلكء أصبحت الحرب أشبه بهستيريا متواصلة استشرت في جميع البلاده واضبح الشعب ينظر إلى جرائم الاغتصاب والسلب والنهب وذبح الأطفال وتحويل سكان الطرف المهزوم عن بكرة أبيهم إلى عبيدء والانتقام من الأسرى بشتى الوسائل التي قد تبلغ حد حرقهم أحياء أى غليهم في الماءء باعتبارها 219

حقاً طبيعياً ويستحق الثناء ما دام مرتكبوها هم الطرف الذي يؤيده الشعب وليس العدى. ولكن الحرب من ناحية أخرى لم تعد تشمل غير أعداد محدودة للغاية من قوات خاصة جيدة التدريب لا تتسبب في خسائر فادحة مقارنة بالحروب السابقة.

وكانت رحى الحرب حينما تدور فإنها تدور في مناطق حدودية غامضة لا يعرف المواطن العادي عنها غير تكهنات وتخمينات٫ أى حول القلاع العائمة التي تحرس نقاطاً استراتيجية في المضائق والموانئ البحرية. أما في المدن الكبرى فالحرب لا تعني اكثر من تناقص مستمر في السلغ الاستهلاكية وسقوط القذائف الصاروخية التي قد تودي بحياة العشرات من الاشخاص من حين لآخر. وفي واقع الأمر يمكن القول إن طبيعة الحرب قد تغيرت, أو إذا شئنا الدقة فإن الاسباب التي من أجلها تُشن الحزوت قد تنين ترتينها على :سكم الأولويات: فالدواقع التي كانت حاضرة حضوراً خافتاً في الحروب العظمى التي اندلعت في أوائل القرن العشرين باتت اليوم هي الدوافع الأبرز والمحركة لرحى الحروب. ولكي نفهم طبيعة حروب اليوم - والتي ورغم أن خريطة التحالفات لا تفتأ تتغير كل بضع سنوات٫ فإنها جميعا متشابهة فعلى المرء أن يقرّ أولاً بان الحرب لم تعد تحسم أي صراعء فما من دولة من بين هذه الدول العظمى الثلاث يمكن قهرها تماماً حتى لي اجتمعت الدولتان الأخريان معاًء فهنالك توازن قوى بين ثلاثتهم فصلا عن آن لكل واخدة مكها دفاعاكهنا المثيئعة» فبيتقا كحتس أقزاضها وازافسيا البرية الساجدة تحني اوقيانها بالسصيطين الاطلنطي والهادئ» فإن إيستاسيا تحتمي بكثرة سكانها وتفانيهم في العمل ثم ثانياً لم يعد هنالك ذلك الشيء المحسوس الذي يستحق الاقتتال حوله. وفي ظل اقتصادات الاكتفاء الذاتي والتي يتوازن فيها الإنتاج والاستهلاك: فقد توقف التسابق على الأسى اق والذي كان سبباً أساسياً في نشوب الحروب في الماضي كما لم يعد التنافس 220

عب اتسواف النشاع حسالة: حؤاة اتوت فل دولة نحن هده الدول العظمى
الثلاث هي من الاتساع بحيث يمكنها تدبير احتياجاتها من هذه المواد من أراضيها ذاتها. وإذا كان لا بد للحرب من دوافع الكطيادنة مياقنوة فق تأخنيكيئ زلف يتتمضيو كي الصبوا ع مق أجل الحضول.على الأيدي العاملة: وفيما بين هذه الدول هنالك تخوم يا تخضع لسيطرة واحدة منها دون الآخريين بشكل دائم وهي بمثابة مناطق بينية رباعية الأضلاع تنتهي زواياها عند طنجة ويرازافيل وداروين وهونغ كونغ والتي تضم فيما بينها خمس سكان الأرض» وتدور رحى صراع لا يتوقف بين القوى الثلاث من أجل السيطرة على هذه المناطق ذات الكثافة السكانية إضافة إلى منطقة القطب الشمالي. ولم تستطع أي من هذه القوى فرض سيطرتها على كامل المنطقة المتنازع عليهاء إذ تتقاسمها الدول فيما بينها على نحو سكو وكاقك: قرضة اقتطاء: هذا الشبطن او :داك لصالع دونه عاويا شفتع إلا "لجو هذه الدولة لاسككواح الوحمات اللفاطفة والسنافية وهو الامر الذي يفرض التغيرات الدائمة في التحالفات بين هذه الدول. وتعتبر جميع المناطق المتنازع عليها غنية بالثروات» فمنها ما هى غني بالثروة المعدنية ومنها ما هى غني بالمنتجات الزراعية الهامة كالنطاط والذي تضيطن الدول تاك النتاحات اليازدة إلى إتقاجة صناعياً بطرق باهظة التكاليف. وفضلا عن ذلك كله فإن هذه المناطق تمتلك احتياطياً لا ينفد من العمالة الرخيصة: ومن ثم فإن أي قوة تسيطر على أفريقيا الاستوائية أى بلدان الشرق الأوسط أو الأرخبيل الاندونيسيء تمتلك أيضاً حق التصرف في مئات الملايين من العمالة التاهرة الرخيصةوكان الجال يعبنوة يسكان هذة المتاطق نحي يصبحون أقرب إلى العبيدء إن كانوا ينتقلون على نحو دائم من يد قوة غازية ليد قوة أخرىء كما كانوا يُستنفدون كالفحم والزيت في سباقات التسلح وفي التنافس من أجل حيازة المزيد من الأراضي وامتلاك المزيد من الأيدي العاملة وإنتاج المزيد من السلاح وهكذا 221

دواليك. وجدير بالملاحظة أن الاقتتال لم يكن يتعدى أطراف المناطق المتنازع عليهاء ولذلك كانت حدود أوراسيا تمتد وتنحسر فيما بين حوض نهر الكونغى والساحل الشمالي للبحر الأبيض المتوسط. وأما جزر المحيط الهندي فهي محور نزاع داكم ما بين أوقيانيا وإيستاسياء تارة تؤول لهذه وتارة تؤول لتلك. وفي منغوليا لم يكن كا التقاسيم بين أوراسيا وإيستاسيا مستقراً أيداً كما كانت القوى الثلاث تدّعي ملكية أراض شاسعة في المنطقة القطبية والتي هي في واقع الأكن كدو جاهواة ولم تستكشف بعدء ومع ذلك كله فقد كانت موازين القوى تظل متعادلة دائماً كما تظل الأراضي التي تشكل قلب كل من القوى الثلاث حرماً لا ينتهك. وعلاوة على ذلك فإن الايدي العاملة للشعوب المستغلة حول خط الاستواء ليست ضرورية حقاً في الاقتصاد العالمى وذلك لأنها لا تضيف شيئاً إلى ثروة العالم طالما ان كل هنا كه منلت آله العليت:

وما دام الوراف من وزاء كل اخري أن تصبح الدولة في وضعية أفضل لشن حرب أخرى. ويعتبر ما ينتجه هؤلاء السكان المغلوبون على أمرهم بمثابة الوقود للحرب. غير أنه لو فرض عدم وجود هذه الأيدي العاملةء فإن ذلك لن يحدث تغييراً جوهرياً في تركيبة المجتمع الدولي ومسألة حفاظه على وجولة.[١٠] إن الهدف الأساسي للحرب الحديثة (وفقاً لمبادئ ازدواجية التفكين: رهن هلافك كفتر فت به الأدمغة الموجهّة في الحزب الداخلي وتنكره في أن واحد) هو الإفادة مما تنتجه الآلة دون رفع المستوى العام للمعيشة. ومنذ نهاية القرن التاسع عشر ظل التخلص من فائض السلع الاستهلاكية يمثل مشكلة كامنة فى المجتمعات الصناعية؛ أما في الوقت الحاضر حيث لا ينال إلا قلة من الناس كفايتهم من الغذاءء فإن هذه المشكلة تصبح غير ملحّة وربما لم تكن لتصبح ملحّة حتى لو لم تكن عمليات التدمير العمدي قائمة على قدم وساق. إن عالم اليوم عالم متهاي جائع عار مقارنة بعالم ما قبل 1914 بل وتصبح 222

صورته أكثر قتامة إذا ما قورنت بصورة المستقبل الذي كانت تصبو إليه الشعوب في تلك الحقبة. ففي مطلع القرن العشرين كانت رؤية ومخيلة كل مثقف لمجتمع المستقبل تشيران إلى أن العالم سيبلغ مستوى لا يصدق من الترف والثراء والنظام والكفاءة - عالم متلألئ من الزجاج والفولاذ والأسمنت الأبيض ذي المناعة ضد الجراثيم. كان العلم والتكنولوجيا يتقدمان بسرعة مذهلة وكان من الطبيعي أن يظن الناس أن ذلك التقدم سيتواصلء ولكن خابت ظنونهم 5-86 حالة الإفقار التي جلبتها على العالم سلسلة طويلة من الحروب والثورات من ناحيةء ولأن التقدم العلمي والتقني يعتمد على الفكر التجريبي والذي لا مجال في مجتمع يسير وفق نسق صارم لأن يخرج عنه. وبصفة عامة يمكن القول بأن عالم اليوم أكثر بدائية مما كان عليه قبل تخهشين :منكة لحك أن كقدما قد حصل'فن يفن التجالات المتآخرة وأنه قد جرى اختراع بعض الآلات التى كانت دائماً ذات صلة بالحروب وبعمليات التجسسء لكن المتفيخ انها أن التجارب والاختراعات قد أوقفت على نطاق واسعء كما أن العالم لم يبرأ بعد من الويلات التي خلفتها الحرب الذرية التي نشبت في خمسينيات القرن العشرينء وما زالت المخاطر التى رافقت ظهور الآلة قائمة. فمثد اللخطة الى ظهرت فيها الآلة للمرة الأوكن بدا جلياً لكل ذى.عقل أنه لم تعد ثمة حاجة إلى استعباد الناس ومن ثم إلى فرض نظام طبقي لا يساوي بينهم. ول أن الآلة كانت قد رُظفت بعناية لإنجاز هذه الغاية, لأمكن استكصال شأفة الفقر والجهل والمرض خلال أجيال قليلة. وفي الواقع إن الآلة ورغم أنها لم تستخدم لهذه الغاية وإنما استخدمت في إنتاج ثروات يستحيل عدم توزيعهاء قد ادت إلى رفع المسكوياة الحفة لدى الإنسان العادي بدرجات هائلة على مدى خمسين سنة تمتد من أواخر القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين. بيد أنه كان من الجلي أيضاً أن هذه الزيادة الهائلة في الثروة 203

تمثل تهديداًء أى بالأحرى تؤدَي إلى تقويض المجتمع الطبقي؛ وفي عالم أصبح كل فرد فيه يعمل سويعات قلائل ولديه ما يكفيه من الطعام ويسكن بيتاً مجهزاً بالسخان والثلاجة ويملك سيارة فارهة أى حتى طائرةء فإن أوضح بل وربما أهم أشكال عدم المساواة بين الناس تزول وتختفي. وإذا ما عمت تلك الثروة بين الناس فإنها لن تصبح وسيلة للتمييز بين الناس. ومما لا شك فيه أنه بالإمكان تخيل مجتمع تكون فيه الثروة» المتمثلة في حيازة الممتلكات الشخصية والكماليات» موزعة توزيعاً عادلاء بينما تظل السلطة محصورة في أيدي طبقة قليلة صغيرة العدد تحظى بامتيازات. ولكن مجتمعاً مثل هذا المجتمع لا يُكتب له أن ينعم بالاستقرار طويلاً على أرض الواقع: ذلك أنه إذا حظي جميع أفراد المجتمع وعلى السواء بالأمن والرفاه فإن العدد الأكبر من البشر الذين يخدرهم الفقر سيغدون مثقفين وسيتعلمون أن يفكروا لذواتهم؛ وعندما يتم لهم ذلك فإنهم؛ إن عاجلاً اق آجلاء سيفطتون إلى أنه لا فائدة ترجئ من الأقلية صاحبة الامتيازات وسيعملون على إزاحتها عن سدة السلطة. وبالتالي فإن المجتمع الطبقي لا يمكن أن يستمر إلا مع الفقر والجهل. وأما العودة إلى المجتمع الزراعي» حسبما حلم به بعض المفكرين في بدايات القرن العشرين» فليس حلاً يمكن تطبيقه» إذ يتعارض ذلك مع الاتجاه نحو الاستخدام واسع النطاق للآلة والذي أصبح أمراً شبه غريزي في جميع أنحاء العالم تقريباًء وفضلاً عن ذلك فإن أي بلد يتخلف من الناحية الصناعية يصبح بالتالى عاجزاً من الناحية العسكرية وعرضة لعمليات الهيمنة المباشرة أو غير المباشرة من قبل منافسيه الاكثر تقدماً. كما أنه لم يكن بالحل المرضي أن نبقي الجماهير تحت وطأة الفقر بتقليص ما ينتج من السلع» وهو ما حدث بصورة واضحة في آخر أطوار الرأسمالية ما بين 1920 و1940, حيث انهارت اقتصادات العديد من البلدان كما تركت مساحات من الأرض بغير استغلال» ولم 224

تدراكم :زان المال وحيل نين اعداد عشيرة من النامن وبين العمل وتركوا ليعتمدوا على معونات الدولة التي كانت بالكاد تقيم أودهم, ولكن ذلك أيضاً قد أفضى إلى حالة من الوهن العسكريء ولأن حالة العوز التي نزلت بهم إثر ذلك لم يكن لها ما يبررها مما جعل ظهور المعارضة أمراً محتوماً. وكانت المشكلة تكمن في كيفية جعل عجلة الصناعة تدور دون أن ينعكس ذلك زيادة على الثروة الحقيقية للعالم» ما يعني أنه يتعين الاستمرار في إنتاج السلع ولكن دون توزيعهاء ولا سبيل لتحقيق هذه المعادلة على أرض الواقع إلا بالحرب المستمرة. إن هنذف اهرب الاشناشي هو إنذال الدمان: ليس بالسدوورة بحياة الناسء» بل بنتاج العمل الإنساني» فالحرب هي السبيل لتبديد وإهدار موارد كان من شأنها لى استخدمت في ما ينفع الجماهير العريضة أن ترتد عليهم بالخير والرفاهية» وأن تجعلهم على المدى الطويل أكثر وعياً وإدراكاً للأمور من حولهم. وحتى إذا لم يتم تدمير ما أنتج من أسلحة في حرب فعلية؛ فإن عملية تصنيعها تبقى في حد ذاتها طريقة لاستنفاد الجهد البشري دون إنتاج أي شيء يمكن أن يعود بالنفع على الناس؛ فبناء قلعة عائمة مثلا يستلزم عملا كان يكفي لبناء المئات من سفن الشحنء وفي نهاية المطاف تتمّ إحالة القلعة إلى التقاعد وتصبح غير صالحة للاستعمال دون أن تعود بأي نفع مادي على الإنسان» فيتم تجنيد طاقات هائلة أخرى لبناء قلعة أخرى. ومن حيث المبدا فإن المجهود الحربي يتم التخطيط له دائماً بحيث تلتهم الحرب كل فائض قد يتبقى بعد تلبية الاحتياجات الأولية للسكان. وفي واقع الأمر فإن هذه الاحتياجات يتم تقديرها بأقل مما هي عليهء الأمر الذي يؤدي إلى وجود نقص حاد في ضروريات الحياة. ومع ذلك يُنظر إلى هذا الأمر على أنه ذى فائدة كبيرة. ومن السياسات:المرسومة بعتاية أيضاً سياسة الإبقاء حتى غلى الفكات المّرضى عنها على شفا العوز والحاجة: ذلك أن ندرة السلع بصفة عامة تزيد من أهمية الامتيازات الصغيرة التي يحظى بها هؤلاء 25

وبالتالي توسع الفروق بين فئة وأخرى. ومقارنة بالمعايير التي كانت سائدة في أوائل القرن العشرين فإنه يتبين أن حياة عضو الحزب الداخلي قد أصبحت حياة شظف وعناءء, ومع ذلك فإن القليل من كماليات الحياة التي يتمتع بها مثل الشقة الفاخرة والنوعية الجيدة لكنايه وطاعامة وكئعة فبلا عن خدمة وسعارته 'الخاضة ان الطاكرة الموضوعة تحت تصرفههء كل هذا يجعله وكانه يعيش في عالم مختلف عن العالم الذي يعيش فيه أعضاء الحزب الخارجيء والذين يتبين أنهم يتمتعون بامتيازات إذا ما قورنوا بالجماهير المسحوقة التي نطلق عليها اسم «العامة». ومن ثم يغدى الجى الاجتماعي أشبه بجى مدينة ضُرب عليها حصار جعل حيازة قطعة من لحم الخيل بمثابة الخط الفاصل بين الثراء والفقر. وفي الوقت نفسه فإن إدراك المرء لكونه في حالة حرب ومن ثم تتهدّده الأخطار يجعل من تسليم كل السلطات لحفنة صغيرة من الناس أمرا طبيعيا وشرطا محتوما للبقاء على قيد الحياة. كذلك سترى أن الحرب لا تُحدث الدمار المطلوب فحسبء بل تحدثه مصحوباً بأثر نفسي. فمن حيث المبدأ يمكن بسهولة استنفاد الفائض في العالم ببناء المعايد والأهرامات أو بحفر خنادق ثم ردمها فز ثانية؛ أو حتى بإنتاج كميات هائلة من السلع ثم إضرام النار فيهاء ولكن هذه الطريقة يمكن أن توفر الأساس الاقتصادي دون العاطفي للمجتمع الطبقي. وما يهم هنا ليست الحالة المعنوية للجماهير المهمّشة التى لا وزن لمواقفها ما دامت تعمل بلا انقطاع, راثا العالة الجعوية للحوب :تقس إن من المفترعن ايكون" اذى أعضاء الحزب مرتبة كفؤاً ومجداً في العمل ويتمتع بقدر محدود من الوعي» ولكن من اللازم أيضاً ان يكون شخصاً سريع التصديق ومتعصبا عن جهل لعقيدته وتتملكه مشاعر الخوف والكراهية والتملق والانتصارات الزائفة» وبعبارة أخرى يتعين أن تتوفر له عقلية تتلاءم مع حالة الحرب» وليس مهمًّاً أن تكون ثمة حرب تدور رحاها فعلا. 226

ولآن تحقيق النصر الحاسم هو من باب المستحيلء فلا يهم أيضاً ما إذا كانت العمليات الحربية تسير على ما يرام أم لاء فالمهم هو أن تظل حالة الجرب قائمة وحسب. إن عملية إجهاد العقل التي يطالب الحزب أعضاءه بها والتي يمكن أن تتحقق بسهولة في أجواء الحرب قد أصبحت الآن سمة عالمية, وكلما ارتفع المرء مرتبة في الحزب غدت هذه الصفة أكثر وضوحاً. ومما لا شك فيه أن هستيريا الحرب وكراهية العدو ومقته هي أمور تغدوى أكثر قوّة لدى أعضاء الحزب الداخلي منها لدى الآخرين» وبصفته يضطلع بمسؤوليات إدارية فإنه يتعين على عضو الحزب الداخلي أن يكون على بينة دائماً مما إذا كان هذا التبا أو زاك:من أتياء الخرب كاذباً أم حقيقياء كما أنه غالباً ما يدرك ما [13كانك الحؤن بزينقيا :ؤافففة اق ايا عون 'فاكنة اأضلا او أنها تشن لغايات تختلف جذرياً عن الأهداف المعلنة: ولكن هذه المعرفة تغدى عديمة الأثر بتطبيق منهج التفكير المزدوج. وفي الوقت نفسه لا يمكن لعضو الحزب الداخلي أن يتزعزع إيمانه الغامض ولو للحظة بأن الحرب حقيقية وأنها ستنتهي حتماً بانتصار أوقيانيا التي ستغدو سيدة العالم أجمع وبلا منازع. إن أعضاء الحزب الداخلي جميعهم يؤمنون بهذا الفتح المنتظر إيماناً راسخاً لا يتزعزع» ويعتقدون بأن تلك الغاية ستتحقق إما تدريجاً باحتلال المزيد من الاقطارء وما ينتج عنه من تراكم القوة وزيادة النفون, أو باكتشاف سلاح جديد لا رادع له. ولذلك يتواصل السباق نحى حيازة أسلحة جديدة دون هوادة» وهى ما يعتبر واحداً من النشاطات القليلة التي يمكن أن يجد فيها صاحب العقل المبدع متنفساً لطاقته. وفى في الوقت الراهن لم يعد للعلم بمعناه القديم وجود في أوقيانياء فمثلاً 55 تتضمن اللفة الجديدة كلمة «العلم», ناهيك عن أن منهج التفكير التجريبي الذي ارتكزت عليه كل المنجزات العلمية في الماضي يتعارض مع أهم مبادئ الاشتراكية الإنجليزية. بل حتى إل القققم "اهدي الاايخديم إلا كينها موعن ترارق مقتنا 6د يعار يق ار 227

أخرى لتقليص مساحة الحرية الإنسانية. أما فيما يخص المجالات الأخرى المفيدة» فالعالم إما أنه لا يزال يراوح مكانه وإما أنه يتراجم» فما زالت الحقول تُحرث بمحاريث تجرها الماشية والكتب تؤلّف بواسطة الآلة. أما في المجالات الحيوية ذات الأهمية مثل شؤون الحرب وشرطة التجسس، فإن المنهج التجريبي ما زال يلقى تشجيعاً أى على الاقل ما زال مقبولاً. وهنالك هدفان يضعهما الحزب نصب عينيه هما الهيمنة على العالم كله بغزوه والقضاء قضاء مبرماً على كل إمكانية للتفكير المستقل ولذلك هنالك مسألتان هامتان يوجه الحزب جل اهتمامه لحلهما: الأولى هي كيف يمكنه اكتشاف ما يدور من أفكار في ذهن الفرد رغماً عنه» والثانية كيف يمكنه إبادة مئات الملايين من الناس في غضون ثوان ودون سابق إنذار. وفي هاتين المسألتين ينحصر نطاق البحث العلمي ولا يتعداهما. وفي هذه الأيام نجد العالم إما أن يكون مزيجاً من الباحث المحقق وعالم النفس الذي يدرس بدقة لامتناهية معنى تعابير الوجه والإيماءات ونبرات الصوت كما يفحص آثار العقاقير التي تستل الحقيقة من أفواه المجرمين والعلاج بالصدمة والتنويم المغناطيسي والتعذيب الجسديء أو أنه كيميائي أو فيزيائي أى بيولوجي يعنى فقط بفروع العلم ذات الصلة بإزهاق حياة الإنسان. ففي المختبرات الضخمة بوزارة السلام وفي مخطات: التجارب السزية فى :متماقل اذغال الغابات اليزاويلية زفي صحراء أستراليا، وفي الجزر المجهولة في منطقة القطب الجنوبي هثالك فِرَق من الخبراء يغملون دون كَكل أو ملل. ففريق منهم يعثى فقط بوضع خطط تمويل حروب المستقبل وفريق آخر يعمل على تصميم قذائف صاروخية أكبر حجماً ومتفجرات أقوى ودروعاً لا يمكن للقنابل اختراقهاء بينما الفريق الثالث يعمل على إنتاج غازات جديدة أشد فتكاً أى سموم قابلة للذوبان في ماء الأنهار ويمكن إنتاجها بكميات تكفي للقضاء على الحياة النباتية في كل القارات؛ أى سلالات من جراثيم لديها مناعة ضد كافة الأجسام المضادة: وفريق 208

آخر يسعى إلى صنع مركبة تشق لها نفقا تحت الأرض مثلما تشق الغواصة لها طريقاً تحت الماءء أى طائرة لا تحتاج إلى قاعدة كسفينة شراعية. وفريق يستكشف إمكانيات أبعد مثل تجميع آشعة الشمس عبر عدسات ضخمة معلقة على بعد آلاف الكيلومترات في الفضاءء أو إحداث هزات أرضية اصطنتاعية, أو رفع درجات مد البحر بزيادة درجة حرارة مركز الأرض. ولكن ما من مشروع من هذه المشاريع قد أصبح وشيك التحقق: كما أن أياً من القوى العظمى الثلاث لم تحرز تقدما ملحوظا على القوتين الأخريين فى سهان التسلح إلاائئا تجدن: الإشاوة إلئ أن كلا من القوى الثلاث بحيازتها القنبلة الذرية قد أصبحت تمتلك سلاحاً اشد فتكاً من أي سلاح آخر يمكن اختراعه من خلال الابحاث الجارية. وبالرغم من أن الحزب يدّعيء كعادته, أن الفضل في صنع القنبلة الذرية يرجع إليه؛ فإن القنابل الذرية كانت قد سجلت أول ظهور لها في أربعينات القرن العشرين واستخدمت على نطاق واسع بعد عشر سنين من ذلك تقريباً. وفي ذلك الوقت آلقيت مئات القنابل على المدن الصناعية الواقعة في كل من الجزء الأوروبي من روسيا وأوروبا الغربية وأمريكا الشمالية. وكان القصد من وراء ذلك إقناع الفئكات الحاكمة في جميع البلدان بأن إلقاء بضع قنابل أخرى يعني نهاية المجتمع المنظم ومن ثم زوال سلطانهم. ولذلك ورغم أنه لم تبرم أي اتفاقيات رسمية؛ أي حتى يُلمّح إلى هذا الأمر» فقد أحجمت هذه القوى عن استخدام هذه القنابل. بيد آن هذه القوى الثلاث تابعت إنتاجها للقنابل الذرية وتخزينها انتظاراً للحظة الحاسمة التي يؤمن الجميع بأنها آتية إن عاجلاً آو آجلاً. وفي الوقت نفسه ظلت فنون الحرب لمدة ما بين ثلاثين وآربعين سنة تراوح مكانهاء فكل ما هنالك هى أنه أصبح يعول على الحوامات أكثر مما سبقء كما آن الطائرات القاذفة تم استبدالها بقذائف ذاتية التوجيه (ذكية)ء كما حلت القلاع العائمة غير القابلة للغرق محل البوارج الحربية الضعيفة» وعدا ذلك لا

يوجد تطور يذكرء فما زالت الدبابات والغواصات والزوارق والمدافع الرشاشة بل وحتى البندقية العادية والقنابل اليدوية قيد الاستخدام. لكن وعلى الرغم مما كانت تشهده الحروب القديمة من معارك طاحنة لانيابة لها تذهق فيها آزواخ مكات الألؤف او الملاتين من الاشقاض خلال بضعة أسابيع وهو ما كانت تتناقله الصحف وتعرضه شاشات الرصدء فإن مثل هذه المعارك اليائسة لم تعد تتكرر إطلاقاً. ولم يحدث أبداً أن أقدمت أي من الدول العظمى الثلاث على الدخول في مغامرة عسكرية قد تجلب عليها هزيمة ماحقة. وحينما شن أي عمليات حربية واسعة النطاق فإن ذلك لا يأتي إلا على شكل هجمات مباغتة تشن ضد الدولة الحليفة: فالاستراتيجية التي تتبعها القوى الثلاث أى تدّعي أنها تتبعهاء واحدة. إن ترتكز الخطة على مزيج من القتال والمساومة لشن ضربات غادرة في الوقت المناسب من أجل السيطرة على مجموعة من القواعد الاستراتيجية التي تحيط بواحدة أو أخرى من الدولتين المتنافستين: ثم توقيع معاهدة صداقة مع تلك الدولة والالتزام بالسلام معها لسنوات عديدة تكفي لإزالة ما لذيهاتمن شك وزيبة: وخلال هذة السئوات يكم تحميل الصوارئغ بالرؤوس النووية وتوجيهها نحو جميع القواعد الاستراتيجية حتى إذا ما سنحت الفرصة المنتظرة يتم إطلاقها جميعاً في آن واحد بحيث تترك آكاراً تدسرية فاكلة تجعل الرز الانثقامى امرا مُسَجكيلاء تويفيد ذلك معيو الرقك لعقد مداهدة صدافة مع :الذولة الاخترى امستحكذا ذا لشن هجوم مماثل عليها. ولسنا في حاجة للقول بأن هذا المخطط ما هن إلا حلم يقظة بتعدر تمقيقه على ازخن الواقعء'نالفيك, عن إن الققال لم يكن يقع إلا في المناطق المتنازع عليها حول خط الاستواء والقطب: ولم تجرق أي من الدول الثلاث على غزو أراضي الدولتين الآخريين. وهذا ما يفسر لنا السبب في أن الحدود بين الدول العظمى تكون في بعض الأماكن عشوائية تعسفية» فاوراسيا على سبيل المثال تستطيع بسهولة غزو الجزر البريطانية التي تعتبر جغرافياً جزءاً من 230

أوروباء كما أن أوقيانيا تستطيع من ناحية أخرى زحزحة حدودها ناحية نهر الراين أى حتى الفستولا. بيد أن مثل هذا العمل سيعتبر انتهاكاً للمبدأ الذي تسير عليه جميع الأطرافء وإن كان مبدأً غير مكتوبء وهو ميدأ الوحدة الثقافية. وإذا فرضنا أن أوقيانيا قد استولت على تلك المناطق التي كانت تُعرف في وقت من الأوقات بفرنسا وألمانياء لاستوجب ذلك منها إما أن تبيد سكان هذه المناطق» وهي مهمة تعترضها صعاب جمة؛ أو أن تستوعب هؤلاء السكان البالغ تعدادهم مائة مليون نسمة والذين يقفون في نفس مستوى التطور التقني تقريباء وهذه هي المشكلة التي تواجه الدول العظمى الثلاث. وعث القترورى للقانة بالسشضة الهذه الدول ال يوجر أي اتصمال ما بي سكانها وبين الاجانبء فيما عداء وإلى حد معين؛ أسرى الحرب والعبيد الملونين» ولم تكن حتى الدولة الحليف الرسمي في اللحظة الراهنة. تنجو من نظرة الشك والريبة القاتمتين. وباستثناء أسرى الحرب فإن المواطن العادي من مواطني أوقيانيا لا يرى مطلقاً أياً من مواطني أوراسيا أو إيستاسياء كما يحظر عليه تعلّم اللغات الأجنبية, فلى أنه سمح له بالاتصال .الأجانب لتبين له أنهم مخلوقات بشرية مثله وأن معظم ما قيل له عنهم لا يعدو كونه أكاذيب وافتراءات. وحينئذ ينكسر طوق العالم المغلق الذي يعيش فيهء ويتبدد جو الخوف والكراهية والتعصب للذات وهي ما ترتكز عليها روحه المعنوية. ولذلك اتفقت الأطراف الثلاثة على أنه مهما تناوبت القوى بلاداً مثل إيران أو مصر أو جاوه أو سيلان» فإن الحدود الرئيسية يجب ألا يخترقها شيء غير القنابل.

لكن وراء كل هذا تكمن حقيقة لم يجهر بها أحد وإن كانت مفهومة ضمناً ويُعمل بموجبها: وهي أن ظروف الحياة في الدول العظمى الثلاث متشابهة إلى حد كبير» ففي أوقيانيا تسمى الفلسفة السائدة «الاشتراكية الإنجليزية», وفي أوراسيا تسمى «البلشفية الجديدة», وفي إيستاسيا تسمى باسم صيني يترجم عادة بمعنى

عبادة الموت»» وربما كان من الأفضل ترجمته بعبارة «محو الذات»» ومن» غير المسموح به لمواطني أوقيانيا أن يعرفوا أي شيء عن عقائد الفلسفتين الآخريينء

غير أنهم يلقنون أن هاتين الفلسفتين ليستا إلا عدواناً وحشياً على الأخلاق والذوق العام. والواقع أن هذه الفلسفات الثلاث تتمايز نظرياً فقط أما النظم الاجتماعية القائمة عليها فهي متماثلة لا يمكن التمييز بينها على الإطلاقء ففي كل منها يوجد البناء الهرمي ذاته وعبادة الزعيم الملهم والاقتصاد الذي يقوم على الحرب ومن أجل الحرب. ومن ثم يتبين أن الدول العظمى الثلاث لا تستطيع ان تقهر بعضها بعضاً فحسبء وإنما إن فعلت ذلك فلن تجني أي نتيجة أى ربح. بل بالعكس فما دامت هذه الدول في حالة صراعء فإن بعضها يشد إزر بعض مثل ثلاث حزم من القمح» وكما هي العادة فإن الفئات الحاكمة في كل من القوى الثلاث تدرك ولا تدرك في الوقت نفسهء حقيقة ما تفعله: فحياتهم مكرسة للاستيلاء على العالم, لكن هؤلاء يعلمون أيضاً ان من الضروري أن يظل أوار الحرب مشتعلاً إلى أجل غير مسمى دون أن تضع اوزارها ودون أن تحرز إحدى الدول نصراً على دولة أخرى. وفى الوقت ذاته وبما أنه ليس 7 00105 00 حقيقة وهو عين ما ترتكز عليه النظم الفكرية للاشتراكية الإنجليزية وغريمتيها الآخريين. وهنا يتعين علينا أن نكرر ما قلناه آنفاً من أن الحرب بعدما أصبحت مستمرة» فقد طرأت عليها تغيّرات جوهرية. ففي العصور الماضية كانت الحرب حدثاً لا بد أن ينتهي إن عاجلاً أو آجلاً وبنصر حاسم أو بهزيمة واندحار» وكانت الحرب إحدى القنوات الرئيسية التي تظل المجتمعات الإنسانية من خلالها على صلة بالواقع الخارجي. وفي جميع العصور كان الحكام يسعون إلى فرض رؤية زائفة عن العالم على رعاياهم, إلا أنهم لم يشجعوا أية أوهام يمكن أن تضعف الكفاءة العسكرية. وما دامت الهزيمة تعني فقدان الاستقلال أى تفضي إلى نتيجة غير مرغوب فيهاء فيجب 232

الاحتراز احترازاً جدياً من الوقوع في شراك الهزيمة. ومن الثابت أن الحقائق المادية لا يمكن تجاهلهاء ففي الفلسفة أو الدين أو علم الأخلاق أن عل السياسة يمكن آن:يكون عاسئل أثتين واثنين هو خمسة ولكن حينما يتعلق الأمر بتصميم مدفع أو طائرة فلا بد أن يكون حاصل اثنين واثنين أربعة. ولقد كانت الأمم التي تفتقر إلى الكفاءة دائماً تلحق بها الهزيمة إن عاجلاً أو آجلاء وكان النضال لبلوغ هذه الكفاءة غاية تتعارض مع وجود الأوهام. وفضلاً عن ذلكء فلكي قلغ هده الكفاءة "من الخبروري ان تكون :قادرا على الاستفادة من الماضي والتعلم منه» وهذا يعني أن تكون لديك فكرة دقيقة عما حدث فى العاضي سحي ان الصعحف:وكتي التازية عرض للتحريق وتضن المصداقية عن التاروخ 7]ل أن العزوينالذع يعارس' اليوم كان يستحيل وقوعه في الماضي. فقد غدت الحرب ضماناً أكيداً للسلامة, وهتي بالتسبة للفثات الحاكمة آهنم الضمانات :على الإطلاق. ولآن الحرب عرضة للخسارة والمكسبء فلا يمكن أن تظل فئة حاكمة في حِلّ من أي مسؤولية. أما عندما تصبح الحرب سجالاً مستمراً. فإن خطورتها تنعدم: فاستمرار الحرب يقضي على ما يسمى بالضرورة الحربية. ويمكن أن تتوقف عجلة التقدم التقني كما يمكن نكران أكثر الحقائق وضوحاً أو تجاهلها. وكما رأينا فإن الأبحاث التي يمكن نعتها بأنها علمية ما زالت تجرى خدمة لأغراض الحرب وهي نوع من أحلام اليقظة, والإخفاق في تحقيق نتائجها ليس أمراً ذا أهمية. بل وحتى ما يسمى بالكفاءة العسكرية لم تعد الحاجة ماسة إليهاء ففي أوقيانيا لا يتصف بالكفاءة والفاعلية غير شرطة الفكر. ولما كان التحال أل فن الدؤل العظمى الثلاث أمراً عزيز المنال» فقد غدت كل دولة في واقع الأمر بمثابة عالم قائم بذاته يمكن أن ينمى فيه الفكر المشوه والفاسد في أمان. وأما الواقع فإنه يمارس ضغوطاته من خلال متطلبات الحياة اليومية كالحاجة إلى المأكل والمشرب والمأوى والملبس» والحاجة 2033

إلى حفظ الحياة عن طريق اجتناب ابتلاع السم أو القفز من النوافذ العالية وما شابه ذلك من حاجات. وبين الحياة والموتء وبين اللذة والألم؛ ما زالت هنالك فروقات؛ لكن هذه الفروقات هي كل شيء. إن حالة الانعزال عن العالم والقطيعة مع الماضي التي يعيشها المواطن في أوقيانيا تجعله أشبه برجل معلق في الفضاء بين النجوم وقد سلب القدرة على تمييز الاتجاهات. أما الحكام فى مثل هذه الدول فإنهم يتمتعون يسلطات مطلقة لم يبلغها أكثر الفراعنة أو القياصرة استبداداً. وهم وإن كانوا يسعون مضطرين إلى الحيلولة دون موت رعاياهم بأعداد كبيرة تنذر بالخطرء كما أنهم مضطرين إلى البقاء على المستوى نفسه من التقنية العسكرية لمنافسيهمء فإنهم ما إن يبلغوا الحد الأدنى من أهدافهم حتى يشرعوا في لَىَ عنق الحقيقة وصوغها في القالب الذي يشاؤونه. لذلك فإن الحربء إذا ما قد فئئست بمعايير الحروب القديمة2» هي واحدهما عاجزاً عن إلحاق الاذى بالآخر. لكن بالرغم من هذا الزيف فإنها ليست خلواً من المغزىء فهي تلتهم الفائض من السلع الاستهلاكية كما تسهم فى الحفاظ على المناخ الفكري الخاص الذي يحتاج إليه المجتمع الطبقي. وكما سيتضح فيما بعد فإن الحرب قد أصبحت شاناً داخلياً محضاًء ففى الماضى كانت الفئات الحاكمة في جميع الأقطارء ورغّم إدراكهم لمصالحهم المشتركة ومن ثم سعيهم إلى تحجيم مدى الخراب الذي تسيبه الحروب» يقاتل بعضهم بعضاً وكان الغالب دائماً ينهب المغلوبء أما فى وقتنا الراهن فلم يعد الاقتتال ينشب بينهم مطلقاًء وإنما أصبحت كل فئة حاكمة تشن الحرب على رعاياها ولم يعد هدف الحرب هو الاستيلاء على الأراضى أو الحيلولة دون ذلكء وإنما الحفاظ على بنية المجتمع سليمة على ما هي عليه. ومن ثم فإن كلمة «الحرب» ذاتها باتت

القرن العشرين فقد تلاشى ليحل محله شيء مختلف تماماً ول أن الدول العظمى الثلاث كانت قد تواضعت, بدلا من التناحر فيما بينهاء على العيش في ظل سلام دائم وحدود آمنة لا تتعرض لخروقات من هذه أى تلك لتحققت الغاية والمراد نفسيهما من حرب هذه الأيام. ففى هذه الحالة» كان كل طرف من الأطراف المتحاربة سيغدو عالماً مكتفياً بذاته ومتحرراً إلى الأبد من التأثير القوي للأخطار الخارجية, وهذا هو المعنى الحقيقي لشعار الحزب: الحرب هي السلام؛ بالرغم من أن الأغلبية الساحقة من أعضاء الحزب لا يفهمونه إلا فهماً تسنظهنا. وقد توقف ونستون عن القراءة حينما تناهى إلى سمعه دوي قذيفة صاروخية أشبه بالرعد وقد سقطت في مكان بعيد. بيد أن شعور ونستون البهيج بأن الكتاب المحظور بين يديه يؤنس وحدته وفي غرفة لا يوجد فيها شاشة رصدء ظل كما هو ولم يتأثر بذلك. حيث امتزج لديه الإحساس بالعزلة والأمان» وهي إحساسات جسدية:؛ مع التعب الذي أصاب جسمه النحيل ونعومة الكرسي الذي يجلس عليه والنسيم الخفيف القادم من النافذة الذي كان يداعب وجنتيه. وأما الكتاب نفسه فقد خلب لبهء أو بعبارة أدق أعاد إليه الطمأنينة المفقودة. وبالرغم من أن الكتاب لم يأت بجديد وهو ما يعتبر جزءاً من جاذبيته» فقد قال الكتاب ما كان ونستون سيقوله لو تسنى له أن ينظم شتات أفكاره معاًء إنه نتاج لعقل شبيه بعقله وإن كان يفوق عقله قوة وتنظيما ولا يسيطر عليه الخوف. وكان ونستون يتصور أن أفضل الكتب هي تلك التي تقول لك ما تعرفه 235

بالفعل. ولم يكد ونستون يعود إلى الفصل الأول حتى تناهى إلى سمعه وقع خطى جوليا على درجات السلم فهبّ من مقعده واقفاً لاستقبالها. وما إن دلفت إلى الغرفة حتى ألقت بحقيبتها البنّية فوق الأرض وألقت بنفسها بين ذراعيه» إذ كان قد انقضى على آخر لقاء ضمّهما أسبوع أو أكثر . وقال ونستون بعدما انفكا من العناق: «لقد حصلت على الكتاب». فقالت دون أن تبدي كثير اهتمام: «آه هل حصلت عليه فعلاً؟؛ ثم جثت على ركبتيها بجانب الموقد لتعدّ القهوة. ولم يعودا لموضوع الكتاب إلا بعد أن أمضيا نصف ساعة في الفراش معا. كان المساء باردا مما دفعهما لسحب الغطاء عليهما وكانت تُسمع أصوات غناء مألوفة وأصوات احتكاك الأحذية بحجارة الرصيف فيما كانت المرأة ذات الذراعين المفتولين والتي رآها ونستون هناك في أول زيارة له للغرفة واقفة متسمرة في الباحة. إذ لا تمر ساعة دون أن يراها المرء تغدو وتجيء بين حوض الغسيل وحبل الغسيل» وتعض أحياناً على مشاجب الغسيل حتى إذا انتهت منها انخرطت في أغنيتها المفعمة بالصيوية .وروت احوليا علق سديها بدت على شك الاستغراق في النوم» أما ونستون فقد مد يده لالتقاط الكتاب الملقى فوق أرض الغرفة ثم جلس متكباً إلى رأس السرير. وقال: «يجب أن نقرأه» وأنت أيضاً بل يجب أن يقرأه جميع أعضاء «الأخوة»؟ . فقالت وهي مغمضة عينيها: «اقرأه أنت» اقرأه بصوت عال» فهذه أفضل طريقة» ثم اشرح لي ما تقرأه». كانت عقارب الساعة تشير إلى السادسة مساءء وهكذا كان لا يزال لديهما ثلاث أو أربع ساعات» ولذا فقد وضع الكتاب فوق ركبتيه وراح يقرأ: 236

را 4 ف الفصل الأول الجهل هو القوة عبر التاريخ المعروف للإنسان» وربما
منذ نهاية العصر الحجريء كان هنالك ثلاث فئات من البشر أو ثلاث طبقات فى العالم:
الطيفة العليا والرسطى والدنياء وقد تسمحت هذه الطيقات قيما بيتها ظنقات الغرئ:
فرعية::وتذملت أشيناء,مختلفة ل حتضين' لها والاتعد: أما النسب التي تمثلها وكذا
مواقفها إزاء بعضها بعضاً فقد تباينت من عصر لآخرء غير أن التركيبة الأساسية
للمجتمع ظلت كما هي لم تتغير أبداً. بل حتى بعد اندلاع الثورات العارمة وما أحدثته
من تغييرات لا رجعة عنهاء فإن ذلك النموذج يعود فيؤكد نفسه تماماً مثلما تفعل
مروحة السفينة التي تعاود توازنها سواء أدرتها في هذا الاتجاه أو ذاك. التفت ونستون
وهو يقول: «هل أنت مستيقظة يا جوليا؟» فأجابت جوليا: «نعم يا حبيبي. إني مصغية
لما تقول. استمرء إنه فعاد إلى القراءة: وأما أهداف هذه الطبقات فكانت متضاربة ولا
يمكن التوفيق بينها على الإطلاق» فهدف الطبقة العليا هو البقاء حيث هىء وهدف
الطبقة الوسطى هو الحلول محل الطبقة العلياء اما هدف الطبقة الدنياء إن كان لها
هدفء ذلك أن من الخصائص الثابتة لدى هذه الطبقة هى انا كدو مجتعوكة كمه :واه
الت الحياة لقره لز حص شيا خارجهاء هو إزالة كل الفوارق الطبقية وإنشاء مجتمع
يكون فيه جميع الناس سواسية. وهكذا يتكرر عبر التاريخ ذلك النضال الذي يتشابه
في خطوطه العريضة الرئيسية. ولآجال طويلة كانت الطبقة العليا تبدو ممسكة يمام
الأسلظة: ولكن إن ناجلا أن اعلا كان لا يد ان 237

تاتي عليهم لحظة يفقدون فيها إما إيمانهم بانفسهم وإما قدرتهم على الحكم بكفاءة أى الاثنين معاً. وحينئذ كان يطاح بهم من قبل الطبقة الوسطى التي تأخذ الطبقة الدنيا إلى صفها تحت دعاوى النضال من جل تحقيق الحرية والعدل. ولكن ما إن تبلغ الطبقة الوسطى هدفها هن الله اندها تزج بالطبقة الدنيا إلى وضعها القديم حيث الاسترقاق» وتصبح هي الطبقة العليا. وتتكون طبقة وسطى جديدة من إحدى الطبقتين الآخريين أى كليهما معاً ليبدأ العيزاء من جديد. ومن بين الطبقات الثلاث فإن الطبقة الدنيا هي الوحيدة التي لا تفلح أبداً ولي مؤقتاً في بلوغ أهدافهاء ولعله من قبيل المبالغة أن نقول إنه عبر التاريخ لم يحدث لها أي تقدم مادي يذكر. وحتى في أيامنا هذه. في فترة الانحطاط فإن الإنسان العادي يعتبر من الناحية المادية احسق حالا هما كان غلية قفن نضعة قروق مكنت: غيز انهلا ازدئاد الثروة ولا رقي السلوكيات ولا حركة الإصلاح أو الثورة حملت حلم المساواة بين بني الإنسان إلى الأمام ولو قيد أنملة» ومن وجهة نظر الطبقة الدنيا فإن أي تغيير تاريخي لا يعدو أن يكون مجرد تغيير في أسماء سادتها. ١ وفي أواخر القرن التاسع عشر بات تكرار هذا النهج جلياً لكثير من المراقبين» حتى أنه ظهرت مدارس فكرية تفسر التاريخ كمسارات داكرية» وحاولت الترويج لفكرة أن انعدام المساواة هي قانون من قوانين الحياة البشرية الذي لا يقبل التغيير. وبالطبع كان لهذا المذهب دائماً أنصاره عبر التاريخ؛ وإن كان ثمة تغيير ملموس قد طرأ على الطريقة التي يقدم بها للناس في هذه الايام؛ ففي الماضي كانت الحاجة إلى مجتمع طبقي معتقداً محصوراً في الطبقة العليا حيث كان يروج لها الملوك والنبلاء والكهنة والمحامون ومن شاكلهم ممن يعيشون عالة عليهمء وكانواء للتخفيف من وطاأة هذا المعتقد. يطلقون وعوداً بالتعويض عن مآسي الحياة الدنيا في عالم خيالي يأتي بعد الموت. أما الطبقة الوسطى فكانت: إنآن كغمالها لبلوخ بسية الحكلي,

دائماً ترفع شعارات مثل الحرية والعدل والإخاء طالما أنها لم تنته من نضالها في سبيل بلوغ السلطة. وأما الآن فإن مفهوم الآخرة الإنسانية يتعرض لهجمات من قبل أناس لم يبلغوا بعد سدة الحكم ولكنهم يأملون بلوغه في عهد قريب. وفي الماضي كانت الطبقة الوسطى تشعل الثورات تحت ستار المساواةء لكنها لم تلبث بعد بلوغ ماربها أن دشنت لطغيان جديد تقيمه على أنقاض الطغيان القديم الذي أطاحت به ولذلك كانت المجموعات الجديدة التي ستحل محل الطبقة الوسطى تعلن سلفاً عن طغيانها. وأما الاشتراكية وهي نظرية ظهرت في أوائل القرن التاسع عشرء والتي كانت بمثابة الحلقة الاخيرة من سلسلة فكرية تعود بتاريخها إلى ثورات العبيد في الفضوز العديمة "فق كانت الاتتزان كزوغة إلى خلد نعيى الطوناقبة العصور الغابرة. ولكن في كل شكل من أشكال الاشتراكية التي بدات تظهر للوجود منذ 1900 وحتى وقتنا الراهن كان يتم التنكر صراحة لهدف إرساء دعائم مجتمع الحرية والمساواة آكثر فاكثر.

وأما الحركات الجديدة التي ظهرت في منتصف القرنء كالانجسوك في اوقيافيًاء.والبلشفية الجديدة في أوراسهاء وعيادة انوت كنا عائت تس في [نمتعابنياء فكانت: مهف« رسنيخ حال لامر واللأسناراة وهذه العزفاف) اللعوث #تدرحت قن ضاف خركات قدي واحتفظت بأسمائها وادعت زيفاً اعتناقها لأيديولوجيتها. وقد اجتمعت هذه الحركات على غاية واحدة وهي وقف كل تقدم وتجميد التاريخ الفالوقة مرة اخرى ليتوقف بعدها للأبد. وكالعادة كان على الطبقة الوسطى أن تزيح الطبقة العليا وتحل محلها ولكن هذه المرة باستراتيجية واعية بحيث تتمكن الطبقة العليا الجديدة من الاحتفاظ شر كزها نصفة زافق ويرجع ظهور هذه المذاهب الجديدة إلى تراكم المعرفة التاريخية ونمى الحس التاريخي وهما أمران لم يكن لهما وجود 2039

تقريباً قبل القرن التاسع عشرء وهو ما جعل الحركة الدائرية للتاريخ مفهومة في الوقت الحاضرء أى بدا أنها كذلك, وبما أنها قد باتت مفهومة فهذا يعني أنه بات بالإمكان تغييرها. ولكن السبب الرئيس الكامن وراء ظهور هذه المذاهب هو أنه منذ أوائل القرن العشرين غدت المساواة بين الناس أمراً ممكناً من الناحية العملية. صحيح أن الناس لم يكونوا متساوين في مواهبهم الطبيعية وصحيح أن المهام يجب توزيعها بطريقة يحابى فيها بعض الافراد على حساب البعض, لكنه لم تعد ثمة حاجة فعلية إلى وجود الفروق الطبقية أو التفاوتات الكبيرة من ناحية الثروة. وفي العصور الأولى لم تكن الفوارق الطبقية امراً محتوماً فحسبء بل مرغوباً فيه أيضاًء ذلك أن عدم المساواة كان هو ما تكبده الناس ثمنا للمدنية. ولكن مع تطور الإنتاج الآلي تبدلت الحالء إذ حتى لو أنه ما زال من الضروري للبشر أن يؤدوا انواعاً متباينة من الأعمال» فإنه لم يعد من الضروري لهم أن يعيشوا عند مستويات اجتماعية واقتصادية متباينة, ومن ثم فإنه ومن وجهة نظر الطبقات الجديدة التي كانت قاب قوسين أو أدنى من القبكن على رمام السلطة: فإن المساواة شين النكين لاقف غاية سامية تستحق النضال من أجلهاء وإنما خطراً يجب تفاديه. وفي العصور الأكثر بدائية حينما كانت إقامة مجتمع العدل والسلام ارا غير ممكنء كان من اليسير على المرء أن يصدق مثل هذه الأفكار. إن فكرة الفردوس الأرضي الذي يعيش فيه كل الناس معاً كإخوة دون اللجوء إلى قوانين أى دون حاجة إلى التعب والمشقة؛ كانت تشغل الخيال البشري منذ آلاف السنينء وكان لهذه الرؤية الخيالية سلطان حتى على تلك الفئات التي كانت تفيد فعلاً من كل تغير تاريخي. ومن هذا آن'آبناة الكورات الفرنسية والإتجليذية والأمرركية كانوا يَؤْمْتوْن إلى حد ما بما صاغوه من شعارات عن حقوق الإنسان وحرية التعبير والمساواة أمام القانون وما شابه ذلكء بل وكانت ذات تأثير على سلوكهم: ولكن لم يكد العقد الرابع من القرن العشرين يحل حتى

كانت كل التيارات الرئيسية للفكر السياسي قد أضحت سلطوية المنحى أو فاشية؛ كما أصبحع الفردوس الارظسي عرضة لحملات العشوية بعجود أن أضبممن الممكن: تحقيقة.: وياثت كل انظرية سياسية جديدة؛ أياً كان الاسم الذي يطلق عليهاء ترتد بالناس نحو التمييز والتصنيف إلى مراتب ودرجات. وفي ظل أجواء التشدد العام التي سيطرت على وجهات النظر في ثلاثينيات القرن العشرين؛ عادت الممارسات التي هُجرت منذ مئات السنين مثل السجن بغير محاكمة, واسترقاق أسرى الحربء وتنفيذ أحكام الإعدام علناً والتعذيب لانتزاع الاعترافات» واستخدام الرهائن» والتهجير القسري لشعوب بكاملها. ولم تغد كل هذه الممارسات شائعة الحدوث مرة أخرى فحسبء بل أصبحت أموراً جائزة يدافع عنها من يدّعون أنهم تنويريين وتقدميين. ولم تظهر الانجسوك وما ينافسها من نظم أيديولوجية كنظريات سياسية مكتملة النضج إلا بعد عقد من الزمان سادته حروب خارجية وحروب أهلية» وثورات وثورات مضادة في جميع أرجاء العالم. ولكن هذه المذاهب سبقتها أنظمة متنوعة يطلق عليها في مجملها اسم الانظمة الكليانية التي ظهرت في أوائل القرن العشرين؛ وكانت الخطوط العريضة للعالم الذي سينبثق من الفوضى السائدة واضحة وجليّة منذ وقت طويل. وبالوضوح نفسه كان معروفاً أي نوع من الناس سيحكمون قبضتهم على العالم. ولم يعد خافياً أن الارستقراطية الجديدة تتألف في أغلبها من بيروقراطيين وعلماء وفنيين وقادة نقابات عمالية وخبراء دعاية وعلماء اجتماع ومعلمين وصحافيين وسياسيين محترفينء وهؤلاء الناس الذين يعودون بأصولهم إلى الطبقة الوسطى التي يعتمد أفرادها على الرواتب» وكذلك إلى الفئة العليا من الطبقة العاملة» قد صهرهم معاً ووحّدهم عالم الصناعة والحكومة المركزية» وهؤلاء إذا ما قورنوا بنظرائهم في العصور الغابرة لوجدناهم أقل جشعاً وأقل ميلا للترف» وأكثر تعطشاً لبلوغ السلطة المطلقة: ولكن فوق كل ذلك أكثر إدراكاً لما يقومون به . 211

وأشد تصميما على سحق معارضيهم وهذا الفرق الأخير كان أساسياً. ذلك أنه بالمقارنة مع ما يوجد اليومء فإن أنظمة الطغيان في العاضنى كانت اقل كفاءة فى اسكبذادها وكفتقن إلى الكصميم على الفتك بالخصوم: كما أن الفئات الحاكمة كانت دائما واقعة تحت تأثير اكان لبدوالنة وكتوك عن طيب خا طر مواتن للكرية في كل تمكان: ولا تهتم إلا بالعمل الظاهر غير مبالية بما يدور في خواطر رعاياها. نل حتن الكنيسة الكاتوليكية في العصوى الونسطلن تفز متساهحة إذا ما قورنت بمعاييير هذه الأيام» ومن بين أسباب ذلك أنه لم يكن تتوفر اذية كزع قن الناضني ستلطة تشكنها :من]بقاء موالنيها صمت عرافية دائمة. ولكن مع اختراع الطباعة أصبح من الايسر التلاعب بالرأي القاءه كنا "أن تهون السيتما والزاديق قد ذفحا'يهذه العمل قدماء ومع اختراع التلفزيون وحصول ذلك التقدم التقني الذي جعل من الممكن الإرسال والاستقبال في آن واحد وعلى جهاز واحد فإن ذلك كان إيذانا بنهاية ما يسمى بالحياة الخاصة؛ حيث بات بإمكان كل حكومة أن تضع كل مواطن؛ أ على الاقل كل مواطن له من الأهمية ما يجعله جديراً بالملاحظة, تحت عين الشرطة لمدة أربع وعشرين ساعة في التوم وكصن طافلةالونا. الرسدة الموكوة مم هرت عن ممه قنوات الاتصال الاخرى. وللمرّة الاولى في التاريخ يصبح بالإمكان فرض حالة من الإذعان المطلق لإرادة الدولة ومن الاتساق التام في الراي حول جميع الموضوعات. وعقب المد الثوري الذي شهدته الخمسينات والستينات من القرن العشرينء أعاد المجتمع تشكيل نفسه كما هى العادة في طبقات ثلاث هي العليا و الوسطى والدنيا. لكن الطبقة العليا الجديدة وخلافاً لكل نظيراتها السابقات لم تعد تعمل بوحي من الغريرة بعدما عرفت هاذا يتعين عليه القياع به لخداية مركزهاء كما :أتها ادركت :ان الركيذة الوحيدة الآمنة لحكم الأقلية هى فكرة الجماعية» فمثلاً يسهل الدفاع عن كل بن الكروة والأمقازاك حيس فكو ملكيدينا مشاعا:.وما 22

سمي بإلغاء الملكية الخاصة الذي حدث في منتصف القرن العشرين لم يكن يعني في واقع الأمر إلا تركيز الملكية وتجميعها في أيدي عدد أقل من ذي قبلء ولكن مع وجود فارق واحد بسيط ألا وهو أن الغالكين اده قد اصيهوا مجموعة موحد لا اقرازا جتفرفين» فعلك الصعيد الفردي لا يمتلك أي من أعضاء الحزب شيئاًء ما عدا بعض الممتلكات الشخصية التافهة. أما على الصعيد الجماعي فإن الحزب يملك كل شيء في أوقيانيا لأنه يهيمن على كل شيء ويتصرف في الإنتاج حسيما' يواه مكائنتباً لمتشلحتة::وقة تكن السدت في السنوات التي تلت الثورة من القفز إلى هذا المركز القيادي» وأصبح بلا منازع تقريباً. وذلك لأن العملية برمتها قد قدمت باعتبارها عمل جماعي. لقد كان يفترض دائماً أنه إذا انتزعت أملاك الرأسماليين فإن الاشتراكية ستعقب ذلك: وقد حدث فعلا أن جُرّد الرأسماليون من ممتلكاتهم: فانتُزِعت منهم المصانع والمناجم والأراضي الزراعية والعقارات ووسائل النقلء ولأن هذه الأشياء لم تعد ممتلكات فرديةء فقد كان من الواجب أن تصبح ممتلكات عامة. أما الانجسوك والتي خرجت من عباءة الحركة الاشتراكية القديمة وورثت عنها خطابها الأيديولوجي» فإنها نفذت في الواقع جوهر البرنامج الاشتراكي وهو ما أدى إلى ما خطط له الحزب مسبقاً آلا وهى أن انعدام المساواة أصبح واقعاً مكرسنا: لكن مشكلة تكريس المجتمع الطبقي تظل أعمق وأشد تعقيداء إذ ليس هنالك غير أربع طرق لإزاحة فئة حاكمة عن سدة الحكم؛ فإما أن يتم قهرها من قبل عدى خارجيء أو أن تحكم بطريقة تعوزها الكفاءة وهى ما يدفع الجماهير للثورة:؛ أى تسمح لمجموعة من الطبقة الوسطى القوية والساخطة بالتشكل والظهورء أو تتزعزع ثقتها بذاتها وتفقد الإرادة في الحكم. ولا تعمل هذه الأسباب منفصلة بعضها عن بعضء فغالباً ما تجتمع معاً بدرجة أو أخرى. ومن ثم فإن الطبقة الحاكمة التي تستطيع حماية نفسها من هذه الأسباب جميعها فإنها 2413

تضمن التربع على سدة الحكم مدى الحياة. ولذلك يظل العامل الحاسم في نهاية المطاف هو الحالة الفكرية والعقلية وكيفية تصرّف الطبقة الحاكمة ذاتها. وبعد منتصف القرن العشرين زال الخطر وبات يتعذر قهر أي من القوى الثلاث التي تتقاسم العالم الآن والتي لم يعد بالإمكان قهرها إلا عبر ما يسمى بالتغيرات الديموغرافية والتي بوسع أي حكومة تتمتع بسلطات واسعة أن تتلافاها بسهولة. أما الخطر الثاني فهى نظري فقطء فالجماهير لا تثور من تلقاء ذاتها مطلقاًء كما أنها لا تثور لمجرد تعرضها للاضطهادء وما لم تتح لها إمكانية المقارنة بين أوضاعها الراهنة وبين أوضاع أخرىء فإنها لن تدرك أبداً حقيقة كونها مضطهدة. إن الأزمات الاقتصادية التي كانت تتكرر في العصور القديمة لم يكن لها ما يبررها على الإطلاق» أما في أيامنا هذه فلا يسمح لها بالحدوث أصلاًء بيد أن هنالك أشكال خلل أخرى لا تقل عن ذلك خطراً وإن كانت لا تصحبها نتائج سياسية وذلك لأنه لاسبيل أمام الكاسن للكعسر عن استياتهغ: اما فيما يخص مشكلة فائض الإنتاج التي ظهرت في مجتمعنا منذ اختراع الآلة فقد أمكن علاجها من خلال الحروب الدائمة (أنظر الفصل الثالث)» والتي تفيد أيضاً في الإبقاء على الروح المعنوية العامة عند الحد المطلوب. وهكذا فإن الخطر الحقيقي والوحيد من وجهة نظر حكامنا الحاليين يكمن فى إمكانية انشطار فئة جديدة من أناس لديهم الكفاءة اللأزمة وطاقة فائضة ومتعطشين إلى السلطة وانتشان.روح ليبرالية تحررية ونمى نوازع شكوكية بين صفوفهمء ومن هنا يتبين أن الإشكالية إشكالية تثقيفية الطابع. إنها مشكلة صياغة وعي كل من الفئة المسيطرة والفئة الأخرى الأكبر التي تليها مباشرة في الأهمية والتي تتولى تنفيذ ما تعهد إليه بها الفئة المسيطرة. أما وعي الجماهير فيجب التأثير عليه بشكل سلبي. ومما تقدّم يستطيع المرء أن يستكنه؛ إن لم يكن يعرف بالفعل» 244

التركيبة العامة لمجتمع أوقيانياء فعلى قمة الهرم ياتي الاخ الكبير وهى معصوم عن الخطأ ويتمتع بقدرة مطلقة» وكل نجاح وكل إنجاز وكل انتصار وكل اكتشاف علمي ينسب إليهء كما أن كل معرفة وكل حكهة وكل .سماد :وفضكلة إنذا يعزى الفضل "فيها مباكترة إلى :فاته الرشيدة الملهمة. ولم يحدث أن رأى أحد الأخ الكبير» فهو وجه مطبوع على لوحة أو صوت يصدر عن شاشة الرصدء ويمكننا أن نكون على درجة قوية من اليقين بأنه لن يموت كما أن هنالك حالة من الشك تحوم بالفعل حول تاريخ مولدهء إنه الشكل الذي اختار الحزب أن يظهر به أمام أعين العالم. وأما دوره فهى أن يكون جماع الحب والخوف والتبجيل» وهي مشاعر يسهل على الفرد أن يحسها نحى فرد آخر لا نحو منظمة ما. وبعد الأخ الكبير يأتي الحزب الداخلي الذي لا يزيد عدد أعضائه على ستة ملايين أو أقل من 002 من سكان أوقيانيا. ثم بعد ذلك يأتي الحزب الخارجي والذي إذا جاز لنا وصف الحزب الداخلي بانه العقل المفكر للدولة: فإن الحزب الخارجي هو الأيدي العاملة فيها. وفي أسفل الهرم تاتي الجماهير الصماء التي الفنا أن نسميها «البروليتارياء والتى تمثل ما نسبته 5 من مجموع سكان أوقيانيا. وحسب سيا تا السابقة, فإن العامة هم الطبقة الدنيا لأن سكان المناطق الاستوائية المستعبدين» الذين تتداولهم أيدي الغزاةء لا يمثلون مكوناً أساسياً أو ضرورياً في تركيبة المجتمع. وبصفة عامة فإن عضوية هذه الطبقات الثلاث ليست وراثية, فالطفل الذي يولد لأبوين من أعضاء الحزب الداخلي لا يكتسب هذه العضوية تلقائياً: ذلك أن القبؤل في :امن اجدعة الجزي الفلاقة يتحدد عبر اختبار يُجرى للمرء وهى في السادسة عشرة:ء كما أنه لا يسمح بحصول أي تمييز عنصري أو بهيمنة مقاطعة على أخرى, ولذلك ترى اليهود والزنوج وسكان أمريكا الجنوبية ذوي الأصول الهندية يشغلون أرفع المناصب بالحزبء ومن بين هؤلاء يجري دائماً 245

اختيار حكام الأقاليم. ولا يشعر سكان أي إقليم في أوقيانيا بأنهم مستعمّرون أو أن شؤونهم تدار من قبل عاصمة بعيدةء فأوقيانيا بلا عاصمة؛ ورئيسها الفخري لا يعرف أحد مكانه. وليس في أوقيانيا أي شكل من أشكال المركزية باستثناء أن الإنجليزية هي اللغة الرئيسية واللغة الجديدة هي اللغة الرسمية. أما حكامها فلا تجمعهم آصرة دم بل يجمعيم_الولاء لعقيذة مشتركة: تعم إن مجتيكنا ينتظر طلبقة فوق طبقة بشكل صارم فيما يبدو للوهلة الأولى وكأنه يرتكز على أسس وراثية» وأضحى نادراً في مجتمعنا أن يحدث حراك بين الطبقات مثلما كان الحال في :ظل الرأسمالية آى حتئى في عصر.ما قبل التصنيع. وفيما بين جناحي الحزب يوجد قدر معين من تبادل المقاعد بيخ الأعضاء ولكن يما يضمن استيمان العتاضن الضحيفة من الحرب الداخلي واستقطاب الطموحين من أعضاء الحزب الخارجي بترفيعهم إلى الحزب الداخلي. أما أفراد طبقة العامة فلا يسمح لهم في الواقع بنيل عضوية الحزبء وإذا خرج من بينهم أشخاص من ذوي المواهب الفذة والذين يمكن أن يكونوا نواة لإثارة القلاقل» فإن شرطة الفكر تترصدهم تمهيداً لاستكصال شافتهم. ولكن هذه الحالة ليست بالضرورة دائمة كما أنها ليست مسألة مبدأء فالحزب ليس طبقة بالمعنى القديم لهذه الكلمة» ولا يهدف إلى نقل السلطة إلى أبنائه» وإذا تعذر عليه إبقاء الأشخاص الأقدر فوق قمة الهرم فإنه يصبح على أتم الاستعداد لأن يجند جيلاً كاملا وجديداً من بين صفوف العامة. وفي السنوات العصيبة التي مر بها الحزب كان لفكرة أن الحزب ليس بهيئة وراثية دور كبير في إبطال حجج المعارضة: فالاشتراكي القديم الذي درب على النضال ضد كل ما تفوح منه رائحة «التمايز الطبقي» كان يظن أن كل ما ليس وراثياً لا دوام لهء كما لم يفطن هذا الصنف من الاغتتراكييق إلى أن اسكمزان. حكم الأقلية لا يتلم أن مكون ماديأء ولا هو استوقف نفسه للتفكير في أن الارستقراطيات الوراثية كانت دائماً قصيرة العمرء بينما بقيت منظمات رعوية مثل الكنيسة 216

الكاثوليكية مثلاً لمئات أو آلاف السنين. إن جوهر حكم القلة ليس وراثة الابن لأبيه» وإنما هو استمرارية رؤية للعالم وأسلوب حياة يفرضهما الموتى على الأحياءء وتظل الفئة الحاكمة حاكمة ما دامت قادرة على تعيين خلفائها. ولا يهتم الحزب بإبقاء سلالة بعينها وإنما يهتم بتخليد مبادئه, فليس مهما مَنْ يتولى السلطة طالما أن التركيب الهرمي للمجتمع لن يمس وسيظل على ما هو عليه. ومن هنا فإن جميع المعتقدات والعادات والأذواق والاتجاهات العقلية التى تميز عصرنا الحاضر قد حيكت بطريقة تبقى على هالة الخفوض التي :تظلن الحقيم كُما:تحول دوى اتعفياف اللبيدة الحقيقنة لمجتمع اليوم» وهى ما يجعل التمرد أو أي خطوات تمهد له في الوقت الراهن أمراً مستحيلا. وأما عن البروليتاريا فلا خوف من ناحيتهم, فافرادهاء إذا ما تُركوا وشأنهمء فإنهم سيستمرون من جيل إلى جيل ومن قرن إلى قرن يعملون ويتناسلون ويموتون» ليس دون أن يكون لديهم أدنى دافع للتمرد فحسبء بل ودون أن تكون لديهم القدرة على إدراك أن العالم يمكن أن يكون على غير ما هو عليه الآن. وهم لا يصبحون مصدر خطر إلا إذا بات التقدم الصناعي مرهوناً بتثقيفهم ثقافة عالية» ولكن لأن التنافس العسكري والاقتصادي لم يعد ذا أهمية» فإن مستوى التثقيف الشعبي آخذ فعلاً في التدهورء بل لقد ابح الكرب ينظ قطرة لابتالية إلى بجا محقدهة أو مرفشه العامة فين أفكارء ولا يمائع في مذحهم حرية فكرية طألما آنهم مجرّدون من القدرة على التفكين وام عضيو لزت قال يكن الععامم كمال انظ الانحرافات في رأيه حول أتفه الموضوعات. إن عضو الحزب يعيش من يوم مولده حتى يوم مماته تحت بصر وسمع شرطة الفكرء فحتى حينما يكون في خلوة مع نفسه لا يستطيع الجزم بأنه كذلك» فأينما يكون: نائما أى مستيقظاء في عمله أى استراحته؛ في حمامه أو فراشه» فإنه موضوع تحت المراقبة دون أن ينبهه أحد إلى ذلك ودون أن يفطن إلى أنه تحت رقابة دقيقة. فلا

شيء مما يفعل غير هام لدى شرطة الفكر التي يرقبه عملاؤها ليل نهارء فيراقبون سلوكه إزاء زوجته وأطفاله» ويرصدون حتى الكلمات التي يتلفّظ بها في نومه» وتعبيرات وجهه حينما يكون بمفرده؛ وحركاته المعهودة» بل ولا يفوتهم أن يفحصوا صداقاته ويراقبوه في اوقات ذومّة وليس يوسع شرظة القكر ان تكقشف اعماله السيئة فحسبء بل يمكنها أن تكشف عن أي غرابة في أطواره مهما كانت بسيطة» أي تغير في عاداته» أو أي لازمة عصبية قد تكون عرضاً من أعراض صراع داخلي. كما أنه لا يملك حرية الاختيار في أي شيء؛ ومن فاخية اخرئ فإن 'تضرفاتة ليست فحكومة بقانون او اي قزاعذ سلوكية محددة المعالم» فليس هنالك قانون في أوقيانياء فالافكار والتصرفات التىء حينما تكتشفء تعنى موتاً محققاً لفاعلها ليست مكوعة رقناء لسع 2 العسداك الكضوة الامكفالات والتعذيب وأحكام السجن وعمليات التبخير عقاباً على جرائم ارتكبت فعلاء بل هي مجرد استئصال لاشخاص قد يقترفون جرماً في المستقبل. ولا يكفي أن يكون عضو الحزب ذا رأي سليم فحسبء بل يجب أن تكون غرائزه سليمة أيضاً. وكثير من المعتقدات التي يطلب منه أن يعتنقها والمواقف التي يتبناها ليست معلنة بوضوح. ولا يمكن إغلاتها عون تقض للمتناقضات الكامنة فى الاشتراكية الإنجليزية. وإذا كان الشخص بالفعل مخلصاً للحزب» 5000 في اللغة الحديثة «حسن التفكير», فإنه يعرف في شتى الظروف وبدون حاجة إلى التفكير» ما هى المعتقد الصحيح أو ما هي العاطفة المرغوبة. وعلى أي حال فإن التدريب الذهني المدروس الذي يخضع له العضى في طفولته والذي يمكن اختصاره في مفردات اللغة الجديدة «إيقاف الجريمة؛ بياض السوادء ازدواجية التفكير»» يجعله يعزف بل ويعجز عن إمعان التفكير في أي موضوع. ويفترض في عضو الحزب ألا يكون صاحب عواطف خاصة وألا يعتري حماسه أي فتورء كما يفترض أن تستحوذ عليه كراهية لا 2018

يفتر لها سعار إزاء أعداء الخارج وعملاء الداخل» وأن يشعر بنشوة التصن.وان يحقن ناته انام سلطان الحزب وحكنتة :واما ما يعتمل داخله من مشاعر استياء تتولد لديه بسبب حياة الشظف والعناء التى تخيشها فرقم ترعيييها عت ككل البخارع وسدييها تكلك النفين المبتكرة خلال «دقيقتي الكراهية», كما أن التأملات التي ربما تولّد لدى المضو موقفاً ينزع للشك أو التمرد يتم وأدها سلف يتلام الانضباط الداخلي الذي اكتسبه في طفولته وتسمى أولى مراحل هذا الانضباط وأبسطهاء والتي يمكن حتى تلقينها لصغار الأطفال» في الله الجذيدة :ردبو ايقات الحريية وروفي قلقي القدرة تعن وان كدا الى كان بالفريزة» أي فكرة تنطوي على خطرء وتتضمن أيضاً عدم القدرة على فهم المتشابهات» وعدم القدرة على إدراك الأغلاط المنطقية., وإساءة فهم أبسط الحجج إذا كانت مناوئة للاشتراكية الإنجليزية؛ والتبرّم والانزعاج من أي أفكار قد تؤدي إلى اتجاهات انحرافية عن مبادئ الحزب. جملة القولء إن كلمة «إيقاف الجريمة» تعني غباءً وقائياء وإن كانت كلمة غباء غير كافية في هذا الصدد. وعلى النقيض فإن الولاء للحزب بكل ما تحمل الكلمة من معان يتطلب من المرء إن يتحكم تحكماً تاماً في العمليات الفكرية التي تدور في ذهنه تماماً مثلما يتحكم لاعب الاكروبات في جسمه. ويتفق المجتمع الأوقياني في نهاية الأمر على الإيمان بأن الأخ الكبير قادر على كل شيء وأن الحزب معصوم عن الخطاء ولكن لما كان واقع الأمر يقول إن الأخ الكبير ليس قادراً على كل شيء وأن الحزب ليس معصوماً عن الخطأء فإن ثمة حاجة إلى مرونة دائمة في معالجة الحقائق. والكلمة الرئيسية في هذا الصدد هي «بياض السواد», وهي مثلها مثل كثير من كلمات اللغة الجديدة ذات معنيين متناقضين: فإذا استعملت لوصف خصم. فإنها تعني عادةً الادعاء في صفاقة بأن الأسود أبيض بما يتناقض مع أبسط الحقائق» أما إذا استعملت مع عضى الحزب فهي تعني الرغبة الصادقة للقول بأن الأسود أبيض حينما يتطلب 2049

نظام الحزب ذلك. لكنها تعني أيضاً ألقدرة على الاعتقاد بان الأسود انين اعقو يكن حلله (3 تحرف المزية ا الاتول مظن يقسي تايا أنه كان يعتقد عكس ذلك من قبلء وهذا يتطلب تغييراً مستمراً للماضي من خلال نهج في التفكير يحتوي الضدين معاً والذي يطلق عليه في اللغة الجديدة «ازدواجية التفكير». إن تغيير الماضي ضروري لسببين: أولهما وهى ثانوي أو لنقل امقزازي: ان عضو :الحرب مثله مثل أئ: فرد.مث طبقة البزوليتازيا يحتمل ظروف حياته الراهنة لأنه لا يملك معايير للمقارنة» إذ يجب أن ينقطع انقطاعاً كلياً عن الماضي تماماً كما يجب أن ينقطع عن الأقطار الأجنبية لأن من الضروري بالنسبة إليه أن يؤمن بأنه أفضل حالاً من أسلافه وأن مستوى معيشته ورفاهيته فى ارتفاع دائم, وأما السبب الأكثر أهمية لإعادة رسم الماضي فيكمن فى الحاجة إلى حكارة نكوة حصة التسد ول وتوف لان فق حرق هديك وتعتديل أجميع الخطي «الإحصاكيات والشتجلاف مضفة داكمة ومتواصلة إثباتاً لأن تنبوات الحزب كانت في جميع الأحوال صائبة يمي وإتها ممكد' إلى اعثبار أ كقويس فى مادج الدرت: او في الولاءات السياسية أمراً غير مقبول إطلاقاً وذلك لأن تغيير المرء لرأيه أو حتى لسياسته هو بمثابة إقرار بالضعف. فإذا كانت أوراسيا أى إيستاسيا مثلاء حسبما يصادف الأمرء هي عدى اليوم؛ فإن هذه الدولة مهب آن تكل اتنا هن العدو. أما إذا كانت حقائق الواقع تقول فين كلك فحيقكد يكب الغررى فته الحقائق» وهكذ]: تتواضل عملية إعادة كتابة التاريخ مرة بعد مرة وبلا توقف. ولا يقل هذا التزييف المتواصل للماضيء والذي تقوم عليه وزارة الحقيقة أهمية» عن الممارسات القمعية وأعمال الجاسوسية التي تقوم عليها وزارة الحب بالنسبة لاستقرار النظام. إن قابلية تبديل الماضي هي العقيدة الرئيسية في الاشتراكية الإنجليزية» إذ يعتبر الحزب أن أحداث الماضي ليست بذات وجود 2250

موضوعي لأنها لا تعيش إلا بين صفحات السجلات المكتوبة وفي ذاكرة الإتسان:فالجتاكبى شونا عقوي علجد كل من الشعلات والذاكرات: ولما كان الحزب يسيطر سيطرة تامة على السجلات كما على عقول أعضائه » فإن الماضىء تبعاً لذلك: هو ما يريده الحزب وما يشاء أن يصنع منه. وتبعاً لذلك أيضاً وبالرغم من قابلية الماضي للفيديلةافإنة لم يتيدل غظافي احطةا من الالحلات. ذلك اله عتدما تاد صياغته في القالب الذي تستلزمه متطلبات المرحلة الراهنة» فإن هذه الصياغة الجديدة تصبح هي الماضي ولا ماض سواه قد وُجد. ويظل هذا 'مقيولا خد نضكنا ينكين تقتور حاوف يدا وهو غالبا اماد مرات عديدة فى غضون سنة واحدة» وفى جميع هذه الأحوال يظل الجزب هن رز فلك تناضنة التحقيفة اللمطلقةة والحقيقة المطلقة في نظره لم تختلف يوماً عما هو عليه واقع الحال. ومن الواضح أن السيطرة على الماضي تتوقف قبل كل شيء على تدريب الذاكرة, وعملية التاكد من أن جميع السجلات المكتوبة تتفق مع الاعتقاد الصحيح المعتمد لا تعدو كونها مجرد عمل آلي. لكن من الضروري أن يتذكر المرء أن الاحداث وقعت بالطريقة المرغوبة. ولثن كان ضرورياً للمرء أن يعيد تشكيل ذكرياته أى يعبث بالسجلات المكتوبة» فمن الضروري أيضاً أن ينسى أنه قد فعل هذا. وهذا الاحتيال يمكن أن يتعلمه المرء مثلما يتعلم أي طريقة ذهنية» وهى الأمر الذي يتعلمه غالبية أعضاء الحزب وبالأخص الأذكياء منهم والمخلصين للحزب» وكان يطلق على ذلك في اللغة القديمة «السيطرة على الحقيقة» بينما يكلى عليه في اللفة الجديةة اك وواجية الفكير» :على : الرهم سن أن ازدواجية التفكير تعني كثيراً من الأشياء الاخرى أيضاً. فازدواجية التفكير تعني القدرة على اعتناق معتقدين متناقضين في آن واحد وقبولهما معاً. فالمفكر الحزبي يعرف الوجهة التي يجب أن تأخذها ذكرياته عند تغييرهاء وككرف نناء على ذلك أنه يتلاعب بالحقيقة» ولكنه بممارسة ازدواجية التفكير يُقنع نفسه بأنه لم يدنس

الحقيقة. ويتعين أن تجري هذه العملية عن وعي وإدراك وإلا تعذّر تفيةها بالرفة المظاوية: كنا ينيعي اتكم يدون وني ايخنا وال فإنها ستولّد شعوراً بالزيف ومن ثم بالإثم. إن ازدواجية التفكير تقع في صميم مبادئ الاشتراكية الإنجليزية باعتبار أن المنهج الرئيسي للحزب هى استخدام الخداع الواعي مع الاحتفاظ بثبات الغاية التي تظل محاطة بالصدق. ولذلك لا بد لعضى الحزب أن يكذب متعمّداً وهى يؤمن في قرارة نفسه بكذبه؛ وأن ينسى أي حقيقة باتت غير ملائمة, ثم عندما تمس الحاجة إليها مرة ثانية فإنهم يستدعونها من غياهب النسيان» وأن ينكروا وجود الحقيقة الموضوعية وأن يأخذوا بالخسبان ذلك الواقع الذي أنكروه. بل وحتى عند استعمال عبارة ازدواجية التفكير من الضروري أن يمارس المرء ازدواجية التفكير» ذلك أن المرء باستعماله هذه العبارة إنما يعترف بأنه إنما يتلاعب بالحقائق» فمع كل مرة يلجأ فيها المرء لازدواجية التفكير فإنه يطمس معرفة ما وهكذا دواليك حتى تتراكم الأكاذيب وتجثم فوق الحقيقة. وفي النهاية فقد استطاع الحزب من خلال ازدواجية التفكير أن يظل وربما سيظل لآلاف السنين ممسكاً بناصية التاريخ. لقد هوت جميع الأقليات الحاكمة إما لأنها تحجرت أو لأنها باتت هشّة. فإما انها أصيبت بالبلادة والغطرسة وعجزت عن مواكبة الظروف المتغيرة مما أقضى بها إلى السقوطء أو أنها أصبحت ليبرالية جبانة وقدمت تنازلات عندما كان ينبغي عليها اللجوء للقوة ومن ثم سقطت أيضاً. بعبارة اخرى؛ لقد سقطت هذه الأقليات إما بوعي أو بدون وعي. وإنه لمما يُسَجّل للحزب أنه أوجد نظاماً فكرياً يمكن لهاتين الحالتين أن تتواجدا معاً في آن واحد. ولا يمكن أن تدوم للحزب هيمنة على أي أساس فكري غير هذا الأساسء فإذا أراد المرء أن يحكم وأن يستمر في الحكم فعليه أن يكون قادراً على زعزعة الإحساس بالواقع. وذلك لأن سر أسرار الحكم هى جمع المرء بين إيمانه بأنه لا يخطئ وقدرته على التعلم من أخطاء الماضي. 252

وليست هنالك حاجة تدعو للقول بأن أكثر ممارسي ازدواجية التفكير دهاء هم أولئك الذين ابتدغوه ويدركون انه منظومة فغالة للخداع العقلي. وفي مجتمعنا فإن أولئك الأكثر إدراكاً لما يحدث هم نفسهم الأكثر عجزاً عن رؤية العالم كما هى فعلاً. مجمل القول إنه كلما ازداد المرء فهماً اتسعت هوة الوهمء وكلما اتقد ذكاؤه كان أقل حكمة. والمثال الأوضح على ذلك هى حقيقة أن هستيريا الحرب تتأجج كلما ارتقى المرء في السلم الاجتماعيء إذ لا يقف من الحرب موقفاً عقلانياً إلا رعايا الأراضي المتنازع عليهاء فالحرب لدى هؤلاء ما هي إلا إعصار يجتاحهم جيئة وذهاباًء وهم لا يبالون البتة بأي الاطراف سينتصر في الحرب لأنهم يدركون أن تغيير سادتهم لا يعني أكثر من أنهم سيؤدون نفس فروض الطاعة للسادة الجدد والذين: سيسوموتهم العذاب ذاته الذي كان سادتهم القدامى يسومونهم إياه. وأما العمال الأفضل حالاً من هؤلاء بقليل والذين نطلق عليهم «العامة» فلا يشعرون بالحرب إلا على نحى متقطع. ويمكن لهؤلاء حينما تدعو الضرورة أن ينخرطوا في نوبات من الخوف وسعار الكراهية؛ غير أنهم إذا تُركوا وشأنهم فإنهم يصبحون قادرين على التسنان ولقترات طؤيلة أن كمة تحرياً تدوز رحاها. آما الحماس الحقيقي للحرب فلا يوجد إلا في صفوف الحزبء وبالأاخص في صفوف الحزب الداخلي حيث توجد تلك الفئة الارسخ إيماناً بغزى العالم واحتلاله رغم معرفتهم أن تحقق ذلك إن هو إلا وهم. ويعتبر مثل هذا الجمع الغريب بين الأضداد - المعرفة مع الجهل: والسخرية مع التعصب - هو من أخص الخصائص المميزة للمجتمع الأوقياني. وتزخر الايديولوجية الرسمية بالمتناقضات حتى حينما لا يكون ثمة سبب فعلي يستدعي ذلكء وهكذا فإن الحزب يرفض كل مبدا أيدته الحركة الاشتراكية في الأصلء بل ويحط من قدره وهى حينما يفعل ذلك فإنما يفغله باسم الاشتراكية:ويندعو الحَزب لازدراء الطبقة العاملة ازدراء لم يسبق له مثيل في القرون الماضية وفي الوقت 2053

نفسه يلبس أعضاءه زياً موحداً كان في يوم من الأيام يميز العمال اليدويين» ولهذا السبب اختاره الحزب. ويعمل الحزب بصورة منهجية على تقويض دعائم التماسك الأسريء ويطلق على زعيمه اسم «الأخ الكبير» وهي رمز مباشر للولاء الأسريء» يل وحتى أسماء الوزارات الأربع التي تحكمنا تبدي شيئاً من الصفاقة فيما تمارسه من قلب متعمد للحقائق» فوزارة السلام تعنى بشؤون الحربء ووزارة الحقيقة مهمّتها التزوير وخلق الأكاذيب» ووزارة الحب تسوم الناس العذاب» أما وزارة الوفرة فتعني بتجويع الناس حتى الموت. وليست مثل هذه المتناقضات عرضية كما أنها ليست نتاجاً لرياء عادي, بل هي معاريحات مووسة وتفتيلة در يوالم الحدكين ذلك أن له ميقن الاحتفاظ بالسلطة إلى الابد إلا عبر التوفيق بين المتناقضاتء؛ وليس ثمة طريق آخر لكسر الحلقة القديمة. وإذا كان ينبغى تجنب المساواة بين البشر إلى الأبدء أي إذا كان على الطبقة العليا كما أسميناها أن تحتفظ يموقعها بصفة دائمة, فإن عليها السيطرة على الحالة الفكرية السائدة التي هي الجنون. ولكن ثمة سؤال واحد تغاضينا عنه حتى الآن وهو: لماذا يجب تجنب المساواة بين البشر؟ وإذا افترضنا أن آليات العملية قد وصفت وصفاً دقيقاء فما هو الدافع وراء هذا الجهد الضخم والمنظم بدقة وعناية من أجل تجميد التاريخ عند لحظة معينة في الزمن؟ وهنا نصل إلى سر الأسرارء فكما رأينا فإن هالة الغموض التى بيط الخزب وطلى الاخصض بالعزب الداكني مق على ازيزاجية التفكير» ولكن الأعمق من ذلك هو الدافع الاصلى والغريزة التى لم تكن مثار شك أبداً والتى كانت الحافز الاول للقفز على السلطة وجاءت بازدواجية التفكير ثم شرطة الفكر وحالة الحرب الدائمة وجميع المظاهر الإخرى الضرورية التي ظهرت للوجود فيما بعد. ويتضمن هذا الدافع فعلاً من ... 204

وهنا أصبح ونستون يشعر بالصمت كما يشعر المرء بصوت جديد البعث حولهء وخيل إليه أن جوليا كانت ساكنة الحركة لفترة طويلة» وكانت ترقد على جنبها وعارية من الخصر فما فوق وقد توسدت راحة يدها وتدلت خصلة شعر بين عينيها بينما كان صدرها يعلو ويهبط على نحو بطيء ومنتظم. فناداها: - جوليا. فلم تحر جوابا. - جوليا هل أنت مستيقظة؟ ولكنها لم تجب أيضاً لأنها كانت قد راحت في نوم عميق» فأغلق الكتاب ثم وضعه بعناية على الأرض» ثم اضطجع ساحبا الغطاء ليغطي جوليا ويندس إلى جانبها. لكنه راح يفكر في أنه لم يعرف بعد السر النهائي» لقد فهم «كيف' ولكنه لم يفهم «لماذا»» فالفصل الأول شأنه شأن الفصل الثالث لم يأت بجديد لم يكن يعرفه من قبل» فكل ما فعله هو أنه رتب له ما كان يعرفه بالفعل. لكنه بعد قراءته للفصلين بات واثقاً أكثر من ذي قبل أنه لم يكن مجنوناً وأن وجود المرء بين أقلية حتى لو كانت هذه الأقلية تتألف من فرد واحد فحسب لا يجعله مجنوناء إذ هنالك حقيقة وكذب وإذا ما تمسكت بالحقيقة حتى لو كان في ذلك مواجهة للعالم أجمع» فإن هذا يعني أنك لست مجنونا. وكانت صفرة الشمس الغاربة تنسل عبر النافذة وتسقط على الوسادة» فأغمض ونستون عينيه» وكان شعاع الشمس على وجهه فضلا عن جسد الفتاة الناعم الذي يلامس جسده قد ولدا لديه إحساساً بالثقة ورغبة في النوم. كان يشعر بالأمان وبأن كل شيء على ما يرام. ولذلك فقد راح في نوم عميق وهو يتمتم بعبارة «سلامة العقل ليست مسألة إحصائية» والتي كان يشعر بأنها تنطوي على حكمة بالغة وعميقة . 1 وحينما استيقظ كان يحس وكأنه قد نام وقعاً طويلا» ولكن نظرة 255

واحدة ألقاها على الساعة عتيقة الطراز أكدت له أن الساعة لم تتجاوز النامنة والنصف بعد. ولذلك فقد أخذته سنة من النوم ثم أفاق على ذاك الغناء المألوف المنبعث من الساحة التي تطل عليها الغرفة : كان حلماً مقطوع الرجاء مر كيوم من نيسان ولكن بنظرة وكلمة وأحلام أثاروها استلب مني فؤادي كان يبدو أن هذه الأغنية التافهة قد حافظت على شعبيتها وانتشارهاء لقد كان المرء أينما ذهب يسمعهاء بل لقد فاقت أغنية الكراهية نفسها. استيقظت جوليا على الصوت وتمطت بتلذذ ثم نهضت من الفراش . وقالت: «إنني جائعة» دعنا نعد بعض القهوة. يا للعنة! لقد انطفأ الموقد وبرد الماء؛. ورفعت الموقد وهزته بيدها وقالت: «لقد نفد منه الزريت»؛. - أظن أنه يمكننا الحصول على بعض الزيت من شارنغتون العجوز . ثم أضافت قائلة: «الشيء المضحك أنني تأكدت من أنه كان ملآن» سألبس ثيابي» إذ يبدو أن الطقس قد ازداد برود»ة. ونهض ونستون أيضا ولبس ثيابه» وكان ذلك الصوت الذي لا يلحق به الكلل أو الملل يواصل الغناء : يقولون إن الزمن يداوي كل الجراح يقولوة [ن المرء بوشعة أن يسن دائماً بيد أن الابتسامات والدموع عبر السنين ما تزال إلى الآن تقطع نياط قلبي! 2206

اتجه ونستون نحو النافذة بينما كان يشد حزامه. لا بد أن الشمس قد توارت خلف البيوت إذ كان ضوؤها قد انحسر عن الساحة. وكانت الحجارة مبتلة كما لو كانت قد غُسلت لتوهاء بل لقد خامره شعور بأن السماء نفسها قد غُسلت أيضاً فقد كانت زرقتها التي بين أعمدة المداخن نضرة وشاحبة. وكانت المرأة صاحبة هذا الصوت تذرع الساحة جيئة وذهاباً بلا كلل أو ملل» فتارة تغني وأخرى تلزم الصمت لكنها كانت دائماً تعلق مزيداً من حفاضات الأطفال. وتساءل ونستون في نفسه عما إذا كانت تزاول الغسيل كمهنة من أجل كسب قوتهاء أو أنها كانت مجرد خادمة لعشرين أو ثلاثين حفيداً. كانت جوليا قد جاءت لتقف إلى جانبه» وراحا معاً يحملقان إلى الأسفل وقد خلب لبهما القوام القوي لهذه المرأة. وعندما تطلع إلى المرأة بهيئتها المميزة وذراعيها الغليظتين وهما تمتدان حتى تطالا حبل الغسيل» وردفيها البارزين ككفل حصان» أدرك وللمرّة الولى أن هذه المرأة جميلة. ولم يكن قد خطر بباله من قبل أن امراة في الخمسين أخذ جسمها أبعادا هائلة جراء حمل الأطفال» ثم تصلّب بعدئذ واخشوشن بالغمل حتى قسى مثل لفتة شائخة؛ يمكن أن تكون جميلة. لكنها كانت جميلة. ولم لا؟ إن بين جسمها الصلب الذي ضاعت خطوطه مثل صخرة من الجرانيت وجلدها الأحمر الخشن» علاقة تشبه تلك التي بين تاج الوردة وكأسها. فلماذا ينبغي أن تكون الثمرة في مرتبة أدنى من مرتبة الزهرة؟ وحيتئذ غمغم ونستون: (إنها جميلة». وأضافت جولياً: «إن عرض ردفيها يبلغ متراً كاملا» . فقال ونستون: «هذا هو سر جمالها». وأمسك بخصر جوليا اللدن ثم أحاطه بذراعه» والتصق به جسمها من ردفيها حتى ركبتيها. لكن ونستون كان يعلم أن ما يقومان به لا يمكن أن يثمر طفلاً فهذا هو الشيء الوحيد الذي لا يمكنهما فعله. ولم يكن بإمكانهما الإفصاح عن هذا السر لأحد إلا بكلمة يتلفظ بها من عقل إلى 257

عقل. أما المرأة التي كانت في الساحة فلا عقل لهاء فهي لا تملك سوى ذراعين مفتولتين وقلب حار ورحم خصب. وتساءل ونستون عن عدد الأطفال الذين أنجبتهم. ربما أنجبت خمسة عشر طفلاء لا شك أنها مرّت بازدهار عابر وسريع» ربما لسنة من الزمن» ازدهار وجمال وردة برية» ثم انتفخت فجأة مثل ثمرة جيدة فأصبحت صلبة حمراء خشنة» بعدئل غدت حياتها عبارة عن أشواط متواصلة من الغسيل والتنظيف والرتق والطهو والكنس والتلميع لأطفالها أولاً ثم لأحفادها فيما بعد وعلى مدى ثلائين سنة متصلة ومع ذلك فهي لا تزال تغني. ولقد امتزجت مشاعر التبجيل الغامض التي أحسها ونستون نحوها مع المشهد الشاحب للسماء الخالية من الغيوم والممتدة لما وراء أعمدة المداخن إلى مسافات لا نهاية لها. وقد لفت نظره أن السماء التي تظلل الجميع واحدة سواء كان ذلك فى أوراسيا أو إيستاسيا أو حتى هنا فى أوقياينا كما أن النانن الذين تظللهم السام يتشابهرة "إلى بعد عبير اينما كانواة قبي جميع أنحاء العالم يعيش مئات ألوف من ملايين الأشخاص على هذا المنوال»؛ حيث يجهل بعضهم وجود بعض. وتفصل بينهم جدران من الكراهية والأكاذيب ومع ذلك فإنهم متمائلين. أناس لم يتعلموا أبداً كيف يفكرون ولكنهم يختزنون في قلوبهم وبطونهم وعضلاتهم القدرة التي يمكن في يوم من الأيام أن تقلب نظام العالم. فإذا كان هناك أمل فإنه يكمن في العامة! ومن دون أن يكمل قراءة الكتاب أدرك أن تلك لا بد أن تكون رسالة غولدشتاين الأخيرة. إن المستقبل ملك العامة» وتساءل ونستون: هل يمكنني أن أضمن أنهم عندما يحين وقتهم ويمسكون بزمام أمور العالم فإن العالم الذي سينشئونه لن يكون غريبا عليّ كهذا العالم الذي يهيمن عليه الحزب؟ أجل سيكون كذلك لأنه. على الأقل» سيكون عالم العقل. فحيئما توجد المساواة يوجد العقل». ولسوف يحدث ذلك إن عاجلاً أو آجلاً. سوف تتحول القوة إلى وعي . إن العامة خالدونء وهذه حقيقة لا يمكن أن يرقى إليها شك حينما ينظر المرء إلى

القوام الراسخ للمرأة التي في الساحة. لا بد أنهم سيستيقظون في نهاية الأمرء وإلى أن يحدث ذلكء. وبالرغم من أنه قد لا يحدث إلا يعد مضي ألف سنة» اللو تو ل 0 الحيوية من جسم إلى جسم دون أن يتمكن الحزب من تقاسمها معهم حتى قتلها. وقال ونستون: «هل تذكرين العصفور الذي كان يغنّي لنا يوم التقينا عند طرف الغابة؟» فقالت جوليا: (إنه لم يكن يغني لنا بل كان يغْنْ لنفسه» وربما ليس لهذا السبب أيضاًء بل لقد كان يغني لمجرد الغناء». إن الطيور تغني والعامة تغني بيد أن الحزب لم يغئي. وفي جميع أنحاء العالم» في لندن ونيويورك وأفريقيا والبرازيل وفي الأراضي المحرمة الواقعة وراء الحدود والتي يلفها الغموض وفي شوارع باريس وبرلين وفي فرى السهول الروسية الشاسعة وفي أسواق اليابان والصين0 تنتصب شبيهات هذه المرأة ذات القوام الصلب الذي لا يكل أو يمل واللائي تضخمت أجسامهن من جراء العمل وإنجاب 2 من المهد إلى اللحد ومع ذلك يغنين. ومن أصلاب هلا ء سيخرج حتماً جيل واع. فإذا كنا من الأموات» فإن المستقبل لهم إلا أنه من الممكن لنا المشاركة في ذلك المستقبل إذا استطعنا إبقاء العقل منّا حياً كما يبقون هم أجسادهم حية» ونقلنا العقيدة السرية التي مفادها أن اثنين واثنين يساويان أربعة إلى القادم من الأجيال. وقال ونستون: (إننا نحن الأموات». فردت جوليا بصوت كأنه الصدى: «إننا نحن الأموات». فقال صوت حديدي ينبعث من خلفهما: (إنكما أنتما لميّتان!» فانتفضا وانفصل واحدهما عن الآخر» وشعر ونستون أن الدم تجمد في عروقه» ورأى البياض حول حدقتي عيني جوليا وشحب وجهها كله 2059

حتى أن بقايا الصباغ الأحمر التي على وجنتيها قد برزتا وكأنهما غير متصلتين بالبشرة التي تحتهما. وكرن العيوية الحديدي: (إنكما لميّتان». وهمست جوليا: «إن الصوت يأتي من وراء اللوحة». فقال الصوت: «أجل إنه يأتى من وراء اللوحة» اثبتا مكانكما ولا تتحركا حتى يصدر لكما أمر آخر». إنها بداية النهاية» إنها بداية النهاية! لم يكن باستطاعتهما أن يفعلا أي شيء غير أن يحدق أحدهما في الآخرء ولم تخطر ببالهما فكرة أن ينجوا بحياتهما ويغادرا المنزل قبل فوات الأوان» فلا يعقل أن يتصورا أن بوسعهما عصيان الصرت الحديدي الصادر من الجدار. ثم سمعا صوت فرقعة تلاه صوت زجاج يتهشم» لقد سقطت اللوحة على الأرض كاشفة شاشة الرصد المخبأة وراءها. قالت جوليا: «إنهم يروننا الآن». فقال الصوت: (إننا نراكما الآن. قفا فى منتصف الغرفة وليدر كل تكبا بره للاغر» وليضع يدية خلت رأنهة ولا يعسي ادكه الآخر). ولم يمسس أحدهما الآخر ومع ذلك ظل ونستون يشعر وكأن جسد جوليا يرتجف أو ربما كان جسده هو الذي يرتجف. وقد استطاع بشق الأنفس أن يمنع أسنانه من أن تصر صريراً لكن ركبتيه كانتا خارجتين عن سيطرته» ثم سمعا وقع أقدام قوية في داخل المنزل وخارجهء وبدا أن الساحة قد اكتظت بالرجال وأن شيئاً ما يتم جره على الأحجار وتوقفت المرأة عن الغناء فجأة. وسمع صوت طقطقة وكأن حوض الغسيل قد قذف به عبر الساحة وأعقب ذلك جلبة من الهتافات الغاضبة التي انتهت بصرخات ألم . وقال ونستون: «إن البيت محاصرا. 2060

فقال الصوت: (إن البيت محاصر». وسمع ونستون جوليا تصر على أسنانها وتقول: «أعتقد أنه يحسن بنا أن يودع كل منا الآخر». فقال الصوت: «يحسن بكما أن يودع كل منكما الآخر». ثم سمعا صوتاً آخر يختلف تماماً عن الصوت الحديدي», وكان صوتاً رقيقاً مهذباً وبدا لونستون أنه سمعه من قبل هو يقول: (وبالمناسبة» وما دمنا بصدد هذا الموضوع . فها هي شمعة تستنير بها في الطريق إلى الفراش» وها هي مقصلة تحر عنقك!» وسمع ونستون صوت شيء يتهشم خلفه ويقع على الفراش» لقد برز رأس سلم من النافذة وبدا أن شخصاً ما يتسلقه للدخول عبر النافذة. وارتفع وقع أقدام على درج المنزل ولم تمر لحظات حتى أصبحت الغرفة غاصة برجال أشداء يرتدون بزات سوداء وأحذية ذات نعال حديدية ويلوحون بهراوات في أيديهم . ولم يعد ونستون يرتجفء بل حتى لم يكن يحرك عينيه. كان الشيء الوحيد الذي يهمه هو أن يحتفظ بسكونه لئلا يعطي أحدهم حجة لضربه ! وتوقف قبالته رجل ذو فك يشبه فك مصارع حيث كان فمه كشق مفتوح» وراح يلوح بهراوته واضعا إياها بين إبهامه وسبابته. والتقت عينا ونستون عيني هذا الرجل وكان شعور ونستون بالعري» وبيديه المرفوعتين خلف رأسه وبوجهه وجسده المكشوفين شعوراً لا يحتمل. ولعق الرجل شفتيه بلسانه ثم سمع صوت فرقعة آخرء لقد تناول أحدهم الثقل الزجاجي من فوق المنضدة ثم ألقى به فوق حجر المدفأة فتهشم . وتدتخرجنت قطعة الفرجان على الأرض + وكتانت ضعيلة تجدا: بعدئذ سمع شهقة وخبطة خلفه. ثم وعلى الفور تلقى ضربة عنيفة على كاحله كادت تُفقده توازنه» بينما كان رجل آخر يلكم جوليا في بطنها فارتمت على الأرض وهي تلهث محاولة تنشق للهواء. لكن ونستون لم يجسر على الالتفات قيد أنملة» وإن كان وجهها المزرق الشاحب 2061

واللاهث يأتي أحياناً في نطاق رؤيته. ورغم حالة الذعر التي استولت عليه فقد كان الألم الذي يشعر به أقل حدة من ذلك الذي كانت تحسه وهي تحاول استعادة أنفاسها. كان يدرك مدى الألم المضني الذي تتعرض له ولكنه ذلك الألم الذي لا يشعر به المرء ما دام عاجزا عن التقاط أنفاسه. بعدئذ انكب رجلان على جوليا ثم رفعاها من ركبتيها وكتفيها وحملاها خارج الغرفة كأنها كيس من الخيش. واستطاع ونستون أن يرى وجهها بلمحة خاطفة» كان وجهها منكفئا شاحب اللون مغلق العينين بينما كانت آثار الصباغ الأحمر لا زالت عالقة بوجنتيها وكان هذا هو آخر ما رآه منها. أما هو فقد بقي واقفاً وكأن على رأسه الطيرء ولم يكن قد ضربه أحد بعد. لكن ثمة أفكار أخرى كانت تنبجس بسرعة فى عاطزة» سنال :عم]| كاتو) قد" الهوا القيمن على السد شارتشتؤن» وعما فعلوه بالمرأة التي كانت في الساحة. ودهش لإحساسه بالحاجة الماسة إلى التبول مع أنه لم يكن قد انقضى غير ساعتين أو ثلاث على تبوله آخر مرة» كما هاله أن الساعة كانت تشير إلى التاسعة مساء بينما كانت الأنوار ما زالت مضاءة على غير العادة فى ذلك الوقت من عملي وثواء لد عقا إذا كان عو جرلا قد اخها نري الو قفو ركان حتى التاسعة من صباح اليوم التالي» لكنه لم يتابع هذه الفكرة لأنها لم تكن ذات فائدة. وبعدئذ سمع ونستون وقع خطى أخف على الأرض» إنه السيد شارنغتون وقد دلف إلى الغرفة» وللتو بدت علامات الخضوع على وجوه الرجال ذوي الزي الأسودء كما بدا أن ثمة تغيراً قد طرأ على هيئة السيد شارنغتون الذي وقعت عيناه على شظايا الثقل الزجاجيء» فقال بحدة : ١ - اجمعوا هذه الشظايا. وانحنى أحد الرجال منفذاً الأمر. وكانت لهجة أحياء لندن الفقيرة قد اختفت لديه» وفي الحال أدرك ونستون من هو صاحب الصوت الذي 262

كان يصدر عن الشاشة منذ دقائق. كان السيد شارنغتون لا يزال يرتدي معطفه المخملي العتيق ولكن شعره الأبيض كان قد صار أسودء كما لم يكن يرتدي نظارته. وحدج ونستون بنظرة حادة كما لو أنه يتحقق من هويته» ثم لم يعره بالا بعد ذلك. وفطن ونستون إلى أن ثمة تغييرا قد طرأ على السيد شارنغتون» فقد غدا منتصب القامة وبدا أن جسمه قد أصبح أكثر امتلاء . أما وجهه فلم تطرأ عليه غير تغييرات طفيفية لكنها مع ذلك غيرت ملامحه تغييرا كاملاء فقد بدا حاجباه أقل كثافة» واختفت التجاعيد من وجههء لقد تغيرت كل تقاسيم وجهه بل حتى أنفه قد بدا أقصر مما كان عليه. إنه وجه بارد يوحي بأن صاحبه لا يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمرهء وسرعان ما تنبه ونستون أنه ولأول مرة في حياته يرى رأي العين عنصرا من عناصر شرطة الفكر. 2063

الجزء الثالث 2065

الفصل الأول لم يكن ونستون يدري أين هو! كان يُفترض أنه في وزارة الحب» لكن كيف السبيل للتحقق من ذلك . كان قابعاً فى زنزانة عالية السقف لا نوافذ لهاء وكانت جدرانها مغطاة بالخزف الأبييض اللامعء وكانت كانت مصابيح مخفية تغمرها بفيض من الضوء الباهرء كما كان هناك طنين مستمر ظن ونستون أن له علاقة بفتحات التهوئة بالزنزانة. وبمحاذاة جدران الزنزانة امتد مقعد خشبي مستطيل لا يتسع عرضه للجلوس عليه إلا بصعوبة» وفي الجانب المقابل للباب كان هنالك مرحاض بلا كرسي يستعمل لقضاء الحاجة» وفي كل جدار من جدران الزنزانة الأربعة تبنت شاشة رصد. وكان ونستون يشعر بألم مبرح ومتواصل في بطنه رافقه منذ أن اقتادوه وقذفوا به في الشاحنة المغلقة التي نقلته. ولكنه كان يشعر أيضا بجوع قارص وشديدء فلربما مضى على آخر مرة ذاق فيها طعاماً أربع وعشرون أو ست وثلاثون ساعة. ولم يستطعء كما لن يتسنى لهء أن يعرف إن كانوا قد ألقوا القبض عليه في الصباح أو المساء. جلس ونستون فوق المقعد لا يحرك ساكناً وقد عقد ذراعيه حول ركبتيه» وكان قد تعلّم أن يجلس بلا حراك بعدما أدرك أن أي حركة غير متوقعة يأتي بها تجعل صوتاً ينبعث من شاشة الرصد ينهره عن ذلك . واشتدت وطأة الجوع عليهء ومع ذلك لم يشته أكثر من كسرة خبز تذكر 267

أن لديه بعضاً منها في جيب معطفه كان يشعر بها من حين لآخر تخز ساقه.
وبعد طول ترددء تغلب إحساسه بالجوع على خوفه فدس يده في ولم يكد يفعل حتى استوقفه صوت صارخ من شاشة الرصد: «سميث! سميث ونستون رقم 26079 أخرج يدك من جيبك» هذا غير مسموح به في الزنزانة!) فعاد إلى سكونه الذي كان عليه وعقد ذراعيه حول ركبتيه. وتذكر كيف أنهم قبل أن يجيئوا به إلى هنا قد ذهبوا به إلى مكان آخر يرجح أنه سجن عادي أو مركز توقيف تستخدمه الدوريات» لكنه لم يستطع أن يعرف كم من الوقت أمضى هناك فقد كان يتعذر عليه قياس الوقت» كان مكانا صاخبا تتصاعد منه روائح كريهة. كانت زنزانة أشبه بتلك التي يقبع فبيا الآن وإن كانت أشد قذارة وتكعظ حشر أو جمسة عشر سجينا أغلبهم من المجرمين العاديين وقليلهم من السجناء السياسيين. وهناك علس هناما وق اسند ظهره» للخائط فيما كانة تزاحيه أجناد قدزرف ورغم أن الخوف والألم قد استحوذا عليه وصرفاه عن كل ما حوله» فقد استطاع ملاحظة الفارق الواضح بين تصرفات السجناء من أعضاء الحزب وتصرفات السجناء العاديين» فالسجناء الحزبيون كانوا دائماً يلزمون الصمت وتبدو عليهم علامات الخوف والرعبء أما المجرمون العاديون فكانوا لا يأبهون ولا يبالون بأحد حتى أنهم كانوا يكيلون السباب للحراس» ويدافعون عن أمتعتهم بشراسة ويكتبون الكلمات البذيئة على الأرض ويأكلون الطعام المهرب من خارج السجن بل وكانوا يصرخون في وجه شاشة الرصد حينما توجه إليهم عبرها الأوامر بالتزام الهدوء. ومن جهة أخرى كان بعضهم يبدو وكأنه على علاقة تفاهم مع الحراس فينادونهم بأسمائهم رافعين الكلفة فيما بينهم ويحصلون على السجائر عبر ثقوب التجسس التي في الباب» كما كان الحراس يعاملون المجرمين العاديين بشيء من الصبر والأناة حتى حينما كانت الظروف تقتضي الغلظة 2068

معهم. وكانت تدور بينهم أحاديث كثيرة حول معسكرات الأشغال الشاقة وهي المكان الذي يساق إليه غالبية السجناءء ومن هذه الأحاديث ابشعت وستون أن الحياة في هذه المعسكرات لا بأس بها إذا استطاع السجين أن يكوّن علاقات جيدة وأن يعرف كيف يصرّف أموره داخل المعسكر. وكانت ممارسات مثل الرشوة والمحاباة والعربدة بكل ألوانهاء والشذوذ الجنسي والدعارة تتفشى داخل هذه المعسكرات» بل كان يتم الحصول على المشروبات الروحية عبر تقطيرها من البطاطس. ولم يكن أحد يحظى بثقة الحراس إلا المجرمون العاديون وباللأخص القتلة وأفراد العصابات منهم والذين كانوا يمثلون شكلا من أشكال الأرستقراطية. وأما المجرمون السياسيون فقد كان يعهد إليهم بجميع الأعمال القذرة. ورأى ونستون أن سجناء من شتى الألوان يفدون إلى السجن أو يخرجون منه في حركة لا تتوقف» فمنهم تجار المخدرات واللصوص وقطاع الطرق وتجار السوق السوداء ومدمئو الخمر والعاهرات. وكان بعض مدمني الخمر يصلون إلى حالة من الانفلات تضطر بقية زملائهم للتكتل ضدهم والسيطرة على هذا العنف». كما يذكر أن أربعة حراس قد جازوا بامرأة ضخمة الجسم يناهز عمرها الستين وذات شعر أشيب ونهدين كبيرين وكانت تقاومهم بعنف وتصرخ فيهم وهم يجرونها إلى الزنزانة من أطرافها الأربعة» وفي النهاية جردوها من حذائها الذي كانت تركلهم به ثم دفعوها بعنف فسقطت فوق حجر ونستون وكادت تكسر عظامه. لكنها نهضت واندفعت نحو باب الزنزانة وهي تلعن الحراس وتسبهم بأقذع الكلمات» وحينما انتبهت إلى أنها كانت تجلس على شيء غير مستو انزلقت عن ركبة ونستون إلى المقعد قائلة: «معذرة يا عزيزي, ما كان يجب أن أجلس فوق ركبتيك» ولكن هؤلاء الأوغاد هم الذين دفعوني. إنهم لا يعرفون كيف ينبغي أن يعاملوا سيدة»ء ثم توقفت عن الكلام وضربت بيدها على صدرها وهي تقول: المعذرة فلست في حالة طبيعية». 2069

وانحنت إلى الأمام وتقيأت على الأرض . ا ل ل أفضل» إياك أن تم الو واي
لو كر طرياً؛ . وحينما هدأت قليلاء التفتت لتلقي نظرة أخرى على ونستون» وبدا أن
آصرة من نوع ما قد جعلتها تميل إليه فأحاطت كتفيه بذراعها وجذبته نحوها وهي
تنفث في وجهه بأنفاس مشبعة برائحة الجعة وحموضة ل ش وسألته: «ما اسمك
عزيزي؟) فأجاب: «سميث». فقالت: «سميث؟ هذا أمر عجيب» إن اسمي سميث
أيضاً. ثم أضافت بنبرة حانية: «ربما كنت أمك!) وجال بخاطر ونستون أنه من
المحتمل فعلاً أن تكون أمهء فقد كانت فى مثل عمرها وجسمها وإن كان من الوارد أن
بعض التغيير قد طراعليها بعد عشرين ينة أمضتها في تستكر الأشغال الغاقة وما من
أحد آخر تحدث مع ونستون» إذ كان المجرمون العاديون يتجاهلون السجناء
السياسيين تجاهلا يثير الدهشة» بل وينظرون إليهم نظرة ازدراء. وأما السجناء
السياسيون فكانوا دائمي الصمت فهم يخشون الكلام مع أي من المجرمين العاديين»
كما أنهم أشد خشية من الكلام بعضهم مع بعض. ولم يحدث سوى مرة واحدة أن
استرق السمع لحديث هامس دار بين سجينتين من سجينات الحزب ولم يفهم منه
سوى أنه كان يدور حول ما يدعى بالغرفة (101) لكنه لم يدرك المغزى . لعلهم قد
جاؤوا به إلى هنا قبل ساعتين أو ثلاث ومع ذلك لم يفارقه ألم معدته لحظة من الزمن»
وإن اشتد عليه حيناً وخف حيئاً آخر» وكان نطاق تفكيره ه يتسع أو يضيق تبعاً لذلك»
فحينما كان يشتد عليه 200

الألم كان لا يفكر إلا في الألم ذاته وفي رغبته في الطعام» أما حينما يخف فكان الرعب يمسك بتلابيبه» كما مرت به لحظات كان يتراءى له خلالها المصير الذي ينتظره وهو ما كان يرتجف له قلبه وتتوقف أنفاسه . فقد كان يتخيل وطأة الهراوات وهي تحطم مرفقيه والأحذية ذات النعال الحديدية وهي تهشم ساقيه» كما تراءى له وهو يسحل فوق الأرض ويصرخ طلباً للرحمة بعد أن تهشمت أسنانه. وقلما كانت ترد جوليا على خاطره لأنه كان لا يستطيع أن يركز تفكيره عليهاء نعم لقد أحبها ولن يخونهاء (ولكن هذا الحب كان مجرد حقيقة يعرفها معرفته لمبادئ الرياضيات) ولذلك لم يعد الآن يجد أثراً لأي حب نحوهاء بل لم يعد حتى يشغل باله بما عساه ألمَّ بها. ولكن أوبراين كان هو الذي يخطر بباله كثيراً فيعيد إليه بصيصاً من الأمل» فيقول لنفسه لا بد أن أوبراين قد علم بأمر اعتقاله» لكنه تذكر أن حركة «الأخوة» لا تحاول أبداً إنقاذ أعضائهاء إلا أنه تبقى أمامهم دائماً شفرة الحلاقة التي يمكنهم أن يهربوها إليه ليضع بها حداً لآلامه. وتصور أن خمس ثوان تكفي لأن يمزق نفسه بالشفرة وببرودة حارقة» بل إن الأصابع الممسكة بالشفرة ستتقطع حتى العظام هي الأخرى قبل أن يندفع إليه الحراس لمنعه من ذلك. وكان كل شيء يرتد على جسمه العليل الذي كان يرتجف من أقل ألمء ومع ذلك لم يكن واثقاً بأنه سيستخدم الشفرة حتى إذا أتيحت له الفرصة» فقد كان من الطبيعي لديه أن يعيش لحظة بلحظة مفضلا الحياة على الموت حتى لو كان على يقين من أن تلك الحياة لن تتجاوز عشر دقائق وستكون كلها عذاباً في عذاب. وكان ينصرف أحياناً إلى إحصاء عدد بلاطات الخزف الأبيض على جدران الزنزانة» ومع أن الأمر كان يبدو هيئاً فإنه لم يوفق إلى ذلك . وكثيراً ما كان يتساءل عن مكان وجوده وعن الوقت أهو ليل أم نهار. فتارة يشعر بأنه من المؤكد أن ضوء النهار يملأ الكون خارج الزنزانة» وتارة أخرى وفي الوقت نفسه تقريباً يشعر أن ظلاماً دامساً يخيم على 271

العالم بالخارج. كان ونستون يعلم بالغريزة أن الأنوار في هذا المكان لا يمكن أن تطفأء إنه ذلك المكان الذي لا ظلمة فيهء الآن فطن إلى السبب الذي جعله يظن أن أوبراين فهم إشارته عندما حدثه عن المكان الذي لا ظلام فيهء ففي وزارة الحب ليس ثمة نوافذ وزنزانته ربما تكون في قلب البناية أو عند الحائط الخارجي» وقد تكون في الطابق العاشر تحت الأرض أو في الطابق الثلاثين فوق الأرض . وقد راح ونستون ينتقل بمخيلته من مكان لآخر محاولا أن يقرر بحسه العام ما إذا كانت زنزانته معلقة في الهواء أم مدفونة في أعماق سحيقة. سمع ونستون وقع أقدام خارج الزنزانةء بعدئذ فتح الباب الفولاذي محدثاً صريراً عالياً ودخل منه ضابط شاب يوتدي. بره سوداه بلعم جللتها المصقول وكان ذا وجه شاحب يشبه قناعاً من الشمعء وما إن دخل الزنزانة حتى أشار إلى الحرس أن يُديلوا السجين الذي كانوا يقتادونه والذي لم يكن غير الشاعر أمبلفورث . أدخلوه الزنزانة وهو يجرجر قدميه ثم غادروا وأغلقوا الباب خلفهم . راح أمبلفورث يتحرك داخل الزنزانة من طرف إلى طرف كما لو أنه يبحث عن باب للخروج؛ وبعدئذ أخذ يذرع الزنزانة جيئة وذهاباًء ولم يكن قد انتبه إلى وجود ونستون بعد رغم أن عينيه الزائغتين كانتا تحدقان في الجدار الذي يتكمئ إليه ونستون. كان أمبلفورث حافي القدمين وكانت أصابع رجليه الكبيرة القذرة تبرز من ثقوب جوربه المهترئ ولحيته الكثة تغطي وجههه حتى عظم وجنتيه مضفية عليه هيئة وحشية كانت تتلاءم على نحو غريب مع هيكله الضخم وحركاته العصبية. حرّك ونستون نفسه من سباته عازماً على الحديث مع أمبلفورث مهما كانت العواقب» فربّما كان هو من يحمل شفرة الحلاقة إليه. فناداه: «أمبلفورث». لم يصدر أي صوت عن شاشة الرصدء في حين توقف أمبلفورث وقد جفل جفلة خفيفة» ثم ركز عينيه على ونستون وقال: 212

آه ! ونستون! أأنت هنا أيضاً؟ - لماذا جيء بك إلى هنا؟ - الحق أقول لك -
...», قال ذلك وهو يجلس قلقاً على المقعد قبالة ونستون» إنه جرم واحد لا غير. - لكن هل اقترفته فعلاً؟ - يبدو لي أنني فعلت ذلك. وفرك أمبلفورث جبينه بيده وضغط عليها للحظة كأنما يحاول أن يتذكر شيئا ما. ثم قال على نحو غامض: (إن مثل هذه الأشياء ممكنة الحدوث» فيمكنني أن أحدد لك حادثاً لعله هو السبب في مجيئي إلى هناء إنه ولا ريب حماقة من جانبي. فقد كنا نعمل في إنتاج طبعة من قصائد كبلنج وأبقيت على كلمة «الله» في نهاية أحد الأبيات وكان لا بد من الإبقاء عليها لملاءمة القافية». وأضاف وقد علت علامات السخط على وجهه: «لقد كان من المستحيل تغيير البيت الشعري؛ وقد حاولت على مدى أيام التفكير في بديل لكن دون جدوى". وتغيرت أسارير وجهه وذهب عنه الغضب وبدا للحظة راضياً حيث شاع في وجهه شيء من دفء الثقافة» إنه ابتهاج المتحذلق الذي اكتشف حقيقة لا قيمة لها. وأردف قائلاً: «هل خطر ببالك أن تاريخ الشعر الإنجليزي كان محكوما بحقيقة أن اللغة الإنجليزية فقيرة في الأوزان؟» ولم يكن ذلك السؤال قد خطر ببال ونستون مطلقاء فضلا عن أن مَنْ في مثل ظروفه لا يأبه أو يهتم بذلك. فسأله ونستون: «هل تعرف في أي وقت من اليوم نحن الآن؟» وبدا أن أمبلفورث جفل ثانية وقال: «قلّما فكرت في ذلكء إنني حتى لا أذكر مذ كم يوم ألقي القبض عليّ؟ مذ يومين أم ثلاثة؟» وراح 213

يقلب عينيه في جوانب الغرفه كمن يأمل أن يجد نافذة» ثم أضاف: «في هذا المكان لا فرق بين الليل والنهار ولست أدري كيف يمكن للمرء أن يقدر الزمن فيه».
واستمر حديثهما الهائم بضع دقائق ثم ومن دون سبب واضح صدر صوت عن شاشة الرصد يأمرهم بالتزام الصمت. فعاد ونستون لسكونه وقد عقد ذراعيه حول ركبتيه. أما أمبلفورث فقد حال بنيانه الضخم بينه وبين الجلوس مرتاحاً على المقعد الضيق» وراح يتململ في جلسته ناقلاً يذه من ركبتة هله إلى تلك :إلا أن" صوتاً انبعت ثانية من شاشة الرضد يأمره بالسكون. ومرّ وقت وهما على هذه الحال» ربما عشرون دقيقة أو ساعة» ثم سمعا ثانية وقع أقدام خارج الزنزانة» فتجمد الدم في عروقه؛ وجال بخاطره أن وقع الأقدام تعني أن دوره قد حانء ربما حالا وربما خلال دقائق. وفتح الباب ليدخل منه الضابط الشاب ذو الوجه المتجهم. وبحركة خاطفة من يده قال للحراس وهو يشير إلى أمبلفورث: الغرفة 101. نهض أمبلفورث ومشى مهرولاً بين يدي الحراس» وقد بدا وجهه مضطرباً رغم أنه لم يفهم ماذا يراد به. ثم مضى وقت بدا لونستون طويلاًء وعاوده ألم معدته. وراحت أفكاره تدور في حلقة مفرغة مثل كرة تدور وتسقط في المجموعة نفسها من الفتحات» إذ لم يكن يفكر إلا في ستة أمور هي: ألم معدته» وكسرة الخبز التي في جيبه» والدم والصراخ» وأوبراين» وجولياء وشفرة الحلاقة . ثم اعترته نوبة تشنج جديدة في أحشائه لدى سماعه وقع أقدام الحراس وهم يقتربون نحو الزنزانة. وما إن فتح الباب حتى هبت موجة باردة من العرق كانت تتقدم بارصون الذي أدخله الحراس إلى الزنزانة» والذي كان مرتديا قميصا رياضيا وسروالا قصيرا. وهنا جفل ونستون حتى أنه نسي نفسه وقال مشدوها: «حتى أنت هنا؟) 214

ورمق بارصون ونستون بنظرة خلت من أي عتما أو دهشة لكنها كانت مفعمة بالبؤس» وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا بخطى غير منتظمة وبصورة توحي بأن زمام نفسه قد أفلت منه. وكان كلما حاول مد ساقيه القصيرتين أصابتهما رعشة» وعيناه كانتا جاحظتين تنظران باندهاش وكأنهما تحدقان في شيء بعيد. فسأله ونستون: «ما الذي جاء بك إلى هنا؟» فأجاب بارصون منتحباً: «جريمة فكر». كانت نبرة صوته توحي بإقرار كامل منه باقتراف الجريمة وبرعب يعتمل بداخله كلما تذكر أنه يقع تحت طائلة هذا الاتهام» ثم وقف قبالة ونستون وكأنما يحتكم إليه فقال: «أتظن أنهم سيعدمونني رمياً بالرصاص؟ إنهم لا يرمون المرء بالرصاص إذا لم يقترف إثما ملموساً أما مجرّد الأفكار فهذا ما لا سلطة للمرء عليه» أليس كذلك؟ أعلم أنهم يمنحون المرء فرصة كافية للإدلاء بأقواله» إنني أثق بهم فيما يخص ذلك. إنهم يعرفون سجلي؛ أليس كذلك؟ لعلك تعرف أي نوع من الرجال كنتء لم أكن رجلا سيئاً بأي شكل» صحيح أنني لم أكن متقد الذكاء ولكنني كنت متحمساً وبذلت كل ما في وسعي لخدمة الحزب» أليس كذلك؟ ألا تظن أنني سأفلت من عقوبة الموت وأنال خمس أو حتى عشر سنوات أمضيها في معسكر من المعسكرات؟ إن من هو مثلى يمكنه أن يؤدي أعمالا مفيدة فى معسرات الأشغال الشاقة» إنني لا أظنهم سيعدمونني رمياً بالرصاص رون عن الطريق القويم مرة واحدة». وسأله ونستون: «هل أنت مذنب؟» فأجابه بارصون باكياً وهو ينظر إلى الشاشة نظرة خنوع : «بالطبع إنني مذنب. وهل تظن أن الحزب يمكن أن يعتقل شخصاً بريئاً؟» وهنا بدا وجهه الشبيه بالضفدع أكثر هدوءاً. بل وارتسمت عليه علامات الاستقامة الزائفة» ثم استطرد قائلاً وعلامات التأثر بادية عليه : «إن جريمة الفكر جريمة فظيعة» إنها جريمة غادرة» تتلبسك دون 2آ5

أن تتنبه. أتدري كيف تلبستني؟ أثناء نومي! نعمء أثناء نومي. لقد كنت أؤدي عملي بنشاط ولم يخطر ببالي البتة أن مثل هذه الأفكار السوداء تختبئ في عقلي الباطن. ثم بدأت بعد ذلك أتكلم وأنا نائم . أوّتدري ماذا سمعوني أقول؟» وخفض صوته كشخص مضطر لدواع طبية أن يتلفظ بكلمات بذيئة . القد سمعوني أقول: ليسقط الأخ الكبير! نعم هذا هو ما قلته. ويبدو أنني أخذت في ترديده المرة تلو الأخرى» ولا أخفي عليك أنني مسرور من أنهم قد قبضوا عليّ قبل أن أذهب لأبعد من ذلك. هل تعلم ماذا أنوي قوله حينما أمثل بين يدي المحكمة؟ سأقول لهم: شكراء شكراً لأنكم أنقذتموني قبل فوات الأوان». فسأله ونستون: «لكن من الذي وشى بك؟) فأجاب بارصون بنبرة حزينة مفعمة بالفخر: (إنها ابنتي الصغيرة» لقد كانت تسترق السمع من ثقب الباب وسمعت ما كنت أهذي بهء وفي اليوم التالي بادرت لإبلاغ الدورية. إنها طفلة متقدة الذكاء رغم أنها لم تتجاوز السابعة. إنني لا أكنّ لها أي ضغينة جراء ذلك؛ بل على العكس إنني فخور بها لأن ذلك يعني أنني قد ربيتها تربية قويمة وغرست فيها روح الولاء؛. | ثم صدرت عنه بعض الاختلاجات المضطربة» فتارة يقف وأخرى يجلس وهو يمد بصره نحو المرحاضء» ثم فجأة خلع سرواله وهو يقول: - معذرة أيها العجوز إذ لم أعد أحتمل الانتظار أكثر من ذلك! وألقى بمؤخرته الكبيرة فوق قاعدة المرحاض» فغطى ونستون يجيه يديه إلة أن موا عالا اسك يق كناشية الرميد © سعيف :ونون سميث 6079 اكشف عن وجهكء فذلك غير مسموح به في الزنزانة . 206

فكشف ونستون عن وجهه. لكنه تبين بعدما انتهى بارصون من استعمال المرحاض وبصورة فجة تثير الاشمئزاز أن سدادة البالوعة لا تعمل ما جعل الزنزانة تغص برائحة بغيضة ونتنة لساعات . وأخيراً ذهب بارصونء فكثير من السجناء يجيئون ويذهبون دون أن يعلم أحد بما آل إليه مصيرهم» ومنهم امرأة ارتعدت فرائسها وامتقع لونها بمجرد أن سمعت الضابط يأمرها أن تذهب إلى الغرفة 101. وكان ونستون قد فقد الإحساس بالوقت ولم يعد يميز الليل من النهار. أما عن السجناء الآخرين فكانت الزنزانة تضم ستة موقوفين من الرجال والنساءء يجلسون بلا حراك وقد خيم عليهم جميعا صمت مطبق. وقبالة ونستون كان يجلس رجل أشبه بحيوان مجتر ذي أسنان بارزة وذقن جرداءء كما كانت له أوداج منتفخة تبعث على الاعتقاد بأنه يختزن بعض الطعام في فمهء وكان ينتقل بعينيه خلسة من سجين إلى آخر حتى إذا ما التقت عيناه بعيني أحدهم أشاح بوجهه سرَيعا: وفتتح الباب مرة أخرى ليزج بسجين آخر إلى الزنزانة. وكانت هيئته تقشعر لها الأبدان. كان رجلا عادياً ذا هيئة مزرية ولعله كان مهندساً أو فنياً من نوع ماء لكن الشيء الذي راع ونستون فيه هو وجهه الناحل الذي كان أشبه بالجمجمة . وبسبب نحافته كان فمه وعيناه يبدوان أوسع مما هما في الواقع وبصورة مشوهة؛ كما كانت نظراته تنطوي على غدر وكراهية متأججة يضمرها لشخص أو شيء ما. جلس الرجل فوق المقعد على مقربة من ونستون» لكن ونستون لم يتطلع إلى وجهه ثانية وإن كان وجهه المعذب الأشبه بالجمجمة قد انطبع في مخيلته وكأنه يقف أمام عينيه مباشرة. وفجأة أدرك ونستون السر وراء هذا النحول» لقد كان الرجل يتضور جوعاً. ويبدو أن جميع سجناء الزنزانة قد فطنوا إلى ذلك في الوقت نفسه. وبدت علامات التململ على كل الجالسين فوق المقعد الخشبي» وظل الرجل ذو الذقن الجترداء يحملق في صاحب الوجه الأشبه بالجمجمة ثم لا يلبث أن يجفل مبتعداً 217

عنه ثم يقترب منه ثانية تحت تأثير جاذبية لا تقاوم ثم يبتعد عنه مرة أخرى وقد تلبسه شعور بالذنب ولذلك فقد راح يتململ في جلسته. وأخيرا هبّ واقفا وراح يمشي داخل الزنزانة بخطى مضطربة» ودس يده في جيبه ليخرج كسرة خبز قدمها على الفور إلى الرجل ذي الوجه الأشبه بالجمجمة وعلامات الارتباك واضحة عليه. وعلى الفور انطلق زئير غاضب من شاشة الرصد يصمّ الآذانء فقفز الرجل ذو الأوداج المنتفخة والذقن الجرداء عائداً إلى مكانه في حين كان الرجل ذو الوجه الأشبه بالجمجمة قد سحب يده وراء ظهره وكأنه يريد أن يري العالم كله أنه قد رفض الهدية.

فزأرالصوت: «بامستيد! بامستيد رقم 2713 دع كسرة الخبز تسقط على الأرض».

فأذعن الرجل للأمر وترك كسرة الخبز تسقط على الأرض. وصاح الصوت من الشاشة ثانية: «اثبت مكانك» وانظر نحو الباب ولا تأتِ بحركة». وانصاع الرجل للأمر ثانية فيما كانت أوداجه ترتجف من الفزع . وفتح الباب وما إن دخل الضابط الشاب وانتحى جانبا حتى ظهر من ورائه حارس مكتئز القامة مفتول الذراعين عريض المنكبين. ووقف الحارس قبالة السجين ذي الوجه الأشبه بالجمجمة وما إن صدرت له الإشارة من الضابط حتى سدد لكمة» جمع فيها كل ما أوتي من عزمء لفم السجينء وكانت اللكمة من القوة بحيث طرحته أرضاً فسقط عند قاعدة المرحاض . وظل ممددا لبضع لحظات فاقدا الوعي بينما كان فمه وأنفه ينزفان دماً داكناً. ولم يصدر عنه غير أنين أو صرير خافت بدا أنه لا يشعر يهما. ثم تدحرج حتى رفع نفسه عن الأرض وهو يترنح مستعيناً بيديه وركبتيه. ووسط دمه النازف ولعابه السائل رأى ونستون فكي الرجل يرتطمان بالأرض . وتسمّر السجناء الآخرون في الأرض وقد عقدوا أيديهم فوق

ركبهم» وعاد الرجل ذو الأوداج المنتفخة إلى مكانه وقد تورم والتهب أحد صدغيه حتى أصبح أشبه بكتلة هلامية بلون الكرز مع فتحة سوداء في منتصفها. ومن حين لآخر كان الدم يقطر فوق سترته» بينما ظل ينقل عينيه الرماديتين بين وجوه السجناء يخامره شعور بالذنب أقوى من ذي قبل وكأنما كان يحاول أن يستشف مدى ازدراء الآخرين له بعد ما لحق وفتح الباب من جديدء وأشار الضابط الشاب إشارة صغيرة إلى المتجين :ذي الوجه الأسيه بالجمجمة قائلا: - إلى الغرفة 101» وصدرت عن ونستون شهقة وبدا عليه الاضطراب. وكان السجين قد خرّ راكعا على ركبتيه ويداه مضمومتان إلى صدره وراح يصرخ أيها الرفيق! أيها الضابط! أضرع إليك ألا تأخذني إلى ذلك أعترف به. قل لى بماذا تريدونني أن أعترف وأنا مستعد للاعتراف فوراًء أو اكتب الاعتراف وسأوقع عليه في الحال! على أي شيء. لكن لا تذهبوا بى إلى الغرفة 101. فعاد الضابط يكرر: «جرّوه إلى الغرفة 4101. ولاحظ ونستون أن وجه الرجل الذي كان شاحباً بالفعل قد انقلب وعلى نحو لا يصدق إلى اللون الأخضر. وراح السجين يصيح متضرعا: «افعلوا بي ما شئتم! لقد جوعتموني لأسابيع طويلة» اقتلوني. أطلقوا عليّ الرصاص . اشنقوني. اقضوا عليّ الحو عسها وعقرية مكة هل عن اعد ترندوة أن اع يذ فقط أشيروا لي من يكون ٠ فأنا لا أبالي بمن سيكون هذا الشخص ولا بما ستفعلون به. إن لي زوجة وثلاثة أطفال أكبرهم لم يتجاوز السادسة» 219

فلتذبحوهم أمام عيني وسأقف متفرجاً على ذلك. لكن لا تذهبوا بي إلى الغرفة 101! فعاد الضابط يقول: «إلى الغرفة 4101. وتطلّع الرجل حواليه في جنون إلى بقية السجناء؛ وكأنه يود أن يختار ضحية أخرى بدلاً منهء واستقرت عيناه على الرجل ذي الأوداج المنتفخة ومد ذراعه المنحولة كناتها : «هذا هو الرجل الذي ينبغي أن تأخذوه! إنكم لم تسمعوا ما كان يقوله بعدما هشمت اللكمة أسنانه. امنحوني الفرصة وسأخبركم بكل كلمة نطق بها. إنه هو من يعادي الحزب ولست أنا». وتقدم الحارسان نحوه فتعالى صوته حتى صار أشبه بالعويل: «إنكم لم تسمعوا ما قاله؛ لقد لحق الصمم بشاشة الرصد آنذاك. إنه الرجل الذي يهمّكم؛ خذوه هو ودعوني أنا!» انحنى الحارسان ليجراه من ذراعيه» ولكنه كان فى تلك اللحظة قد انبطح أرضاً وقبض بيديه على أحد القوائم الحديدية التي يرتكز عليها مقعد الزنزانة وراح يعوي كحيوان. أمسك به الحارسان لفك قبضته عن القائم الحديدي, لكنه كان يتشبث بقوة مذهلة. أما السجناء الآخرون فكانوا يجلسون في صمت وذعر وقد عقدوا أيديهم حول ركبهم وهم ينظرون شاخصين أمامهم. وتوقف العواء والعويل» ولم يعد لديه طاقة إلا على التشبث بالقائم الحديدي. وحينئذ دوت صرخة من نوع مختلف» لقد حطمت ضربة من حذاء أحد الحارسين أصابع إحدى يديه وبعدئذ أوقفاه على قدميه وراحا يجرجرانه إلى الخارج . فقال الضابط : «إلى الغرفة 4101. وسار الرجل معهم وهو يترئح منكفئ الرأس ويمسك بيده المسحوقة وقد خارت جميع قواه. مرّ وقت طويلء فإذا كان الوقت ليلاً حينما أخذوا صاحب الوجه 220

الأشبه بالجمجمة:ء فقد غدا الوقت صباحاء ولو أنه كان صباحاء لأضحى ظهراً. وبات ونستون وحيداً لساعات بعدما كان جميع السجناء قد غنادووًا الو نوانة. ركان الجلوس على المقعد الفيق سيت له الما فكان ينهض من مكانه فيروح ويجيء في الزئزانة دون أن يسمع نهياً عن ذلك من الشاشة . وكانت كسرة الخبز ما زالت حيث رمى بها الرجل ذو الأوداج المنتفخة. في البداية راودته نفسه أن يلتقطها لكنه كان يقاوم ذلكء أما الآن فقد عافها بعد أن اشتد عليه العطش وصار فمه لزجأا ونتن الرائحة. وكان صوت الطنين المستمر والضوء الأبيض الذي لا ينطفئ قد أصاباه بدوار نجم عن إحساسه بأن رأسه قد أصبح موقا . وكان يتهقن علن قدميه كلما اشتد عليه ألم عظامه ثم لا يلبث أن يعاود الجلوس في الحال لأن الدوار كان يجعله غير واثق مما إذا كانت قدماه ستحملانه أم لا. وكان الذعر يستحوذ عليه كلما أمكنه السيطرة على إحساساته الجسدية. أما حينما يفكر في أوبراين وفي شفرة الحلاقة فكان يداعبه بصيص من الأمل كان يعتقد آنا الشقرة ريما ليذب إلنا ةف (الطعام رك كانوا سيقدمون له طعاماً. ولم يكن يفكر في جوليا إلا عرضاء فلا بد أنها تتعذب في مكان ماء وربما كان عذابها يفوق عذابه» بل لعلها تصرخ من الألم المبرح الذي يحيق بها في هذه اللحظة. وقال في نفسه: ترى لو أن مضاعفة ألمى كان فيها إنقاذا لجولياء هل كنت أقبل بذلك؟ أجل كنت أقبل . لكن ذلك كان جرد قران صوري اتحذه لعلمه أن غليه أن يتخلة: لكنه لم يكن يحس به في قرارة نفسه. ففي هذا المقام لا يملك المرء أن يشعر بشيء سوى الألم أو انتظار الألم. ثم هل من الممكن حينما يكون المرء يتعذب فعلا أن يرغب» لأي سبب من الأسباب» في أن يزاد له في ألمه؟ لكنه لم يكن قد توصل إلى إجابة عن هذا السؤال بعد. ومرة أخرى تناهت إلى سمعه وقع أقدام الحرس تقترب من الزنزانة. وفتح الباب» ودخل أوبراين. 201

وما إن رآه ونستون حتى هبّ واقفاً على قدميه. وكان وقع المفاجأة شديدا حتى أنه نسي كل حذر من شاشة الرصد بل نسي وجودها بالمرة وصاح: - حتى أنت وقعت في قبضتهم أيضاً! فقال أوبراين بشيء من التهكم: «لقد وقعت في قبضتهم منذ أمد طويل». وانتحى جانباً ليظهر خلفه حارس عريض المنكبين يمسك بهراوة طويلة سوداء في يده. وقال أوبراين: «لقد كنت تعرف ما سيؤول إليه أمرك. فلا تخدع نفسك . لقد كنت دائما تعرف ذلك». لقد أدرك ونستون كل شيء الآن. لكن لم يعد ثمة فائدة ترجى من التفكير في ذلك. وفي هذه اللحظات لم يكن يرى من العالم إلا الهراوة التي بيد الحارس الذي قد يهوي بها على أي مكان في جسمه؛ على رأسه أو صوان أذنه. أو على ذراعه» أو على مرفقه. لكنه هوى بها على المرفق! فخر ونستون أرضاً على ركبتيه وكاد يفقد صوابه» وقد أمسك مرفقه بيده الأخرى». وتحول كل شيء في عينيه إلى اللون الأصفر. ولم يصدق أن ضربة واحدة يمكن أن تسبب له كل هذا الألم المبرح. أفاق قليلاً من الضربة فلاحظ أن الرجلين ينظران إليه بازدراء» وكان الحارس يضحك من جسده المتلوي. وهنا حضره الجواب عن ذلك السؤال وهو أن المرء لا يمكن أبداً ومهما كانت الأسباب أن يرغب في زيادة ألمه. فإزاء الألم لا يمكن للإنسان إلا أن يرغب في توقفه. فليس في العالم ما هو أسوأ من الألم الجسدي»ء وحيال الألم ليس هناك أبطال» ليس هناك أبطال. وظلت هذه الفكرة تدور في رأسه بيئما كان يسقط أرضاً وهو يتلوى ألما ويشدّ على ذراعه اليسرى التي جعلتها الضربة عاجزة. 262

الفصل الثاني وعد واقتون ننسه يدوا فوق شريو عه أمرة الممكراتك وعدا أنه كان أكثر ارتفاعاً عن الأرض وكان مقيّد الأطراف بحيث لا يستطيع حراكا. والضوء الأكثر بنطوغا من المعقاد يسقط على ويه مباشرة.. وكان أوبراين يقف إلى جانبه متفرّساً في وجههء وإلى الجانب الآخر كان يقف رجل يرتدي معطفاً أبيض اللون ويحمل في يده محقنة. وحتى بعد أن فتح ونستون عينيه لم يعي ما حوله إلا تدريجياً. كان يحس وكأنه يسبح صاعداً إلى فضاء هذه الغرفة قادما من عالم آخرء من أعماق مياه سحيقة تحتهاء أما كم من الوقت مرّ عليه فذلك أمر يجهله تماماء فمذ ألقوا القبض عليه لم يعد يرى ظلمة الليل ولا ضوء النهار. وفوق ذلك كله كان انسياب ذاكرته متقطعاً. فقد مرت عليه أوقات كان وعيه يصاب بالشلل التام» بما في ذلك الوعي الذي قد ينتاب المرء في نومه» ثم يدب فيه الوعي من جديد بعد فاصل زمني ما. ولكن هل كان هذا الفاصل يمتد لأيام أم لأسابيع أم لمجرد ثوان فهذا أمر لم يكن من سبيل لمعرفته . | كانت تلك الضربة التي تلقاها فوق مرفقه إيذاناً ببداية الكابوس الذي سيخوض غماره» وقد أدرك فيما بعد أن كل ما مر به حتى تلك الضربة لم يكن إلا استجواباً اعتيادياً وتمهيدياً يخضع له كل السجناء تقريباء إذ هنالك سلسلة طويلة من جرائم التجسس والتخريب وما 283

شاكلها لا يمكن لأحد إلا أن يعترف بها كأمر واقع. ورغم أن هذه الاعترافات لم تكن إلا إجراء شكلياء فإن التعذيب الذي كان يترافق معها كان أمراً لا يدمنهء ولم يكن ونستون بمقدوره أن يتذكر كم مرة تعرّض للفرب ولا كم من الزمن استغرقت هذه العملية» فكل ما يذكره هو أنه كان ختالك دام خمسة أرمقة وجال يلبسوق زيا آسوه اللون ويعيظؤن به. أحيانا ينهالون عليه ضرباً بقبضات أيديهم أو بهراوات غليظة وأحياناً أخرى بعصي فولاذية أو ركلا بأحذيتهم الثقيلة. وكانت تمر عليه أوقات يتدحرج فيها على الأرض وكأنه حيوان مخزء يتلوى بجسده محاولا دون جدوى تجتب الضربات» لكن ذلك كان يدفعهم لمزيد من الضرب على ضلوعه وبطنه ومرفقيه وساقيه وخصيتيه وعموده الفقري» وفى بعض الأحيان كانت هذه العملية تتواصل ح يكيل إلنه انها رؤلفه لجن :واكك السامن: انااا عبعد عق أن يفقد وعيه. أما في أحيان أخرى فكانت شجاعته تخذله فينخرط في البكاء طالباً الرحمة؛ حتى قبل أن يبدأ المرب. حيث كانت مجرد رؤيته لقبضة أحد الحراس وهي تتأهب للكمه كفيلة بأن تجعله يعترف بجرائم حقيقية وأخرى خيالية» كما مرت عليه أوقات كان يعقد العزم على عدم الاعتراف بشيء» وحينئذ كانت كل كلمة تنتزع منه ممزوجة بالألم والضنى» وفي أوقات أخرى كان يتخلى تحت تأثير الضربات عن عزمه ذلك وهو يقول فى نفسه: لسوف أعترف ولكن ليس الآن. يجب أن أصمد في وجه الألم حتى يبلغ درجة لا تطاق» ثلاث ضربات أخرى» ضربتان أخريان وسوف أعترف لهم بكل ما يريدون. وأحياناً كان يُضرب حتى تعجز ساقاه عن حمله؛ فيرتمي فوق أرضية الزنزانة ككيس من البطاطس» ثم يُترك لبضع ساعات حتى يتعافى من آثار الضرب» ليعودوا إلى تعذيبه من جديد. وكان هنالك أيضاً فترات نقاهة أطول» لكنه لم يكن يذكرها إلا على نحو غامض لأنه كان يمضي جلها إما نائما وإما فاقداً للوعي» فهو يذكر زنزانة لا تضم سوى سرير خشبي ورف بارز

أحد حوائطها وحوض غسيل من القصدير ووجبات من الحساء والخبز مصحوبة أحياناً بالقهوة» ويذكر أن حلاقاً فظاً قد جيء به ليحلق له شعره وذقنه» وأن رجالا بثياب بيض غلاظ القلوب كانوا يجسون نبضه ويفخصون أعصابه ويفتحون عينيه ويمررون أصابعهم الخشنة فوق جسده بحثا عن كسور في عظامه ثم يغرزون بعض الإبر في جلده لينام. وبعد ذلك قلت وتيرة عمليات التعذيب التي يخضع لها حتى باتت مصدر تهديد أو رعب يتوعده المحققون بإعادته إليه فى أي لحظة لا تروقهم أجوبته . ولم يعد المحققون 1 الرجال المتوحشين بثيابهم السوداء » :لما أضتهوا :زجالاً مد ند مثقفي الحزب» وهم رجال ضئيلو الأجسام سريعو الحركة وذوو نظارات لامعة كانوا يتناوبون العمل عليه فيمتد استجوابهم لهم في النوبة الواحدة عشر أو اثنتي عشرة ساعة. وكان هؤلاء المحققون الأخيرون يعرّضونه لألم خفيف متواصل لأنهم لم يكونوا يعتمدون الألم وسيلة رئيسية لانتزاع الاعترافات. فكانوا يصفعونه على وجهه ويلوون أذنيه ويشدون شعره ويرغمونه على الوقوف على ساق واحدة ولا يسمحون له بقضاء حاجته ويسلطون أضواء قوية على عينيه حتى تجري بالدموع» لكن هدفهم من كل ذلك لم يكن إلا إذلاله وتحطيم قدرته على الحجاج والجدال. وكان سلاحهم الفعلي الاستجواب المتواصل الذي لا رحمة فيه ولا هوادة حيث كانوا يبدلون أقواله عن مواضعها ويحورونها تحويراً وينصبون له الشراك في كل سؤال ويمسكون عليه كل ما يظهر أنه أكاذيب أو تناقضات فى أقواله حتى أنه كان يجهش بالبكاء من شعوره بالخزي كما من شعوره بالإجهاد العصبي . وأحياناً كان يبكى عشرات المرات فى جلسة التحقيق الواحدة» وفى معظم الأوقات كانوا يشتمونه بأقذع الكلمات ويهددونه فى كل مرة تبدو عليه علامات التلكؤ في الإجابة» بأنهم سيسلمونه إلى الحراس مرة ثانية» لكنهم كانوا في أحيان أخرى يغيرون لهجتهم فجأة وينادونه بالرفيق ويناشدونه باسم الا؟ شتراكية الإنجليزية والأخ الكبير ويسألونه والأسف باد 2065

على وجوههم عما إذا كان لديه من الولاء للحزب ما يكفي لجعله يتوب عما
بدر عنه من آثام إزاء الحزب. وحينما كانت أعصابه تنهار وتصبح كخرقة بالية إثر ساعات طويلة من التحقيق» كان مجرد مناشدتهم له بمثل هذه الكلمات تجعله يجهش ببكاء حار تمتزج فيه دموعه بمخاط أنفه. وفي النهاية كانت هذه الأصوات المناكدة تفضي به إلى انهيار تام لا يبلغه تحت تأثير ركل أحذية الحراس وقبضاتهم. فكانت تخور كل قواه ويصبح مجرد فم ينطق ويد توقّع على أي شيء يطلب منهء وغدا همه الوحيد آنذاك أن يكتشف ما يريدون منه أن يعترف به حتى يبادر إلى الاعتراف قبل أن يلجأ المحققون لحمله على ذلك» وقد اعترف باغتيال عدد من أعضاء الحزب البارزين وتوزيع منشورات تحرض على الفتنة واختلاس أموال عامة وبيع أسرار عسكرية واعترف بالاشتراك في عمليات التخريب بشتى أنواعهاء وبأنه كان عميلاً مأجوراً لحكومة إستاسيا منذ عام 8ه وبأنه كان مؤمناً بالله ومعجباً بالرأسمالية وبأنه قد انزلق إلى الشذوذ الجنسي» وأقر كذلك بقتل زوجتهء بالرغم من أنه يعرف مثلما يعرف المحققون, أن زوجته لا تزال على قيد الحياة. واعترف أيضاً بأنه ظل لسنوات على اتصال شخصي مع غولدشتاين وبأنه كان عضواً بمنظمة سرية تضم كل الأشخاص الذين يعرفهم. لقد كان من الأسهل عليه أن يعترف بكل شيء وأن يورط كل شخص يعرفه»ء أضف إلى ذلك أن ما قاله كان ضحيضا من زاوية ناء فقد كان معاديا الى :ومن وجهة نظر الحزب لا فرق بين التفكير في الإثم وبين اقترافه. وكانت لديه كذلك ذكريات من لون آخر تبرز أمام مخيلته بشكل متقطع كصور يجللها السواد من كل ناحية» فيذكر أنه كان قابعاً في زنزانة لا يعرف إن كانت مظلمة أو مضيئة لأنه لم يكن يستطيع أن يميز فيها شيئاً غير زوجين من العيون وعلى مقربة منه كانت هنالك آلة تدق دقات بطيعة ومنتظمة وكانت: العيئان تتسعان وتزدادان برتقا وفهأة أحمن بأنة طار من مقعده وغطس في هاتين العينين اللتين ابتلعتاه. 286

ثم أحس أنه شد إلى مقعد تحيط به ساعات وتسلط عليه أضواء باهرة تزيغ الأبصارء وإلى جواره كان يقف رجل يرتدي معطفاً أبييض اللون ويقرأ ما تشير إليه الساعات» ثم سمع وقع أقدام ثقيلة خارج وقال الضابط : «إلى الغرفة رقم 201 . لم يلتفت الرجل ذو المعطف الأبيض» كما لم يعر ونستون اهتماماً إذ كان كل اهتمامه منصبّاً على النظر إلى الساعات. ومن ذكرياته أيضا أنه كان يتدحرج عبر ممر طويل فسيح تغمره أضواء باهرة وتتعالى فيه الضحكات» وكان أثناء التعذزيب يصيح بأعلى صوته معترفاً بكل شيء بما في ذلك الأشياء التي كان نجح في إخفائهاء كما راح يروي قصة حياته بكاملها أمام مستمعين كانوا يعرفونها بالفعل, وكان يحيط به الحراس والمحققون والرجال ذوو المعاطف البيضاء وأوبراين وجوليا والسيد شارنغتون» وجميعاً يرافقونه عبر الممر وهم يقهقهون. لقد كان ثمة شيء مخيف يحمله له المستقبل» لكن ذلك الشيء لم يعد له وجود ومن ثم لن يحدث؛ إذ أصبح كل شيء على ما يرام فلم يعد هناك مزيد من الألم بعد أن كشف لهم كل تفاصيل ودقائق حياته التى فهموها فصفحوا عنه. وكان يحاول النهوض في سريره الخشبي وهو شبه متيقن من أنه فقد كان يشعر أن أوبراين قريب جداً منه وإن كان لا يراه. وبالفعل كان أوبراين هو الذي يوجه كل شيء؛ كان هو الذي يعين الحراس على ونستون وهو الذي منعهم من قتله. لقد كان هو صاحب الكلمة في ما يتعلق بمتى يجب أن يصرخ ونستون من فرط الألم ومتى يجب أن يمنح فترة راحة» ومتى يجب أن يُقدّم له طعام ومتى يجب أن ينام ومتى يجب أن يُحْقَن بالعقاقير المخدرة» كان هو من يوجه له الأسئلة وهو من يوحي لى بالاخانات» كان المعذب :والتخامن والمحق والمتديق عا وذات مرة 267

سمع ونستون صوتاً» لا يذكر هل كان أتاه تحت تأثير المخدر أو أثناء لا تخف يا ونستون فأنت تحت رعايتي» منذ سبع سنوات وأنا أحيطك برعايتى؛ والآن حانت اللحظة الحاسمة؛ سوف أنقذك وسأجعلك نموذجاً يقتدى به. لم يكن ونستون على يقين من أن صاحب هذا الصوت هو أوبراين» لكن هذا الصوت هو نفسه الذي سمعه في الحلم منذ سبع سنوات يقول له: سوف نلتقي في مكان لا يحل فيه ظلام. لم يكن ونستون يستطيع أن يحدد متى تنتهي جلسة التعذيب أو متى تبدأ فكل ما يذكره هو أنه كان يمر بفترات من الظلام الدامس يجد نفسه بعدها فى الزنزانة أو فى الغرفة حيث يمدد الآن على السرير. كان مستلقياً على ظهره فوق السرير لا يستطيع حراكاً وكان جسده مثبتاً عند فيه بنظرة كلها جدية وأسى» فيما كان وجهه الذي رآه ونستون من أسفل يبدو خشناً وترتسم عليه علامات الإرهاق وتحت عينيه توجد انتفاخات وفيما بين الأنف والذقن تمتد تجاعيد توحي بالإعياء. كان أوبراين أكبر وتحت يده ذلك القرص الذي يتصل به ذراع وحوله أرقام . قال أوبراين: «لقد قلت لك إننا إذا ما التقينا ثانية فسيكون لقاؤنا هنا» . فأجاب ونستون: «أجل». ودونما أي إنذار مسبق» وبحركة خفيفية من يد أوبراين» غمرت يجري له ومع ذلك كان يشعر أنه يتعرض لأذى مميت» ولم يكن ونستون يعلم إن كان ذلك الذي يحدث له حقيقياً أم غير حقيقي؛ إلا أن جسده كان يتلوّى ليخرج عن شكله المعهود ومفاصله كانت تتمزق ببطء . ومع أن العرق كان يتفصد من جبينه؛ فإن أخشى ما كان يخشاه 208

هو أن ينقصم عموده الفقري. كما كان يصر على أسنانه ويتنفس من أنفه بصعوبة محاولا التزام الصمت قدر المستطاع . قال أوبراين وهو يراقب وجهه: «لعلك تخشى أن يتحطم جزء من جسمك بعد لحظات». ولا بد أن خوفك الأول يتركز على عمودك الفقري وتتصور الفقرات وهي تتفكك وينسكب منها النخاع» إن هذا هو ما تظنه واقعاًء أليس كذلك يا ونستون؟» فلم يجب ونستونء لكن أوبراين ن كان قد سحب الذراع المتصلة بالقرص للخلفء فانحسرت موجة الألم سريعاً مثلما داهمته سريعا. قال أوبراين: «تلك كانت أربعين» وفي استطاعتك أن ترى أن أرقام هذا القرص تصل إلى المئة» ولذلك أرجو منك ألا تنسى أثناء حديثنا أن بمقدوري أن أنزل بك الألم في اللحظة التي أشاء وبالدرجة التي أشاء؛ فإذا لجأت إلى الكذب أو حاولت المراوغة بأي طريقة أو حتى انخفضت درجة ذكائك عن مستواك المعهود فسوف تصرخ من الألم لحظة يحدث ذلك. هل تفهم ما أقول؟' فأجاب ونستون: «أجل». وهنا تغيرت هيئة أوبراين وأصبحت أقل قسوة» وأعاد تثبيت نظارته بعناية» وخطا خطوة أو خطوتين. وعندما تكلم كان صوته لطيفاً متأنياً» وكانت هيئته مزيجا من هيئة الطبيب والمعلم بل ورجل الدين» كان تواقا للشرح والإقناع أكثر منه للعقاب. وقال: الإنني أتجشم مشقة وجهداً معك يا ونستون لأنك تستحق ذلك. لا بد أنك تعرف تمام المعرفة ما هو نوع علتك» لقد توصلت إلى هذه المعرفة منذ سنوات ولكنك قاومتهاء إنك مشوش الذهن» وتعاني من ضعف بالذاكرة» ولا تستطيع تذكر الأحداث الحقيقية ومع ذلك توهم نفسك أنك تذكر أحداثاً أخرى رغم أنها لم تقع البتة. ولحسن حظك فإن هذا المرض يمكن شفاؤه» فأنت لم تحاول شفاء نفسك منه أبداً لأنك لم تشأ ذلك. بل ولم تبدِ استعداداً لبذل أي جهد في ذلك السبيل» وإنني 209

على يقين بأنك حتى هذه اللحظة تتشبث بعلتك هذه معتبراً إياها فضيلة .
وسأضرب لك الآن مثلاً: في اللحظة الراهنة مع أي دولة تتحارب أوقيانيا؟» فأجاب ونستون: «عندما ألقوا القبض عليّ كانت أوقيانيا في حالة حرب مع إستاسيا». - مع إستاسياء حسناً. وقد كانت أوقيانيا في حالة حرب دائمة مع إستاسياء أليس كذلك؟ أخذ ونستون نفساً طويلاء وفتح فمه ليتكلم لكنه لم ينطق بشيء. فلم يستطع أن يرفع عينيه عن القرص . - الحقيقة من فضلك يا ونستون» الحقيقة التي تؤمن بها قل لي ما تظن أنك تذكره. - أذكر أنه قبل أسبوع واحد من القبض عليّ» لم نكن في حالة حرب مع إستاسيا على الإطلاق وإنما كنا في تحالف معهاء وأن رحى الحرب كانت تدور بيننا وبين أوراسياء وقد دام ذلك أربع سنوات . لكن قبل ذلك ... وهنا استوقفه أوبراين عن متابعة كلامه بإشارة من يده. - وإليك مثل آخرء لقد كنت تعيش لسنوات في ظل وهم جد خطيرء لقد كنت تؤمن بأن الرجال الثلاثة وهم جونز وآرنسون وراذرفوردء الذين كانوا فيما مضى أعضاء بالحزب ثم جرى إعدامهم جزاء الخيانة والأعمال التخريبية التي اقترفوها بعد إدلائهم باعترافات كاملة» لم يقترفوا أي من الجرائم التي أدينوا بهاء وكنت تؤمن بأنك وقعت على دليل وثائقي دامغ يثبت أن كل اعترافاتهم كانت غير حقيقية» وهنالك صورة فوتوغرافية فى ذهنك توهمت أنك قد أمسكت بها في يدك. إنها صورة تشبه هذه. وأبرز أوبراين بين أصابعه قصاصة جريدة أمام عيني ونستون لثوان. 2030

لقد كانت صورة ولم يساوره أدنى شك حول ماهيتهاء كانت نسخة أخرى من صورة جونز وآرنسون وراذرفورد وهم في فرع الحزب بئيويورك والتي تصادف أن وقعت بين يديه منذ إحدى عشرة سنة وقام بإحراقها على الفور آنذاك . للحظة واحدة ظلت هذه الصورة أمام ناظريه» ثم غابت عنه» ولكنه كان قد رآهاء رآها لا ريب في ذلك! وقد حاول يائساً وبجهد مضن أن يرفع النصف الأعلى من جسده. إلا أنه كان أمراً مستحيلا أن يتحرك ستتمتراً واخداً فى أئ اتجاه» وكان قد نسى القرص في تلك اللحظة» كتلط روغية أكيدة فى أن بيك بالقبورة بين أضابعه مرة ثانية أو يراها على الأقل. وصاح بملء صوته: «إنها موجودة!» فقال أوبراين: «كلاء ليست موجودة». ثم خطا بضع خطوات وصولاً إلى محرقة الذكريات التي كانت في الجدار المقابل» ورفع الغطاء ورمى بها من فتحة المحرقة لتبتلعها ألسنة اللهب فتتلاشي» ثم التفت أوبراين إلى ونستون وقال: - الآن استحالت رماداً» بل حتى ليست رماداً» لقد أصبحت ذرات غبار. إنها لم تعد موجودة الآن ولم يحدث أن كان لها وجود على الإطلاق. فقال ونستون: «لكنها كانت موجودة! بل لا تزال موجودة! إنها موجودة في الذاكرة» وأنا أذكرها كما أنك تذكرها». فقال أوبراين: «إنني لا أذكرها». وغاص قلب ونستون بين ضلوعه. لقد كانت تلك هى ازدواجية اكيز الن كرا عنها :وهات ها تلك كمون لدان القائل 4 فلن نآ ابقطاع أن يستوثق من أن يزاين يكنب فإنه لم يكن لبرت بدلك الأمر»: يذ أنة كان ' من الجائد تهاما أن اويراين قل :تنسى الصورة حقيقة: وإذا صم ذلك» فإنه يكون قد نسي نكرانة لتذكرها» بل ونسي أنه نسي» 201

فكيف إذن يتسنى للمرء التأكد من أن الامر لا يعدو كونه مجرد خداع من جانبه؟ ربما يمكن لمثل هذا التشويش أن يحدث حقيقة فى العقل» وكانت هذه الفكرة هي التي قهرته . ٰ كان أوبراين ينظر إليه بإمعان» وكان قد أخذء وأكثر من أي وقت مضى» هيئة معلم يتجشم مشقة وهو يعلم طفلاً معانداً لكنه واعد وذكي . وقال أوبراين: «يوجد للحزب شعار يتعلق بالتحكم في الماضي»ء هل يمكنك أن تقوله من فضلك؟» فأذعن ونستون وقال ممتثلاً: «إن من يتحكم في الماضي يتحكم في المستقبل» ومن يتحكم في الحاضر يتحكم في الماضي». فأومأ أوبراين برأسه مؤمنا وقال: «إن من يتحكم في الحاضر يتحكم في الماضي» هل ترى أن للماضي وجودا فعلياً؟» ومرة أخرى شعر ونستون بالعجز يغمره من رأسه إلى أخمص قدميهء ومد عينيه إلى القرص ولم يكن يدري إن كانت الإجابة بنعم أو لا هي التي ستخلصه من هذا الألم» بل إنه لم يدر ما هي الإجابة التي يعتقد أنها صحيحة . ابتسم أوبراين ابتسامة خفيفة وقال: «إنك لست من علماء الميتافيزيقا يا ونستون» كما أنك حتى هذه اللحظة لم تفكر فيما تعنيه كلمة الوجودء وحتى أكون أكثر دقة سأقول: هل الماضي موجود كشيء محسوس ويشغل حيزا في الفراغ؟ هل يوجد في مكان ماء عالم يتألف من أجسام صلبة مثلء لا يزال الماضي يحدث فيه؟» - كلا. - إذن أين يوجد الماضي إن كان له وجود في الأصل؟ - في السجلات حيث يدون. 202

في الذاكرة؛ حسناً جداًء إنناء أقصد الحزب» نسيطر على جميع السجلات - ونسيطر على جميع الذاكرات» ومن ثم فإننا نتتحكم في الماضي», أليس كذلك؟ وصرخ ونستون مرة أخرى بصوت عال وقد نسي القرص: «ولكن كيف تستطيعون منع الناس من تذكر الأشياء؟ إنه عمل لاإرادي حتى أن أحداً لا يمكنه أن يسيطر على ذاكرته» فكيف تستطيعون أنتم السيطرة على الذاكرة؟ إنكم لم تستطيعوا السيطرة على ذاكرتي». وبدت علامات التجهم على وجه أوبراين مرة أخرى ووضع يده على القرص وقال: - بل على العكس» إنك أنت الذي عجزت عن السيطرة عليهاء وهذا هو ما جاء بك إلى هناء إنك هنا لأنك فشلت في الانصياع وفي فرض الانضباط الذاتي على نفسكء» إنك لم تتقن عملية الخضوع التي هي ثمن التعقل» وإنما فضلت أن تكون مجنونا ووضعت نفسك ضمن أقلية مؤلفة من فرد واحد هو أنت. إن الواقع لا يراه إلا العقل المنضبط يا ونستون» إنك تؤمن بأن الواقع شيء موضوعي خارجي قائم بذاته» كما تؤمن بأن طبيعة الواقع طبيعة بديهية بذاتهاء وعندما تضلل ذاتك وتوهمها أنك ترى شيئاً ماء فإنك تفترض أن كل الآخرين يرون الشيء ذاته؛ ولكني أقول لك يا ونستون إن الواقع ليس له وجود خارجي» إن الواقع موجود في العقل البشري ولا يوجد في مكان سواه. إنه ليس موجوداً في العقل الفردي الذي هو عرضة للوقوع في الأخطاءء كما أنه يفنى بفناء صاحبه؛ إنه لا يوجد إلا في عقل الحزب الذي يتسم بأنه جماعى وخالد. وما يعتبره الحزب حقيقة فهو الحقيقة التى لا مراء فيهاء ومن المستحيل أن ترى الحقيقة إلا بالنظر من خلال عيني الحزب. تلك هي الحقيقة التي يجب أن تتعلمها من جديد يا ونستون» وهذا يحتاج منك أن تدمر ذاتك وهو أمر يتطلب قوة الإرادة» يجب أن تذل نفسك وتقهرها حتى يمكنك أن تكون عاقلا. 203

وتوقف هنيهة عن الكلام وكأنه يتيح لكلماته وقتاً كافياً لتستقر في ثم أردف: «هل تذكر يا ونستون حينما كتبت في مذكراتك تقول: إن الحرية هي أن تكون حرا في أن تقول إن اثنين واثنين يساويان أربعة؟» - فأجاب ونستون: «نعم». ورفع أوبراين يده اليسرى جاعلا ظهرها إلى ونستون ومخفيا الإبهام خلف الأصابع الأربع المرفوعة. وسال: - كم إصبعاً ترى يا ونستون؟ - أريها: - وإذا قال الحزب إنها ليست أربعاً بل خمسة فكم يكون عددها حينئذ؟ د أريها: ولم يكد ونستون يتم هذه الكلمة حتى صرخ من شدة الألم الذي سرى في أوصالهء وأشارت الإبرة إلى خمس وخمسين » وبدأ العرق يتفصد من كل أجزاء جسمه وأخذ الهواء يتدفق إلى رئتيه فيخرج أنينا لم يمنعه حتى اصطكاك أسنانه» وكان أوبراين يراقبه بينما لا تزال الأصابع الأربع مرفوعة؛ ثم سحب أوبراين الذراع فخمّت حلة الألم بعض ال وسأل: «كم إصبعاً ترى يا ونستون؟» ريع فارتفعت الإبرة إلى الستين . - كم إصبعاً ترى يا ونستون؟ د أزنها! آريعاً! ماذا اقول غير ذلك أريعا: لا بد أن الإبرة قد ارتفعت مرة أخرى ولكنها لم تسترع

كانت الأصابع تنتصب أمام عينيه وكأنها أعمدة ضخمة تهتز وسط جو غائم؛
لكنها مع ذلك كانت أربعاً ولا ريب. - كم إصبعاً يا ونستون؟ - أربعاً! أوقف عني هذا الألم! لماذا تستمر في تعذيبي؟ أربعاً! أربعاً! - كم إصبعاً يا ونستون؟]نو عييا العدرنا ا عب ! - لايا ونستون هذا لن يفيدك» إنك تكذب لأنك ما زلت تعتقد أنها أربع. كم إصبعاً ترى من فضلك؟ - أربعاً! خمساً! أربعاً! الرقم الذي تريده. كل ما أرجوه هو أن توقف الألم. وفجأة وجد ونستون نفسه جالساً وقد أحاطت ذراع أوبراين بكتفيه» ربما كان قد فقد الوعي لبضع ثوان» وأما الأحزمة التي تشد جسمه إلى السرير فقد حلت وشعر بموجة برد قارس تسري في جسده حتى أن أوصاله كانت ترتجف وأسنانه تصطك ودموعه تنهمر على خديه» فتشبث بأوبراين وكأنه طفل رضيع وقد أراحته كل الراحة وعلى نحو مستغرب تلك الذراع الثقيلة الملتفة حول كتفيه. كان يخامره شعور بأن أوبراين هو حاميهء وأن الألم يأتيه من الخارج ومن مصدر آخر غير أوبراين» وأن أوبراين هو الذي سيخلصه من الألم. وقال أوبراين بلطف: «إنك بطيء التعلم يا ونستون». فقال ونستون وهو ينتحب: «وماذا عساي أن أفعل؟ كيف يمكنني أن أتجنب رؤية ما هو أمام عيني؟ إن اثنين واثنين يساويان أربعة». فقال أوئزاين + «أحيانا يناويات أربعة يا ونون واحيانا أخرئ يساويان خمسة وقد يساويان ثلاثة أيضاً وفي أحيان أخرى يساويان أربعة 2055

وخمسة وثلاثة في آن معاً. يجب أن تحاول بمزيد من الجدية والجهد.
فليس من السهل أن تصبح سليم العقل». ومُدد ونستون ثانية على السرير وشُدَّ وثاقه من جديدء إلا أن الألم كان قد انحسر وذهبت عنه تلك القشعريرة التى سرت فى جسده لتتركه خائر ا فقا :وأقنان اريزا فراسنه إلى لعن ذي اجات الأبيض الذي كان واقفاً لا يحرك ساكناً طوال تلك العملية» فتقدم ذلك الرجل ومال على ونستون يفحص عينيه ويجس نبضه ووضع أذنه على صدره وطرق على عظامه هنا وهناك ثم أومأ برأسه إلى أوبراين. فقال أوبراين: «مرة أخرى»). وتدفق الألم في جسد ونستون من جديدء وكانت الإبرة قد بلغت الدرجة السبعين أو الخامسة والسبعين» لكنه أغلق عينيه هذه المرة» إذ كان يشعر أن الأصابع لا تزال منتصبة وأنها لا تزال أربعاً. فقد كان كل همه هو أن يظل على قيد الحياة إلى أن تنقشع هذه النوبة من الألم» فلم يعد يعرف إن كان يصرخ من الألم أو أنه يتألم في صمت. وفتح ونستون عينيه بعدما خمّت حدة الألم مرة أخرى» حيث كان أوبراين قد سحب الذراع للخلف. - كم إصبعاً ترى يا ونستون؟ أريعا + أظن انها اربع ساخاول أن أزاها حمسا إن انشلدع» إنني أحاول فعلا أن أراها خمساً. - أترغب يا ونستون أن تقنعني بأنك تراها خمساً أم أنك تراها فعلاً تخمسيا؟ د ارعيي: أن أراها وداه ميا فقال أوبراين: «إذن مرة أخرى». ولعل الإبرة أشارت في هذه المرة إلى الثمانين أو التسعين درجة» ولم يعد في مستطاع ونستون أن يتذكر سبب هذا الألم. وخيل إليه أن

غابة من الأصابع تتراقص أمام عينيه المشدوهتين ويتداخل بعضها في بعض ويتوارى بعضها وراء بعض ثم يعود فيظهرء وكان يحاول أن يحصيها دون أن يعرف لماذاء لكنه كان يعرف أن من المستحيل عليه أن يحصيهاء وذلك بسبب الطبيعة الغامضة التي تتلبس الخمسة والأربعة. وزال عنه الألم مرة أخرى» وما إن فتح عينيه حتى تبين له أنه لا يزال يرى الشيء نفسه. أصابع لا حصر لها ولا عد مثل أشجار متحركة يسير بعضها وراء بعض في وجهتين متداخلتين؛ فسارع بإغلاق عيئنيه مرة أخرى . - كم إصبعاً ترى يا ونستون؟ - لست أدري» لست أدري. أخاف أن تقتلني إن فعلت ذلك مرة اغري» أريعاة خمساء. ينا اقبسم لك إن لتنت أمري: فقال أوبراين: «هذا أفضل». وعُرست إبرة في ذراع ونستون فشعر معها بدفء مريح يدب في أوصاله حتى كاد ينسى الألم. ففتح عينيه ونظر بعين الرضا والامتنان إلى أوبراين. وما إن رأى ذلك الوجه الغليظ القميء شديد الذكاء الذي يمتلئ بالتغضّنات حتى شعر بقلبه يخفق» ولو كان فى مستطاعه أن يتحرك لمد يده وتشبث بذراع أوبراين. لقد أحبه في هذه اللحظة كما لم يحبّه من قبل» ولم يكن ذلك لأنه أوقف الألم فحسب. وإنما لأن مشاعره القديمة؛ التي كان يكنها لأوبراين بقطع النظر عما إذا كان صديقاً أو عدواً. قد جاشت في صدره من جديدء فأوبراين هو الشيخص الذي يمكنه أن يتكلم إليه» ولعل المرء لا يهمه أن يحبه الناس بقدر ما يهمه أن يفهموهء نعم إن أوبراين قد ذهب في تعذيبه إلى حد الجنون ٠ بل ومنذ لحظات كان موقناً بأن أوبراين سيرسله إلى مثواه الأخيرء لكن كل. ذلك لايهمء فقد كان يجمع بينهما ما هو أعمق من الصداقة. إنها الحميمية» وبالرغم من أنهما لا يمكنهما تبادل الحديث معاًء فلا بد أن يأتي يوم يلتقيان فيه ويتحدثان معا كما يشاءان. ولاحظ ونستون أن أوبراين ينظر 207

إليه نظرة استوحى منها أن الأفكار نفسها تدور بخاطره» وعندما تكلم أوبراين كانت نبرة حديثه يسيرة ومفعمة بروح الحوار» فقال: - أتدري أين أنت يا ونستون الآن؟ - لست أدري» لكن يمكنني التخمين» لعلي في وزارة الحب. - هل تعلم كم من الوقت مضى عليك ها هنا؟ - لست أدري» قد تكون أياماً أو أسابيع أو مور لكني أعتقد أنني أمضيت شهوراً. - ولماذا نأتي بالناس إلى هذا المكان حسب تصورك؟ - كي تجعلوهم يعترفون. - كلاء ليس هذا هو السبب» حاول مرة ثانية. - كي تعاقبوهم . فصرخ فيه أوبراين: «كلا!» وتغيرت نبرة صوته تماماً وارتسمت على وجهه علامات التجهم والشدة ثم قال: - كلاء إننا لا نأتي بأحد إلى هنا كي ننتزع منه اعترافاً أو ننزل به عقاباً. هل تود أن تعرف لماذا أتينا بك إلى هنا؟ لمداواة علتك! لنجعلك سليم العقل! هلا فهمت يا ونستون» فما من أحد نأتي به إلى هنا ويخرج قبل أن يبرأ من علته؟ إننا لا نكترث للجرائم الحمقاء التي اقترفتهاء فالحزب لا يهمّه ما تأتيه من أفعال مكشوفة, إنّما يهمّه أكثر ما يدور في اللي أنكان "فحن لا تخطم امباء يا تي رإنها تحيوها بأنفسهم . هل تفهم ماذا أقصد بذلك؟ كان أوبراين منكفئاً فوق ونستون وقد بدا وجهه ضخماً لشدة قربه منه» وبشعاً قبيحاً لأن ونستون يتطلع إليه من أسفل» كما أنه كان يبدو مفعماً بالنشاط والتوتر الطائش. ومرة أخرى خفق قلب ونستون» ولو أن الأمر بيده لكان قد غاص فى السرير أكثرء فقد تأكد له أن أوبراين يوشك أن يدير القرضن مدفوعاً بوحشية مفرطة» إلآ آن اؤبراين 'استداز مبتعداً فى 258

هذه اللحظة وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً مرة أو مرتين. ثم تابع حديثه وقد فتر حماسه: ش - إن أول ما يتوجب عليك فهمه هو أننا لا نسمح لأحد بأن يخرج من هذا المكان شهيداً لا بد أنك قرأت عن الاضطهاد الديني في الماضي والذي مورس في العصور الوسطى تحت ما يسمى بمحاكم التفتيش التي فشلت فشلاً ذريعاً لقد أنشئت تلك المحاكم لاستئصال شأفة الهرطقة» لكنها على العكس كرست وجودها. ففي مقابل كل هرطوقي يُحرق بعد شدّه على الخازوق كان يظهر الآلاف غيره. فما السبب يا ترى؟ السبب هو أن محاكم التفتيش كانت تقتل أعداءها جهاراً نهاراً وتجهز عليهم قبل أن يتوبواء وفي الواقع لقد كانوا يحرقون لأنهم لم يظهروا ندامتهم أو يعلنوا توبتهم» ومن ثم كان الناس يُحرقون لأنهم يرفضون التخلي عن معتقداتهم الصحيحة. وبالطبع كان المجد كله يؤول إلى الضحية» بينما يبقى كل الخزي من نصيب المحقق. وفيما بعد في القرن العشرين»؛ ظهر ما يسمى بالحكم الاستبدادي» فكان هناك النازيون الألمان والشيوعيون الروس الذين كان سجلهم في اضطهاد مناوئيهم حافلا بقسوة تفوق ما اقترفته محاكم التفتيش. ومع ذلك كانوا يظنون أنهم تعلموا من أخطاء الماضي» فقد كانوا على أي حال يدركون أنه ينبغي عليهم ألا يجعلوا من خصومهم شهداء. ولذلك كانوا لا يقدمون ضحاياهم للمحاكمات العلنية إلا بعد أن يستوثقوا من تحطيم كرامتهم وإذلالهم» إذ كانوا ينهكون قواهم بالتعذيب ويعزلونهم عن العالم حتى يتحولوا إلى مسوخ ذليلة وحقيرة ة ويعترفون بكل ما يوضع على ألسنتهم ويصمون أنفسهم بالخزي والعارء ويتهم بعضهم بعضاً ويتضرعون طلبا للرحمة. ومع كل ذلك لم تكن تمر سوى بضع سنوات حتى يتكرر الشيء نفسه ثانية» إذ يتحول الموتى إلى شهداء بينما يُنسى ما لحق بهم من ذل وهوان. والسؤال: لماذا حدث هذا؟ والجعرات مو ولا 8 الاعترافات التي يدلون بها كانت كاذبة وتنتزع منهم قسراء أما نحن فلا 209

نقترف مثل هذه الأخطاء. فكل الاعترافات التى تجري هنا صحيحة» إننا نجعلها كذلك» وفضلاً عن كل ذلك نحن لا نسمح للموتى أن يبعثوا من قبورهم ليناهضوناء ولذلك يجب عليك أن تكف عن التوهم بأن الأجيال القادمة ستبرئ ساحتك وتجعل منك شهيداً إنهم لن يسمعوا عنك أبدا لأنك ستّزال تماما من سجل التاريخ » سنحيلك إلى غاز ثم نطلقك في الهواء» سنجعلك نسياً منسياً ولن يبقى منك شىء؛ لا اسما فى سجل ولا أثرا في ذاكرة حية» ستمحى كل علاقة لك بالماضي كما بالمستقبل وستصبح وكأنك لم تكن. وتساءل ونستون في نفسه بمرارة: إذن علام كل هذا التعذيب؟ وتوقف أوبراين عن السير في الغرفة» وكأنه يسمع تساؤل ونستون» فأصبح وجهه الدميم أكثر قربا وضاقت عيناه أكثر . وقال له: لعلك تتساءل لماذا نتتجشم مشقة استجوابك؟ ما دمنا ننوي القضاء عليك قضاء مبرماً وما دام لا شيء مما تقوله أو تفعله يمكن أن يغير من الأمر شيئاء إن هذا هو التساؤل الذي يدور بخاطرك» أليس كذلك؟» فأجاب ونستون: انعم». فابتسم أوبراين ابتسامة خفيفة وقال: «إنك العيب الذي شق النموذج العام إنك الوصمة التي يجب مَحُوها. ألم أقل لك قبل لحظات إننا نختلف عن طغاة الماضى؟ فنحن لا نقبل بالطاعة السلبية أو حتى بالخضوء وعندما تسلم لنا قيادك في النهاية يجب أن يكون ذلك تابعاً من إرادتك الحرة. إننا لا نحطم الال الذي خرج علينا عندما يقاومناء بل إننا لا نقدم أبداً على تدميره طالما أنه يقاومنا وإنما نسعى لأن نغيره ونقبض على عقله الباطن فنصوغه في قالب جديد. إننا نبدد كل ما يضمره من شرور ونخرج كل ما يحمله من أوهام جره ان مو لغرب ليس في مظهره فحسبء. وإنما أيضا في جوهره قلبا وقالبا. إننا نجعله واحدا مدا اقل أن تقئله .ذلك أتدميا لا محتمل بالضبة إلينا هو أن توسجل 300

فكرة خاطئة في أي مكان من العالم مهما كانت خفية ومعدومة القوة»
وحتى في لحظة الموت لا نسمح بأي شكل من أشكال الانحراف. ففي الأيام الغابرة كان
الهراطقة يسيرون نحو الخوازيق المعدة لهم وهم يجهرون بهرطقاتهم ويتباهون بهاء
وضحايا حملات التطهير الروسية كانوا يحملون تمرّدهم داخل رؤوسهم حتى وهم
يساقون عبر الممر في انتظار الرصاصة القاتلة . لذلك فإننا نجري للدماغ غسيلاً شاملاً
قبل أن نعصف به» لقد كان طغاة الماضي يأمرون على النحو التالي: يجب ألا تفعل ذلك
يكنا كان الجقاء المسيدرة يتؤلوةة يجب أن تعمل أما دن فأمرنا يأني على النحو التالي:
كن. ولم يسبق أن جتنا بأحد إلى هذا المكان ثم وقف ضدنا وناهضنا لأن كل شخص
يخضع لغسيل دماغ» بل حتى هؤلاء الخونة الثلاثة التعساء» جونز وآرونسون
وراذرفورد» الذين كنت تؤمن ذات يوم ببراءتهم قد انفرط عقدهم وخرّ عزمهم في
النهاية؛ لقد أشرفت بنفسي على استجوابهم ورأيتهم وهم ينهارون تدريجياً ويتذللون
ويتضرعون وينتحبون؛ وفي النهاية لم يكن كل هذا مبعثه الخوف أو الألم بل شعورهم
بالندم والأسف على ما اقترفوا. وعندما انتهينا من تطهيرهم كانوا قد تحولوا إلى هياكل
بشرية لم يبق منها إلا الأسى على ما بدر عنها من جرائم في حق الحزب والحب للأخ
الكبير. لقد كان من المؤثر فعلاً أن ترى مبلغ ما أصبحوا عليه من حب للأخ الكبير حتى
أنهم تضرعوا إلينا كي نطلق عليهم الرصاص ليموتوا قبل أن تعلق بعقولهم التي تطهرّت
أي شيء من أدران الماضي». كان صوت أوبراين قد أصبح هادئاً ولو أن الاعتداد
بالنفس الذي ظهر في شكل حماس «جنوتي: ظل يرتسع على وجهه : فقال ولستون
لنفسه: إن أوبراين لا يتظاهر» كما أنه ليس مرائيا فهو يؤمن بكل كلمة ينطق بهاء ولم
يحزن ونستون على شيء قدر حزنه حيئما أحس بدونيته الفكرية أمام عقل أوبراين
المتوقد. وراح ونستون يرقب أوبراين صاحب القوام المهيب وهو يغدو ويروح في
الغرفة» فرأى أن أوبراين يفوقه في 201

كل شيء»؛ فليست هنالك فكرزة خطرت على بال ونستون أو حتى راودته إلا وكان أوبراين على علم مسبق بها وعرف كيف يفندها تفنيداً» لقد احتوى بعقله عقل ونستون. وما دام الأمر كذلك كيف يمكن أن يكون أوبراين مجنوناً؟ لا ريب في أنني أنا المجنون. وتوقف أوبراين عن السير وتطلع إلى ونستون وقال له بصوت صارم: - لا تتصور أنك ستنقذ نفسك يا ونستون مهما كان استسلامك لنا مطلقاء فما من امرئ انحرف مرة عن جادة الصواب ثم أبقينا على حياته» وحتى لو اخترنا أن نتركك تعيش إلى أن ينقضي أجلك فتموت ميتة طبيعية» فلن يمكنك أبداً أن تفلت من قبضتنا وما حدث لك هنا سيعيش معك إلى أبد الدهر. فعليك أن تعي ذلك سلفاً. إننا سنسحققك إلى درجة لا يمكنك بعدها أن تعود بحياتك إلى سيرتها الأولى؛ وستحدث لك أشياء لن يمكنك أن تبرأ من آثارها حتى لو عشت ألف عام. وأبداً لن تقدر ثانية على الشعور بما يشعر به الأحياء. إن كل شيء سيموت داخلك ولن تعود قادراً على الحب أو الصداقة أو الاستمتاع بالحياة أو الضحك أو حب الاستطلاع أو الشجاعة أو الاستقامة. ستكون أجوف لأننا سنعصرك حتى تصبح خواء من كل شيء ثم نملأك بذواتنا. وتوقف أوبراين وأشار إلى الرجل ذي المعطف الأبيض؛ وأحس ونستون بأن جهازاً ثقيلا قد دفع إلى مكان ما خلف رأسه. وجلس أوبراين بجانب السرير حتى يصبح وجهه محاذياً لوجه ونستون. وقال موجها أمره إلى الرجل ذي المعطف الأبيض: - ثلاثة آلاف . وفي الحال أحس ونستون بأن ضمادتين ناعمتين مبللتين تضغطان على صدغيه» فارتعد من الخوف حينما شعر أن ألماً يتدفق في جسدهء إنه لون جديد من الألم» لكن أوبراين ربت على كتفه مطمئناً إياه: - لا تخف فلن يؤذيك الألم هذه المرة» ولكن أبقِ عينيك مركزتين في عيني . 302

وفي تلك اللحظة أحس ونستون بانفجار مدو أو ما بدا أنه انفجارء ومع ذلك لم يكن وائقاً إن كان سمع صوتا أم لا لكن مما لا ريب فيه أنه كان مصحوباً بوميض ضوء تزيغ له الأبصارء لم يصبه ذلك بأذى وإن شعر أنه انبطح على وجهه رغم أنه كان في الأصل مستلقياً على ظهره» وتملّكه شعور غريب بأنه قد قذف به إلى هذا الوضع إثر ضربة مخيفة سضقية :مهنا واحمن بأن كينا ما قد حدق «احل زاسة» :وعيدنا استعادت عيناه قدرتهما على التركيز تذكر من هو وأين هو وعرف الوجه الذي كان يحدق فى عيئيه. بيد أنه أحس بأن فراغاً واسعاً قد حدث فى رأنه وكاتنا فيك مو دماغة فك اقوفت العزاعا: ا وقال أوبراين: «لن يطول بك هذا الحال» لكن انظر إلى عيني»ء أي دولة تحاربها أوقيانيا الآن؟» 1 وفكر وتتعون فلاء فادرلك ما بعئيه بكلمة أوقيانناء .وعرق أنه 'أجد مواطني أوقيانياء كما تذكر إيستاسيا وأوراسياء لكنه لم يدر من في حرب مع منء بل إنه لم يكن يعي أن ثمة حرباً قائمة. فأجاب: «لا أذكرا. فقال أوبراين: إن أوقيانيا في حالة حرب مع إيستاسياء هل تذكر ذلك الان؟» - تعم. - لقد كانت أوقيانيا في حرب دائمة مع إيستاسياء فمنذ بداية حياتك ومنذ نشأة الحزب ومنذ بداية التاريخ وهذه الحرب مشتعله دون توقفء إنها الحرب نفسها. فهل تذكر ذلك؟ - نعم . متك أحد عشرعاماً ابعدعبتة يا :وتسكون خرافة عن كلاثة ريجال كانوا قد أدينوا بالموت جزاء خيانتهم» وزعمت أنك رأيت قصاصة من الورق تثبت براءتهم» إن مثل هذه القصاصة لم يكن لها وجود على 303

التى اخترعت فيها هذه الخرافة؟ - تعم. - منذ فترة قصيرة رفعت يدي إليك فرأيت خمس أصابع» هل تذكر ذلك؟ - تعم. - ورفع أوبراين أصابع كف يده اليسرى وقد أخفى الإبهام وسأله : إنها خمس أصابع» هل ترى خمس أصابع؟ - نعم ولقد رآها فعلاً خمساً ولكن للحظة عابرة قبل أن يتغير المشهد أمام ذهنه. لقد رآها خمسة كاملة لا عيب ولا عاهة فيهاء ثم لم يلبث أن عاد كل شيء طبيعياء وراحت تتداعى عليه من جديد مشاعر الخوف والكراهية والحيرة. لكن لفترة لم يدرك مداهاء لعلها كانت لحظات من اليقين المشرق كان فيها كل إيحاء جديد من إيحاءات أوبراين يملا جزءاً من الفراغ الذي في رأسه ويصبح حقيقة مطلقة» لحظات يمكن فيها أن يكون اثنان واثنان يساويان ثلاثة أو خمسة حسبما يتطلب الأمر. وما إن رفع أوبراين يده من فوق رأسه حتى انقشع عنه ذلك الكابوس. ورغم أنه لم يستطع أن يستعيده ثانية» فقد ظل يذكره كما يذكر المرء واقعة حية ألمّت به منذ فترة بعيدة كان فيها شخصا مختلفا. وقال أوبراين: «لعلك ترى الآن أن ما حدثتك به ممكن». فأجاب ونستون: انعم». نهض أوبراين وقد ارتسمت على وجهه علامات الرضاء وعن يساره رأى الرجل ذا المعطف الأبيض يكسر أنبوبة ثم يسحب بمحقنة ما بها من سائل. والتفت أوبراين إلى ونستون وعلى شفتيه ابتسامة وهو يعيد تثبيت نظارته فوق أنفه جريا على عادته القديمة وقال: 304

هل تذكر ما دونته في مذكراتك من أنه لا يهمك أن أكون صديقاً أو عدواً - ما دمت على الأقل شخصاً يفهمك ويمكنك أن تتحدث إليه؟ لقد كنت على صوابء إنني أجد متعة في الحديث إليك» إن عقلك يستهويني لأنه يشبه عقلي في كل شيء؛ عدا أنه مصاب بمس من الجنون. لكن قبل أن ننهي هذه الجلسة يمكنك إذا شئت أن تلقي علي بضعة أسئلة . - أي سؤال أريد؟ - نعم أي سؤال. ولاحظ أويراين أن عيني ونستون معلقتان بالقرصء» فطمأنه أنه قد فصل عنه التيار وقال له: «هات سؤالك الأول». فقال ونستون: «ماذا فعلتم بجوليا؟» فابتسم أوبراين ثانية ثم قال: «لقد خانتك يا ونستون بلا إبطاء أو تحمّظ. إنني لم أر في حياتيء إلا نادرأء أحداً يثوب إلى رشده بمثل هذه السرعة» ولو أنك رأيتها الآن لما عرفتها بعد أن اجتثثنا كل ما علق بها من أدران التمرد والخداع والجهالة والميول الجنسية. لقد حدث لها تحول تام وأصبحت نموذجاً يحتذى ويدرس». - هل عذبتموها؟ ولم يجب أوبراين عن هذا السؤال بل قال: «هات سؤالك الثاني». - هل للأخ الكبير وجود؟ - لا ريب أنه موجود وكذلك الحزب موجودء نني الأخ الكبير يتجسد الحزب . - وهل هو موجود مثلي» كما أنا موجود وبالشكل ذاته؟ فأجابه أوبراين: «إنك غير موجود. ومرة ثانية أحس ونستون بنوبة من العجز تجتاحه» فقد كان يعرف» أو يمكنه أن يتخيل يتخيل» أن الحجج التي يُدفع بها للتدليل على عدم وجوده هي مجرد هراء لا معنى له ولا تعدو أن تكون مجرد تلاعب بالكلمات. 205

ألا تحتوي عبارة «أنك غير موجود» على سخف منطقي؟ ولكن ما الجدوى من أن تقول ذلك؟ وارتعد عقله عندما فكر في الحجج الجنونية القاطعة التي سيفحمه بها أوبراين. وقال بإعياء: «أعتقد أنني موجود, أنني أعي ذاتي» لقد ولدت وسوف أموت» ولي ذراعان وساقان وأشغل حيزاً في الفضاء ولا يستطيع جسم آخر أن يشغل الحيز نفسه في الوقت نفسه. بهذا المعنى أسأل : - هل للأخ الكبير وجود؟ - ليس لما تقول أي أهمية؛ إنه موجود. - وهل سيموت الأخ الكبير في يوم من الأيام؟ - طبعاً لاء كيف يمكن أن يموت؟ هات سؤالك التالي. - هل لحركة الأخوة وجود؟ - هذا ما لن تعرفه يا ونستون» ولئن رأينا أن يطلق سراحك بعد أن نفرغ من تطهيرك» ولئن امتد بك الأجل حتى تبلغ التسعين من العمر فلن تعلم ما إذا كان جواب سؤالك هذا نعم أو لا. وما دمت حي سيظل هذا السؤال هو اللغز المحير الذي لن يجد عقلك حلا له. وخيم على ونستون الصمت لبعض الوقت» وراح صدره يعلو ويهبط بسرعة أكثر قليلاء ولم يكن قد سأل بعد السؤال الذي خطر بباله أولاء وكان يشعر أن عليه أن يوجه هذا السؤال لكن لسانه لم يكن يطاوعه. أما أوبراين فقد ارتسمت على وجهه مسحة تهكمء بل حتى نظارته أخذت تكتسي بالمسحة نفسها. وفجأة خطر لونستون أن أوبراين يدرك ما يدور بخلده ولا بد أنه على معرفة بالسؤال الذي يعترم أن يسأله. ولم يكد ينتهي من هذه الفكرة حتى اندفعت الكلمات من بين شفتيه : - ماذا يوجد في الغرفة 101؟ ولم يتغير التعبير المرتسم على وجه أوبراين وأجاب بجفاء: 306

إنك تعرف ماذا يوجد في الغرفة 101 يا ونستون؛ بل إن كل شخص -
يعرف ماذا يوجد في هذه الغرفة. وأشار أوبراين بإصبعه إلى الرجل ذي المعطف الأبيض وبدا جلياً لونستون أن الجلسة قد انتهت» وسرعان ما انغرست إبرة في ذراعه راح على إثرها في نوم عميق. 307

الفصل الثالث قال أوبراين: «هنالك مراحل ثلاث لا بد أن تمر بها حتى تتم إعادة تأهيلك وخلقك من جديد وهي التعلم» ثم الفهم. ثم القبول. وقد آن أوان دخولك المرحلة الثانية». كان ونستون» كالعادة» ممددا على ظهره فوق السرير»ء وكانت الأربطة التي تشده إليه قد باتت أقل استحكاماء ومع أنها كانت لا تزال تشدّه إلى السرير إلا أنه أصبح في استطاعته أن يحرك ركبتيه قليلاء وأن يدير رأسه من جانب إلى آخرء وأن يرفع ذراعيه حتى المرفقين. كما لم يعد القرص مدعاة للفزع لديه» فقد بات بمقدوره أن يتجنب نوبات الألم التي يطلقها في جسده طالما كان سريع البديهة» فغالباً كان أوبراين لا يسحب ذراع القرص إلا حينما يبدي ونستون حمقاً أو غباء. وفي بعض الأحيان كانت تنقضي جلسة بطولها لا يلجأ أوبراين فيها لاستخدام القرص . ولم يكن ونستون يتذكر عدد الجلسات التي خضع لهاء بل إن العملية برمتها بدت وكأنها قد امتدت وقتاً طويلاً لا حدود له» ربما أسابيع» كما أن الفترات الفاصلة بين جلسة وأخرى كانت أحياناً تمتد أسابيع وأحياناً لا تتجاوز ساعة أو ساعتين. وقال أوبراين: «لا بد أنك سألت نفسكء. بل إنك قد سألتني بالفعل» وأنت ممدد فوق هذا السريرء عن السبب الذي يجعل وزارة الحب تهدر كل هذا الوقت وتتجشم هذه المشقة من أجلك» بل حتى 308

عندما كنت حرا طليقاً كنت تقف أمام السؤال نفسه حائراًء فقد كان بوسعك أن تفهم آليات المجتمع الذي تعيش فيه ولكنك عجزت عن إدراك الدوافع الكامنة التي تحركه. هل تذكر قولك في مذكراتك «إنني أفهم كيف. لكنني لا أفهم لماذا؟» لقد بدأ الشك يتسرب إلى عقلك الحصيف عندما بدأت تفكر في «لماذا». ولقد قرأت كتاب غولدشتاين أو أجزاء منه على الأقل فهل وجدت فيه شيئاً لم تكن تعرفه بالفعل؟» فسأله ونستون: «وهل قرأته أنت؟» فأجاب أوبراين: «بل قل كتبته» أو حتى أكون أكثر دقة» لقد اشتركت في وضعهء فكما تعلم ما من أحد يؤلّف كتاباً بمفرده». - وهل ما يقوله الكتاب صحيح؟ فأجابه أوبراين: «أما الوصف الذي يقدمه فصحيحء وأما البرنامج الذي يضعه فهراء لا قيمة له. فكل ما يقوله عن التراكم السري للمعرفة والانتشار التدريجي للفكر التنويري اللذين يفضيان في نهاية الأمر إلى ثورة البروليتاريا والإطاحة بالحزب لا يعدو أن يكون هراء ما بعده هراءء لأن البروليتاريا لن تثور ولو بعد ألف أو مليون سنة» إنها لا تستطيع ذلكء ولا أظن أننى بحاجة لأن أخبرك بالسبب لأنك تعرفه بالفعل» وإذا كنت متعلقا ببعض الأحلام التي راودتك عن اندلاع العصيان المسلح فعليك أن تتخلى عنهاء فليس ثمة سبيل للإطاحة بالحزب الذي سيظل حكمه قائماً إلى أبد الدهرء ولتجعل ذلك المعتقد هو نقطة لانطلاق أفكارك» . عندئذ اقترب أوبراين من ونستون وراح يردد: «إلى أبد الدهر. والآن يحسن بنا أن نعود إلى سؤال «كيف» والماذا». إنك تفهم جيداً كيف يحتفظ الحزب بالسلطة؛ ولكن قل لى لماذا نتشبث بالسلطة؟ ما هي دوافعنا؟ لماذا نريد السلطة؟ هياء تكلم». لكن ونستون ظل ملتزماً بالصمت. مرّت لحظة أو لحظتان ولم ينبس ونستون ببنت شفة» وغمره شعور

بالإعياء واليأس» ولمح من عيني أوبراين أن الحماس المجنون بدأ يعاوده من جديد "كان يعرف سلقا ماذا يقول أويراية + إنه سيقول: إن الخرب لم يسع إلى السلطة من أجل مآربه الخاصة وإنما من أجل مصلحة الأغلبية» وأنه ما سعى إلى السلطة إلا لأن جماهير العامة مخلوقات ضعيفة هشة تتسم بالجبن ولا يمكنها احتمال مسؤولية الحرية أو مواجهة الحقيقة» ومن ثم يجب أن يتم تسيير شؤونهم وخداعهم بطريقة منهجية من قبل آخرين أعلى وأعز منهم قوة» وأن على البشرية أن تختار بين خيارين لا ثالث لهماء فإما الحرية وإما السعادة» ودائما تفضل الغالبية العظمى من الجنس البشري السعادة على الحرية. إن الحزب هو الوصي الأبدق على الستفعين ونه ينعي سكلذته عن أجل سمادة الالخرين . لكن أفظع شيء لدى ونستون هو أن أوبراين كان حينما يسوق مثل هذه الحجج كان يفعل ذلك عن إيمان يهاء وفي استطاعتك أن ترى هذا مرتسماً على وجهه. إن أوبراين يعرف كل شيءء بل إنه يعرف أكثر من ونستون ألف مرة عن حقيقة العالم» ويعرف ما تعانيه هذه الجماهير من المخلوقات البشرية من إذلال وانحطاط وبأية أكاذيب وأساليب بربرية يبقيها الحزب على ما هي عليه. كان أوبراين يفهم كل ذلك فهماً جيداً ومع ذلك لم يكن لذلك أهمية؛: فكل شيء مبرر باسم الغاية النهائية. وتساءل ونستون بينه وبين نفسه: ماذا تستطيع أن تفعل حيال مجئون أحد ذكاء منك ويصغي جيدا إلى حججك لكنه يتمسك بجنونه؟ قال ونستون بصوت واهن: «إنكم تحكموننا من أجل مصلحتنا وفي سبيل منفعتناء فأنتم تؤمنون أن البشر لا يصلحون لحكم أنفسهم بأنفسهم ومن اقم ال قن وتوقف ونستون عن الكلام عندما شعر بوخزات ألم مفاجئة تتدفق في جسده حينما دفع أوبراين ذراع القرص إلى خمسة وثلاثين. وقال أوبراين: «هذا غباء وسخافة يا ونستون» ما كان ينبغي أن

وسحب ذراع القرص إلى مكانه ثم مضى يقول: - والآن سأعطيك جواباً عن سؤالي: إن الحزب يسعى إلى بلوغ السلطة لذاتها وإن مصالح الآخرين لا تعنينا في شيء. فكل همنا محصور في السلطة. نحن لا نسعى وراء الثروة ولا الرفاهية ولا العمر المديد ولا السعادة وإنما نسعى وراء السلطة» والسلطة المطلقة فقطء. ولسوف تفهم عما قريب ماذا نعني بالسلطة المطلقة. إننا نختلف عن الأشكال الكثيرة من حكم القلة التي وجدت في الماضي لجهة أننا نعرف ما نفعل. أما الآخرون بمن فيهم هؤلاء الذين كانوا يشبهوننا فكانوا جبناء ومرائين» لقد بلغ النازيون الألمان والشيوعيون الروس حداً جعلهم جد قريبين منا في مناهجهم لكنهم لم يمتلكوا من الشجاعة ما يكفي للاعتراف بدوافعهم. لقد كانوا العو بل ربما اعتقدواء أنهم بلغوا السلطة وهم لها كارهون وأنهم لن يمكثوا فيها إلا لأجل محدودء وأنه لم يعد يفصلهم شيء عن الفردوس الموعود الذي يحيا فيه الناس أحراراً متساوين. إننا لا نشبه هؤلاء. إننا ندرك أنه ما من أحد يمسك بزمام السلطة وهو ينتوي التخلي عنها. إن السلطة ليست وسيلة بل غاية» فالمرء لا يقيم حكما استبدادياً لحماية الثورة» وإنما يشعل الثورة لإقامة حكم استبدادي. إن الهدف من الاضطهاد هو الاضطهاد», والهدف من التعذيب هو التعذيب وغاية السلطة هي السلطة. هل بدأت تفهم ما أقول الآن؟ وهال ونستونء مثلما هاله من قبل» ٠ ما بدا على وجه أوبراين من علامات التعب والإرهاق. كان وجها قويء ممتلئاً قاسي الملامح» مفعماً بالذكاء ويتقد بعاطفة مكبوتة يعجز المرء إزاءهاء إلا أنه يمع كل ذلك كانت علامات التعب بادية عليه» فقد كان هناك الانتفاخان أسفل العينين وتهدل الجلد عند الصدغين. مال أوبراين فوق ونستون متعمدا أن يقترب منه أكثر بوجهه المهترئ» وقال: - لعلك تفكر فى وجهى المتعب الذي زحفت عليه علامات الشيخوخة» وأنني أحدثك عن السلطة بينما لا أستطيع أن أوقف انحلال

جسدي: ألا تستطيع يا ونستون أن تفهم أن المرء إن هو إلا خلية؟ وأن إنهاك الخلية هو تجديد لنشاط الكائن الحي. هل تموت يا ترى عندما تقلم أظافرك؟ واستدار أوبراين مبتعداً عن السرير وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً مرة أخرى وقد وضع يده في جيبه ثم مضى يقول: - إننا نحن كهنة السلطة» والله هو السلطة» لكن فى الوقت الراهن لأاتغى لك السلطة إلا تجره كلمة :وقد أن الأوان لآن تكوة لديك وه نيا قعئيه الستلطةوزارل نا ين عليك أن تدرقة قالط جماعية وأن الفرد لا يمكن أن يملك سلطة إلا بمقدار ما يتخلص من فرديته» ولعلك تعرف شعار الحزب القائل: «الحرية هى العبودية.» فهل طن يالك مق تبلق أن هذا 'الشعان يمكن قلية ليضيم : #العيودية هي البعريةةى فالانهاة حيعيا نكون وعدا وصراء وائماأما تقهوركفلت: ويجب أن يكون الأمر كذلك لأن الموت هو القدر المحتوم على كل إنسان والموت هو أنكى أنواع الفشل التي يمنى بها الإنسان» بيد أنه إذا استطاع أن يخضع خضوعا تاماً وأن يتخلّص من ذاتيته» وأن يذوب ذوباناً تاما في الحزب حتى يصبح هو الحزب» فإنه حينئذ يمنح القوة والخلود. وأما الأمر الثاني الذي يجب أن تدركه هو أن السلطة هي سلطان على البشرء على أجسامهم وعلى عقولهم قبل كل شيء. أما أن يكون لك سلطان على المادة» وهي الواقع الخارجي كما تسميه» فليس بالأمر الهام» إذ نحن نسيطر على المادة سيطرة مطلقة. وتجاهل ونستون للحظة القرصء وحاول جاهداً أن يستوي جالساً فوق السرير لكنه شعر على إثر ذلك بألم يمزق أوصاله بعد هذه المبخاولة: وصاح ونستون قائلا: «ولكن كيف تسيطرون على المادة؟ إنكم لا تسيطرون حتى على الطقس أو قانون الجاذبية» ناهيك عن المرض والألم والموت». 312

لكن أوبراين أسكته بإشارة من يده وقال: - إننا نسيطر على المادة لأننا نسيطر على العقل» والواقع يكمن في جمجمة الإنسان» وتدريجياً ستعلم يا ونستون أن ليس ثمة ما يستعصي علينا فيمكننا أن نصبح غير مرئيين ويمكننا أن نطير في السماء. هل تعلم أنه بوسعي أن أجعل أرضية هذه الغرفة تطفو كفقاعة صابون إن شعت ذلك» وإذا كنت لا أرغب في ذلك فلأن الحزب لا يريد ذلك. يجب عليك أن تتحرر من أفكار القرن التاسع عشر فيما يتعلق بقوانين الطبيعة. فنحن الذين نضع قوانين الطبيعة. اعترض ونستون قائلاً: «لاء لستم واضعيها! إنكم لستم حتى سادة كوكبنا هذاء وإلا فما تفسيرك لوجود أوراسيا وإستاسيا؟ إنكم لم تقهروا ا ين: «لا يهمنا ذلك لأننا سوف نقهرهما حين يناسبنا ذلك» وحتى إن لم نفعل» فإن ذلك لا يعنينا في شيء» فيوسعنا أن نقصيهما خارج دائرة الوجود ونطمس كل أثر لهما في الأذهان بحيث فقال ونستون: «ولكن العالم ذاته ليس إلا ذرة غبار والإنسان خلق ضعيفاً عاجزاً! منذ متى وهو موجود؟ لقد ظلت الأرض لملايين السئين غير مأهولة!) فقال أوبراين: «هراء» إن عمر الأرض في مثل عمرناء فهي ليست أقدم مناء بل كيف يمكن أن تكون أقدم؟ فما من شيء يوجد إلا من خلال الإدراك الإنسانى». 0 لكن الصخور مر - الحيوانات الدائدة؟ ل المنقرض أحد بالإنسان. - هل رأيت هذه العظام بعينك يا ونستون؟ بالطبع لا. إن علماء 313

البيولوجيا في القرن التاسع عشر هم الذين اخترعوها. قبل الإنسان لم يكن
هنالك شيءء وبعد نهاية الإنسان» إن كان له نهايةء لن يكون هنالك شيء على عدا الكوكب» فخارج الإنسان لا يوجد شيء. - ولكن الكون كله موجود خارج الإنسان. انظر إلى النجوم! إن بعضها يبعد عنا ملايين السنين الضوئية» وهى لذلك لن تكون فى متناولنا أبداً .'' فرد أوبراين بغير اكتراث: «وما هي النجوم؟ إنها قطع من نار لا يفصلنا عنها سوى بضعة كيلومترات ويمكننا الوصول إليها إذا شئنا ذلك» كما بوسعنا أن نجعلها تتسمر في مكانهاء فالأرض هي مركز الكون والشمس والنجوم تدور حولها». وهنا قام ونستون بحركة تنم عن رفضه لما يقال» ولكنه لم يقل شيئاً هذه المرة. وأكمل أوبراين حديثه كمن يرد على اعتراض: - لا شك أن ما قلته لا ينسحب على بعض الحالات» فعندما نبحر في عرض المحيطات أو نتنبأ بخسوف للقمرء فإننا غالبا ما نجد أنه من الأنسب أن نفترض أن الأرض تدور حول الشمس وأن النجوم تبعد عنا ملايين الملايين من الكيلومترات» لكن ما أهمية ذلك؟ أتظن أننا نعجز عن وضع نظام مزدوج للفلك؟ فتصبح النجوم قريبة أو بعيدة حسب ما هو مطلوب . أتظن أن علماء الرياضيات لديئا لا يقدرون على ذلك؟ أنسيت ازدواجية التفكير؟ فانكمش ونستون على السرير» إذ مهما قال» فإن الردود السريعة من أوبراين كانت تسحقه كما تسحقه ضربة الهراوة» إلا أنه ومع ذلك كان يدرك أنه على حق. لا بد أن هنالك طريقة يمكن من خلالها إثبات زيف الاعتقاد القائل بأنه لا وجود لشيء خارج إدراك الإنسان. ألم يتضح منذ القدم أنه ينطوي على مغالطة؟ بل لقد كان له اسم ولكنه نسيه. وارتسمت على فم أوبراين ابتسامة خفيفة زمت شفتيه وهو يتأمل في ونستون» ثم قال : 314

لقد قلت لك يا ونستون إن الميتافيزيقا ليست نقطة قوتك. إن الاسم» -
الذي تحاول أن تذكره هو التمركز حول الذات ولكنك مخطئ فهذا ليس تمركزا حول الذات» وإنما هناك التمركز حول الذات الجماعية إذا أردت. لكن ذلك أمر مختلف. إنه عكس ما تقول». ثم أضاف وقد تغيرت لهجته: «إن كل هذا خروج على الموضوع. إن السلطة الحقيقية» السلطة التي ينبغي علينا أن نقاتل من أجل بلوغها ليل نهار ليست السلطة على الأشياء» ب علي الإتجادة ثم توقف عن الكلام واتخذ هيئة المعلم حينما يسأل تلميذاً واعداً: «كيف يؤكد إنسان سلطته على إنسان آخر يا ونستون؟؛ وقال ونستون بعد تفكير: «بجعله يقاسي الألم». فرد أوبراين: «أصبت فيما تقول. بتعريضه للألم» فالطاعة وحدها ليست كافية» وما لم يعانِ الإنسان الألم كيف يمكنك أن تتحقق من أنه ينصاع لإرادتك لا لإرادته هو؟ إن السلطة هي إذلاله وإنزال الألم بهء وهي أيضاً تمزيق العقول البشرية إلى أشلاء ثم جمعها ثانية وصياغتها في قوالب جديدة من اختيارنا. هل بدأت تفهم أي نوع من العالم نقوم بخلقه الآن؟ إنه النقيض التام ليوتوبيا المدينة الفاضلة التي تصورها المصلحون الأقدمونء إنه عالم الخوف والغدر والتعذيب» عالم يدوس الناس فيه بعضهم بعضاء عالم يزداد قسوة كلما ازداد نقاء» إذ التقدم في عالمنا هو التقدم باتجاه المزيد من الألم. لقد رَعَمَتَ الحضارات الغابرة أنها قامت على الحب والعدالة أما حضارتنا فهى قائمة على الكراهية» تن عالمنا لا مكان لعراظق غير الحوف والقضي والانتشاء بالتضتر وإذلال الذات» وأي شيء خلاف ذلك سندمره تدميراً. إننا بالفعل نعمل على تفكيك العادات الفكرية التي ورثناها من العهد السابق للثورة» لقد فصمنا عرى العلاقة بين الطفل ووالديه» وبين الصديق وصديقهء وبين الرجل والمرأة» ولم يعد أحد يجرؤ على الثقة بزوجته أو طفله أو صديقه» بل إنه في المستقبل لن يكون هنالك زوجات أو أصدقاءء كما

سيؤخذ الأطفال من أمهاتهم لدى ولادتهم مثلما تؤخذ البيضة من تحت الدجاجة؛ وسوف نقضي على الغريزة الجنسية ونبيدهاء أما الإنجاب تتتيكون إجراء سيريا سني الظايم قلي كز جديا بطافة اللمتصفين التموينية؛ وسنجتث ما يعرف بنشوة الجماع اجتثاثاً ويعمل الآن أطباء الأعصاب على تحقيق هذه الغاية» كما سينعدم كل ولاء ليس للحزب» وسيباد كل حب غير حب للأخ الكبير. ولن يكون هنالك ضحك إلا الضحك الذي يصحب نشوة النصر على العدو المقهورء ولن يكون هنالك فن أو أدب أو علمء فحينما تجتمع في أيدينا كل أسباب القوة لن تكون بنا حاجة إلى العلم. كما ستزول الفروق بين الجمال والقبح» ولن يكون هنالك حب الاستطلاع أو التمتع بالحياة ولن يكون هناك ميل نحو مباهج الحياة التي ستدمر تدميراً. ولكن حذار أن تنسى يا ونستون أن الرغبة في السلطة ستظل مشبوبة وستزداد دهاء. وفي كل لحظة ستكون هتالك نشرة النَصِن ولذة شق العدو المدخون العاجر ..وإذا كفت تريذ أن تستشرف صورة المستقبل» تخيل حذاء يدوس ويدمغ وجه إنسان إلى أبد الآبدين». وهنا توقف أوبراين عن الكلام وكأنه توقع من ونستون أن يتكلم» ولكن ونستون كان قد حاول الانكماش على نفسه ولم يستطع أن يتلفظ بكلمة» وبدا له وكأن قلبه قد تجمدء فاستأنف أوبراين حديثه قائلا: -.ولتعذكر أن :ذلك سيكون أبدياء وآن الوه سيظل :ذائماً فحت الحذاء» فدائماً هنالك الهرطوقي؛ عدو المجتمع؛ الذي يمكن قهره وإذلاله المرة تلو الأخرى. إن كل ما عانيته منذ وقعت فى قبضتنا كرام وسيوذاة سواء كمال ريف نظلعا عملناك التسسس والخيانة والاعتقالات والتعذيب و أحكام الإعدام وحوادث اختفاء الناس . لن يتوقف أي من ذلك» وسيصبح العالم عالم الرعب بقدر ما هو عالم الانتصارات. وكلما ازداد الحزب قوة ومنعة قلت درجة تسامحهء وكلما ضعف معارضو السلطة اشتدت قبضة الاستبداد والطغيان» أما غولدشتاين 316

سك فهر ووعية بالغان والتيكم منه والتصق غلية :في كل يوم يبل ثيه كل لحظة. ومع ذلك سيبقى موجودا وستبقى هرطقاته. إن هذه المسرحية الدرامية التي مثلتها معك على مدى سبع سنوات مضت سيعاد تمثيلها مرة تلو مرة» وجيلاً تلو جيل ودائماً بأشكال أكثر دهاء» ولسوف نجعل المهرطق دائما تحت رحمتناء يئن من الألم؛ محطماً ومحتقراً وفي النهاية سيأتي من نفسه نادماً بعد أن انتصر على نفسه السيئة ويركع طالباً العفو والصفح. إن ذلك هو العالم الذي نعدّه يا ونستون» عالم يتألف من نصر تلو نصر ونشوة تلو نشوة وهو ما يمثل ضغطاً قوياً على عصب السلطة. إنني أعتقد أنك بدأت تدرك ما سيكون عليه العالم» ولكن في النهاية سيطلب منك ما هو أكثر من الإدراك» سوف يطلب منك أن تقبل هذا العالم وترحب به وتصبح جزءا منه . وكان ونستون قد استعاد قدراً من عافيته بحيث أصبح قادراً على الكلام . فقال بصوت خافت: «إنكم لن تستطيعوا إلى ذلك سبيلا». - ماذا تعني بهذا الكلام يا ونستون؟ إنكم لن تستطيعوا خلق عالم كالذي وصفته فذلك حلم يستحيل بمحقشرقةه - ولماذا؟ - لأنه من المستحيل أن تؤسس حضارة على الخوف والكراهية والقسوة» فمثل هذه الحضارة إن وجدت لا يمكن أن تبقى. - ولم لا؟ - لأنها ستكون خلواً من أي حيوية ومن ثم ستتفسخ وتنهار من داخلها. - هذا هراء» إنك واقع تحت تأثير الاعتقاد بأن الكراهية تستنزف طاقات الإنسان أكثر مما يفعل الحب» فلم ذلك؟ وحتى لو افترضنا أن 317

اعتقادك صحيح فما أهمية ذلك؟ ولنفترض أننا اخترنا أن نفني أنفسنا بشكل أسرع. ولنفترض أننا سرّعنا وتيرة الحياة الإنسانية بحيث يشيخ الناس في الثلاثين من أعمارهم» فما أهمية ذلك؟ ألا تستطيع أن تفهم أن موت الفرد ليس موتاً ما دام الحزب خالداً أبدياً؟ وكالعادة ترك صوت أوبراين ونستون في حالة من العجز واليأس» وفوق ذلك فقد خشي إن هو استمر في مقارعتة لأوبراين» أن يدير الأخير قرض التغؤليب هرة أخرىء "إلاأنه مغ كل ذلك لم يحتمل البقاء صامتاًء ولذلك عاود ونستون الهجوم ولكن بصوت خافت وحجة واهية وخوف مما توعده به أوبراين: - لست أدري ولست أبالي»؛ لكنكم ستفشلون على أية حال» لا بد أن شيئاً ما سيقهركم» إن الحياة نفسها ستهزمكم. فرد أوبراين: إننا نسيطر على الحياة في جميع مستوياتها يا ونستون» إنك تتخيل أن هنالك شيئاً اسمه الطبيعة الإنسانية سيغضبها ما نفعله» ومن ثم فإنها سوف تنقلب علينا. ولكن ما لا تعرفه هو أننا نعيد خلق الطبيعة الإنسانية» فالإنسان قابل للتحول بشكل غير محدود؛ أو لعلك عدت إلى فكرتك القديمة التي مفادها أن العامة أو العبيد سيثورون علينا ويطيحون بنا من سدة الحكم. أخرج هذه الفكرة من ذهنك تماماً لأن هؤلاء عاجزون عجز الحيوانات» ولأن البشرية هى الحزب نفسه. وما عدا ذلك فهو معدوم الأهمية وخارج نطاقها». ا - إنني لا أبالي بما تقول» ففي النهاية سوف يهزمونكم. سوف يرونكم على حقيقتكم إن عاجلاً أو آجلاً وساعتئذ سيمزقونكم إرباً إرباً . - هل لديك دليل على أن ذلك سيحدث؟ أو سببٌ يحتم حدوث ذلك؟ - كلاء ولكني أعتقد ذلك» إنني موقن أنكم ستفشلون» ففي هذا العالم شيء لا أدري طبيعته» ربما يكون روحاً أو مبدأء لن تتغلبوا عليه مطلقاً. 318

هل تؤمن بالله يا ونستون؟ - كلا . - إذن أي مبدأ ذلك الذي ترى أنه - سيهزمنا؟ - لست أدري» ربما كانت روح الإنسان. - وهل تعتبر نفسك إنسانا؟ - أجل . تاإؤاقنت إشبانا يا ودخون فانك كن إنشان» لد الترض :فرعف ونحن الوارئون. هل تدرك أنك وحيد في هذا العالم» وأنك أصبحت خارج مجرى التاريخ . إنك لست موجودا. ثم تغيرت لهجته وقال بصوت أشد خشونة: «إنك تعتبر نفسك أ نا خلتا لا تعرفه عنا من كذ وقدرة؟» وهنا سكت أوبراين عن الكلام؛ وسّمع صوتان آخران يتكلمان. وعد لحكلة أدرلة وتسعوف أن انك العو سن حكوتة سو القن كان قويظا مسجلاً للحديث الذي دار بينه وبين أوبراين من حوار ليلة انضمام ونستون إلى جماعة الأخوة. وسمع ونستون نفسه وهو يعد بأن يكذب ويسرق ويزور ويقتل ويروج المخدرات ويشجع الدعارة وينشر الأمراض الجنسية ويشوه وجوه الأطفال. وقام أوبراين بإشارة تدل على نفاد صبره وكأنه يقول إن هذا التظاهر الذي يكتنفه لا جدوى منه؛ ثم ضغط على مفتاح فأوقف الصوت . وقال: «انهض من ذلك السرير». وانحلت الأربطة من تلقاء ذاتهاء فنزل ونستون عن السرير ووقف را وقال أوبراين: «إنك آخر إنسان» إنك حارس الروح الإنسانية. سوف ترى نفسك على حقيقتها. انزع عنك ثيابك»

فك ونستون الرباط الذي كان يمسك ثيابه ولم يكن يذكر إن كان قد خلع ثيابه منذ أن ألقي القبض عليه أم لا. وكان المعطف يواري تحته أسمال بالية مصفرة اللون بدا له أنها بقايا ملابسه الداخلية»ء وما إن طرحها هي الأخرى أرضاً ووقف عارياً حتى رأى مرآة ذات ثلاثة أوجه فى الطرف الأقصى من الغرفة» فدنا منها ثم توقف مفزوعاً وانخرط في 1 حار بلا إرادة منه. فقال أوبراين: «تقدم وقِفْ بين جناحي المرآة حتى ترى الجانب الآخر من نفسك». لكن ونستون توقف لهول ما رأى» لقد رأى هيكلاً عظمياً محدودب الظهر رمادي اللونء لقد أفزعته الهيئة التي رآها وأفزعه أكثر إدراكه أن هذه هيئته» ودنا ونستون أكثر من المرآة فرأى وجهاً نآئتة عظامه وخيل إليه أنه يرى وجه طائر بائس محبوس في قفصء وجبهة ضامرة تنتهي برأس صلعاء وأنف معقوف وعظام خدين تبدوان محطمتين وترتكز ميا هيدان تقيهاة خرن ودرا وكان الخدان مجعدين والفم مسحوب للداخل. لم يكن لديه ريب في أن ذلك هو وجهه ولكن بدا له أنه تغير أكثر مما تغير هو من داخله. فالانفعالات التي سجلها كانت تختلف عن تلك التي يشعر بها. لقد تساقط شعر رأسهء بل لقد خال للوهلة الأولى أنه شابٌ أيضاً لكنه عرف فيما بعد أن فروة رأسه فحسب هي التى أخذت لون رمادياً. وفيما عدا وجهه وكفيه فقد رأى جسمه كله افا وقد اصطبغ بأقذار قديمة علقت به. وكانت تنتشر في كل أنحاء جسمه وتحت هذه الأقذار ندبات جروح ملتهبة» » وبالقرب من كاحله كانت دوالي ساقيه ملتهبة وقد تشقق عنها الجلد. لقد أفزعه حقاً الهزال الذي حل بجسمهء لقد ضاق قفص أضلاعه حتى بدا كهيكل عظمي» ونحلت ساقاه حتى بدت ركبتاه أغلظ من فخذيه. وحيئئذ أدرك ما كان رااان تعيب حا الى متواة ريه من لمر على بر الجانت الآخر من نفسه. لقد كان تقو س العمود الفقري شيئاً مريعاً وكانت 2300

الكتفان النحيلتن مشدودتين إلى الأمام في تقعر بحيث تصنعان من قفصه الصدري تجويفاً. وكانت رقبته النحيلة تنوء تحت ثقل جمجمته. ولو أن ونستون سئئل أن يخمن من هو صاحب ذلك الجسم لقال أنه جسم رجل في الستين يعاني من مرض عضال . قال أوبراين: «لقد كنت ترى أحياناً أن وجهي الذي هو بمثابة وجه الحزب الداخلي هرما متعباً. فكيف ترى وجهك الآن؟» وأمسك أوبراين بكتف ونستون وأداره نحوه ثم استطرد قائلا: - انظر إلى ما آلت إليه حالك! انظر إلى الأرساك مين مساق انظر إلى القذارة تتخلل أصابع قدميكء انظر إلى القيح ينسال من التقرحات التي في ساقيك. هل تعلم أنك أصبحت أنتن من عنزة قذرة؟ أغلب الظن أنك لم تعد تلاحظ ذلك. انظر إلى الهزال الذي ألم بك» هل تراه؟ إن في استطاعتي أن أقبض على كتفك بإبهامي وسبابتي؛ وفي استطاعتي أن أنتزع رقبتك مثل جزرة. هل تعلم أنك فقدت خمسة وعشرين كيلوجراماً من وزنك منذ أن وقعت في قبضتنا؟ حتى شعر رأسك صار يتسقاط بغزارة. انظر ها هي خصلة شعر وأراه إياها بعد ان انتزعها من رأس ونستون. افتح فمكء آه لم يبقَ في فمك إلا أحد عشر سئاً. هل تذكر كم كان عددها عندما جئت إلينا؟ بل إن البقية الباقية تتساقط هي الأخرى أيضاً. وأمسك سنا من أسئان ونستون الباقية وانتزعه بإبهامه وسبابته من جذورهء فشعر ونستون بألم ممض في فكهء ثم رمى أوبراين السنّ فوق أرض الزنزانة . ومضى أوبراين يقول: (إنك 5 تهترئ وتتآكل . إنك لم تعد إلا كيساً من الأقذار. استدر وانظر إلى المرآة مرة ثانية. هل ترى ذلك الشيء الذي يواجهك؟ إنه آخر إنسان. وإن كنت إنساناً فهذه هي الإنسانية. والآن ارتد ثيابك؟ . وبدأ ونستون يرتدي ثيابه بحركات بطيئة متخشبة» ولم يكن حتى 321

هذه اللحظة قد انتبه إلى ما وصل إليه من الضعف والهزال. ولم يكن يدور
بباله غير فكرة واحدة وهى أنه مكث فى هذا المكان أكثر مما كان يكعيون ؤفهاة :وبع
أن ارقي كلل الأنساك هرة كائية تملكة فر بالأسى على جسمه البالي. وقبل أن يعرف ما
الذي كان يفعله وجد نفسه يجلس منهاراً على مقعد بجوار السرير ثم راح يذرف الدمع
على حاله . لقد أدرك أنه أصبح قبيحاً وبشعاً فجلس كومة من العظام الملفوفة في
خرق بالية وراح يبكي حاله تحت الضوء الباهرء ولم يستطع أن يمنع نفسه من البكاء
فوضع أوبراين يده على كتفه بقدر من اللطف وقال له: - لن تظل على هذه الحال إلى
الأبدء يمكنك أن تنجو بنفسك من هذه الحال إذا شئت ذلك. إن كل شيء مرهون
بإرادتك . فقال ونستون بين شهقات بكائه : «أنت فعلت ذلك! إنك أنت الذي أوصلتني
إلى هذه الحال» . فرد أوبراين: «كلا يا ونستون» بل أنت الذي أوصلت نفسك إلى هذه
الحال حينما نصّبت من نفسك عدوا للحرب . لقد كان كل ذلك نتيجة لجرمك الأول.
وما من شيء حدث لك إلا وكنت على بينة من أنه سيحدث!) . وتوقف برهة عن الكلام
ثم استأنف قائلا: - لقد ضربناك يا ونستون وحطمناك. وها أنت قد رأيت ما آل إليه
جسمك» إن عقلك قد أصبح في مثل حال جسمك. ولا أظن أنه قد بقي لديك شيء من
كبريائك» لقد ركلناك بالأقدام وجلدناك بالسياط وعرّضناك لكل الإهانات حتى كنت
تصرخ من شدة الألم وتدحرجت على الأرض مضرجاً بدمائك غارقاً في قيئنك. لقد
ركعت طالباً الرحمة» وخنت كل شخصء أو شيء؛ تعرفه. هل تستطيع أن تجد لوناً من
الإهانة والإذلال لم تذقه على أيدينا؟ وكف ونستون عن النحيب رغم أن الدموع ظلت
تنهمر من عينيه وتطلع إلى أوبراين وهو يقول: 302

فنظر إليه أوبراين بإمعان ثم قال: «هذا صحيح» إنك لم تخن جوليا" . وعاد التبجيل الغريب» الذي كان ونستون يكنه لأوبراين» يغمر قلبه من جديد. وقال محدثاً نفسه: كم هو متوقد الذكاء! إنه لم يخفق مرة واحدة فى استكناه ما يقال له. فأي شخص آخر على وجه الأرض فى مكانه كان تفنتين عن متزالى بأندن: قو كددت رل] . لين اناك ما ادة أوبراين عن انتزاعه مني تحت وطأة التعذيب. ولا بد أنني أنبأتهم بكل شىء عنها وعن عاداتها وشخصيتها وحياتها الماضية. ولا شك أننى قد اعترف فاضي كلما جرى ينا فى لقاائنا وكل سا قالفه لي اوقلقه لياه وبالوجبات المهربة من السوق السوداء وبالفاحشة التي اقترفناها معا وبتامرثا العاتشى .هبد يحوت :ولكيه قال له إئة لم :يمن جتوليا لإدراقه أنه لم يزل مقيما على حبهاء لقد أدرك أوبراين من كلامه ما كان يعنيه دون شرح أو تفسير. وسأل ونستون: «أخبرني» متى سيطلقون علي الرصاص؟" قرذ أويزاين: ارما تميق غليك أن تحط طويلا» قات حالة صعبة. لكن لا تقطع حبل الرجاء؛ فكل شخص لا بد أن نشفيه إن عاجلا أو آجلاً. ولسوف نطلق عليك الرصاص في نهاية المطاف». 323

الفصل الرابع كانت حالة ونستون الصحية تتحسن تحسناً واضحاًء فقد راح جسمه يزداد قوة وامتلاء يوماً بعد يوم. هذا إن صح أن يتحدث المرء عن الأيام . كان الضوء الباهر وصوت الطنين مستمرين تماما كما كانا من قبل» غير أن سبل الراحة بالزنزانة أصبحت متوفرة أكثر بقليل عن ذي قبل» توسيكوا لةخلي البدري قرفا ووسادة » حاورا له كه وسنتكرا لد بالاستحمام بصورة منتظمة في حوض من الصفيح؛ بل وأعطوه ماء دافتاً للاغتسال. كما زودوه بملابس داخلية وبيزة»ء وعالجوا دوالى ساقيه الملتهبة بوقدسوا له.طقم أنكان ضناعية يعند آن"خلعزا ما كان قددبقي له من أسنان. ولا بد أن أسابيع وربما شهوراً قد مرّت وهو على هذه الحال» وقد أصبح بوسعه الآن أن يحصي الأيام والليالي فيما لو شاء ذلك» حيث أصبحت وجبات الطعام تقدم له بصفة منتظمة» وحسب تقديره كان يتناول ثلاث وجبات خلال الأربع والعشرين ساعة؛ كان يقدم له فيها طعام جيد إلى حد بعيد حيث كانت الوجبة الثالثة دائما تحتوي على لحمء بل وذات مرة أعطوه علبة من السجائرء ولأنه لم يكن لديه ثقاب فقد كان الحارس الصامت دائماً يعطيه ثقاباً»ء ولدى أول محاولة من جانبه للتدخين انتابته نوبة سعال حادة» لكنه ثابر على ذلك وراح يدخن نصف سيجارة عقب كل وجبة. 2304

وأعطوه لوحاً للكتابة وقلم رصاص لكنه لم يستعملهما أول الأمرء فحتى في فترات استيقاظه كان يشعر وكأنه مخدرهء وغالبا ما كان يستلقي بين كل وجبة وأخرى دون أن يتحرك» فكان يستغرق في نوم عميق في بعض الأحيان» بينما يروح في أحيان أخرى في حالة من التأمل والتفكير كان يتعذر عليه خلالها أن يفتح عينيه رغم أنه كان قد أُلِفَ منذ وقت طويل أن ينام والضوء القوي مسلط على وجهه. وكان يتخلل هذه الساعات الطوال أحلام كثيرة كانت سارة في معظمهاء فتارة يتراءى له أنه في الريف الذهبي وتارة أخرى يتراءى له أنه جالس وسط أطلال ضخمة تنعكس عليها أشعة الشمس وبصحبته أمه وجوليا وأوبراين ولا يفعلون شيئاً سوى الجلوس تحت أشعة الشمس والحديث عما ترتاح له النفس . ولم تكن أفكاره في معظمها تخرج عن تلك الأحلام التي يراها ويبدو أنه قد فقد كل قدرة على التفكير بعد زوال أسباب الألم عنه. ومع كل ذلك ' لم يكن يشعر بالملل أو بالرغبة في الحديث إلى أحد» أو حتى في التلهي بأي شيء» فكل ما كان يتطلّع إليه هو أن يبقى وحيداً لا يضربه أو جسمهة . وعلى نحو تدريجي صار يمضي ساعات أقل في النوم» إلا أنه لم يكن يشعر بأي دافع لمغادرة فراشه» فقد كان كل همه أن يستلقي في هدوء ويستشعر العافية وهى تدب فى أوصاله من جديد» فكان يتحسس تأسابيه انجاء عبة المعداعة لحيل م أن نمو انهو امدارثها واشتداد جلده ليس خداعاً بصرياً» ولم يعد يساوره شك في أن جسمه آخذ في الامتلاء حتى أن فخذيه أصبحا أغلظ من ركبتيه. وبعد فترة بدأء بشيء من النفور أول الأمرء يمارس بعض التمرينات الرياضية على نحو اعتيادي. ولم يمض وقت طويل حتى أصبح بمقدروه 0 كيلومترات مقدراً إياها بخطواته التي يقطعها داخل الرزانة» كما أن كتفيه المقوستين راحتا تستقيمان. وحاول أن يؤدي بعض التمرينات الأعقد 325

لك عورا الميتعة واقؤدلة "قن تملك حتفي رود تقديه عاسر) لاترى على ذلك» فلم يستطع أن يحمل المقعد بذراعه» كما لم يستطع أن يقف على ساق واحدة دون أن يسقط أرضا. وكان إذا جلس على عقبيه لم يستطع النهوض ثانية إلا بألم شديد في فخذه وربلة ساقه» وإذا انبطح على بطنه وحاول أن يرفع جسمه عن الأرض يعجز عن رفع جسمه ولو سنتمتراً واحدأه لكنه بعد بضعة أيام تمكن من ذلك أيضاً. وراح يتباهى بجسمه ممئياً نفسه بأن وجهه قد أخذ يعود إلى شكله الطبيعي» لكنه عونا يعدت أن ميس راب الأسله كإنه ودع وان الزبعه الموتشيم المملوء بالتجاعيد الذي نظر إليه في المرآة أول مرة. وازداد ذهنه نشاطًء فقد كان يجلس فى السرير متكئاً بظهره إلى الحائط وواضعاً لوح الكتابة على ركبتيه محاولاً الشروع في إعادة تثقيف نفسة . لقد قرر الاستسلام؛ هذه مسألة لا ريب فيها. والواقع أنه كان على استعداد للاستسلام حتى قبل فترة من اتخاذه لهذا القرار. فمنذ اللحظة التي أدخل فيها إلى وزارة الحب» بل منذ أن وقف هو وجوليا متسمرين في مكانهما حيئما راح ذلك الصوت المنبعث من شاشة الرصد يملي عليهما ما يفعلانه» أدرك سخف وحماقة سعيه لأن ينصّب من نفسه عدوا للحزب. لقد أدرك الآن أنه وعلى مدى سبع سنوات كانت شرطة الفكر تراقبه مثل خنفساء تحت عدسة مكبرة» وأنه لم يكن يأتي بحركة أو ينطق بكلمة إلا سجلوها عليه؛ ولم تكن ترد على خاطره فكرة إلا سبروا غورهاء بل حتى ذرات الغبار الأبيض التى كان يضعها على غلاف تذكرائة كانوا يستبدلوتها» كما أنهم أسمعوه أشرظة صوتية مسجلة وأروه صوراً فوتوغرافية بعضها كانت تجمع بينه وبين جوليا. لقد خلص إلى أنه لم يعد يستطيع أن يناصب الحزب العداء فضلاً عن أن الحزب على حق دائماء ولا بد أنه على حق» إذ كيف يعقل أن يكون العقل الجماعي التعالن على خط وباي جاور خار نيه يتنك تقد احكانة؟ إن السلامة

دم م ا لو قيد ل 00 مها الأفكار التي كانت تدور برأسهء فكتب وبأحرف كبيرة غير واضحة: ثم ودونما توقف كتب تحتها: أثنان واثكان يتاونان خمسة تملكت عقله حتى بات عاجزاً عن التركيز لتهيّبه من شيء ما. كان يعلم أنه يعرف ما الذي سيعقب ذلكء لكنه لم يكن يستطيع أن يتذكره الآنء وعندما تذكره لم يكن ذلك إلا بفعل قدرته على تقدير ماهو من المفترض أن يكونء أي أنه لم يأت تلقائيا. فكتب يقول: الله هو السلطة لقد تقبّل كل شيءء وخلص إلى أن الماضي قابل للتغيير رغم أنه لم يتغير أبداً. كما اقتنع بأن أوقيانيا كانت في حرب مع إيستاسيا وأنها كانت في حرب معها بصفة دائمة وبأن كل من جونز وآرنسون وراذرفورد قد اقترفوا الجرائم التي أدينوا بها وبأنه لم ير أبداأ الصورة التي تبرئ ساحتهم» فهذه الصورة لم توجد البتة وإنما هو الذي اخترعها. وتذكر أشياء متناقضة لكنه اعتبرها ذكريات زائفة ناتجة عن خداع الذات. وأدرك مايا ويأتي من تلقاء اله . إذ لامر أ يدن لسع سلا مان يعرف إإى الرزاء مهيا كان ويا ثم فجأة قرر تغيير الانجاه والسباحة مع التيار بدلاً من معاكسته . وما من شيء تغير في ذلك إلا موقفه: كنا كان درا من كان سيحدث على أي حال» ولم يكن يعرف إلا بالكاد لماذا تمرد. . فكل قرح كان سول دشيرا ها عدا ؟ 327

إن أي شيء يمكن أن يكون صحيحاً» وليس في ما يدعى بقوانين الطبيعة إلا هراء» وقانون الجاذبية ما هو إلا عبث . ألم يقل أوبراين «لو شئت لجعلت أرضية هذه الغرفة تطفو كفقاعة الصابون». وأدرك ونستون الموضوع على النحو التالي: إذا كان أوبراين يظن أن بمقدوره أن يجعل أرضية الغرفة تطفوء وإذا ظننت أنا فى الوقت نفسه أننى أراه يفعل ذلك» فإن لأس كرق مجعدية بالنه] تونمماء الصيك: النكرة الثاية فى اعقله البجامن كته مل مكطاء ضفية غارقة تلقن قوق سطع العاذ: إن ذلك لا يحدث في واقع الأمر وإنما نحن نتوهمه» إنه هذيان» لكنه سرعان ما طرد هذه الفكرة من مخيلته رغم أن المغالطة جلية وواضحة؛» إنه يفترض أن ثمة عالما حقيقيا تقع فيه الحوادث الحقيقية موجود في مكان ما خارج النفس» ولكن كيف يمكن أن يوجد عالم مثل هذا العالم؟ وهل من مغرفه لم ردنا عن زوق عفر انا فك شن ويساك في العمل ركل ا يحدث في العقل إنما هو ما يحدث حقا. لم يجد صعوبة في دحض هذه المغالطة» كما أن خطراً لم يكن يتهدده إن هو لم يذعن لها. لكنه خلص رغم ذلك إلى أنه ما كان ينبغي أن تخطر بباله هذه المغالطة» كما أن العقل ينبغى أن يكون بمثابة بقعة عباء سما قط له اورم فلك الأفكار التغطرة وهذه عملية يجب أن تتحدف كلقانا وبوضني هر الفريه ون ار كها اندها نين اللعة الجديدة لإيقاف الجريمة». وشرع يمرن نفسه على إيقاف الجريمة» وأخذ يواجه نفسه بفرضيات مثل : يقول الحزب إن الأرض مستويةء ويقول إن الثلج أثقل من الماء» ثم راح يمرن نفسه على ألا يرى أو يفهم ما يساق من براهين تدحض هذه الفرضيات» ولم يكن ذلك بالأمر اليسير لأنه كان يستلزم قدرات عظيمة على التحكم في العقل والذكاء. ولذلك كانت المسائل الحسابية التي تثيرها مثلاً عبارة مثل «إثنان واثنان يساويان خمسة» أبعد من أن يتفهمها عقله؛ وهي تتطلب أيضاً شكلاً من أشكال رياضة العقل 5328

وقدرة على استخدام المنطق إلى أقصى الحدود ثم» وفي اللحظة ذاتهاء التعامي عن أوضح المغالطات المنطقية» ومن ثم كان الغباء لازماً لزوم الذعاء بل عن أصعب مثالا . وكان يتساءل طوال تلك الأوقات متى سيطلقون عليه النار. لقد قال أوبراين «إن الأمر كله يتوقف عليك»» ولكنه كان يدرك أنه ليس في استطاعته أن يفعل ما يقرّب هذا الأمرء فقد يحدث ذلك خلال عشر دقائق من الآن أو عشر سنوات» فربما يبقونه فى سجن انفرادي لسنوات» وربما يرسلونه إلى معسكر من معسكرات الأشغال الشاقة» أو ربما يطلقون سراحه ردحاً من الزمن كما كان ديدنهم في بعض الأحيان» ومن الجائز تماماً أنهم قبل أن يطلقوا عليه الرصاص يمكن أن يعيدوا تمثيل مسرحية اعتقاله واستجوابه من جديد. أما الشيء الوحيد الذي كان وائقا به هر أن الكوت ال ياتيه إلا بقجة تقد كان عرفا غير سلن 1[يطلقرا النار على المرء من الخلف. ودائماً في مؤخرة رأسه ومن دون إنذار سابق أثناء سيره من زنزانة إلى أخرى عبر أحد الممرات. وذات يوم» وإن كانت عبارة «ذات يوم» ليست بالتعبير الصحيح هناء إذ أغلب الظن أن ذلك حدث في منتصف الليل حينما استغرق فى حلم جميل غريب» تزاى اله آنه ييثها كاة يشير بر الغمن كرفا أن انه الرصاصة في أي لحظة» تناهى إلى علمه أنها ستأتيه في لحظة أخرى وهنا شعر بارتياح وهدأت شكوكه وزالت مخاوفه وآلامه او التكد ل كان يده تنا بالهونة العوة وكان سر بحقة تيت قناء الشمس وقد امتلأت خطواته بهجة وفرحاً بذلك» لم يعد يسير عبر ممرات وزارة الحب الضيقة الكالحة وإلغا كل برج ببع 1ق أئيفة الشمس حتى ظن أنه واقع تحت تأثير جرعة من المخدرات. لقد تراءى له أنه في الريف الذهبي يسير فوق الحشائش الخضراء وأشعة الشمس الرقيقة تداعب وجنتيه» كما كان باستطاعته أن يشعر بالحشائش القصيرة وهو يطأها بقدميه. وعند حافة هذا المرج كانت أغصان أشجار الدردار تتمايل 2309

بينما ينساب من تحتها جدول من الماء يسبح فيه بعض السمك النهري .
وفجأة جفل مفزوعاًء وأخذ العرق يتصبّب من عموده الفقري» ثم سمع نفسه يصرخ بأعلى صوته: جوليا! جوليا! جوليا! حبيبتي جوليا! وانتابته فى ذلك الوقت حالة هذيان جارفة جعلته يعتقد بوجود جوليا أمامهء يدرك أنه لس من حي وإنما تغلغلت فى داخخله ع اضيعة جزةا عن كباله نوي كلك اللحظة بعر توه بحب خامر لم يشعر به حينما كانا طليقين معاً. كما أحس بأنها لا تزال على قيد الحياة وأنها في حاجة إلى أن يمد لها يد العون. اضطجع في فراشه وهو يحاول أن يهدئ من روعهء وتساءل ما الذي دهاه حتى يفعل ما فعل؟ وكم سنة أضاف إلى سئوات عبوديته بسبب لحظة الضعف هذء؟ وتصور أنه سوف يسمع وقع أقدام الحراس بعد لحظات. إذ لا يمكن أن يتركوا مثل هذا العمل يمر دون قصاص. وسوف يدركون الآنء إن لم يكونوا قد أدركوا سلفاًء أنه قد خرق الاتفاق الذي أبرمه معهم. الى لعد الطباعيك إزادتة لجرت لخن كليم لا يرال يصع له الكراهية . لقد كان فيما مضى يخفي عقلاً ضالاً وراء مظهر من مظاهر الامتثال للحزبء أما الآن فقد ارتد على عقبيه: لقد استسلم بعقله. وكان يأمل أن يظل قلبه المكنون لا يمسسه شيء. كان يدرك أنه على خطأء ولكنه فضّل أن يتمسك بخطئه» فلا فائدة ترجى من التراجع. ولا بد أنهم سينتبهون إلى ذلك وسيتتبه إليه أوبراين بلا ريب» فهو قد اعترف بكل شيء في تلك الصرخة الرعناء حينما راح يصرخ مناديا على جوليا. وسيتوجب عليه أن يبدأ الطريق الذي قطعه من جديد»ء وربما استغرق ذلك منه سنوات. وراح ونستون يتحسّس وجهه بيده محاولاً أن يألف الشكل الجديد الذي أخذه»؛ كانت هنالك تجاعيد عميقة فى معفمو "كما بلانت انه اناقة :فيا كان الأنف مفلطيا: 0 الأسنان بعد آخر مرة نظر إلى نفسه في المرآة. وأدرك أنه لم يعد من 330

السهولة بمكان أن يحتفظ المرء بغموض تعبيرات وجهه فيما لا يعرف شكل وجهه. ومع ذلك فإن مجرد السيطرة على تعبيرات الوجه لم تعد تكفي لإخفاء أي سرء فقد استبان له وللمرّة الأولى أنه إذا ما رام المرء أن يخفي سراً فعليه أن يخفيه حتى عن نفسه التي بين جنبيه وألا يدعه يطفو أبداً على سطح الوعي في أي شكل من الأشكال أو تحت أي مسمى من المسميات إلا في اللحظة التي يحتاج إليه فيها. وأدرك ونستون أنه من الآن فصاعداً بات يتوجب عليه ألا يكون تفكيره تفكيراً قويماً فحسبء. وإنما أيضاً مشاعره وأحلامه. كما عليه في جميع الأوقات أن يحتفظ بكراهيته فى حرز حريز في أعماق نفسه مثل جسم مادي هو جزء من كيانه ولكنه مع ذلك لا يتصل ببقية أعضاء جسمه. لا شك أنهم يوماً ما سيطلقون عليه الرصاصء. لكنه لم يكن يستطيع أن يحدد متى سيحدث ذلك. وإن كان من الجائز أن يتمكن من التكهن بذلك قبيل وقوعه بثوان. إن الرصاصة تأتي دائماً من الخلف أثناء اجتياز السجين أحد ممرات وزارة الحب. إن معرفته المسبقة بوقت إطلاق النار عليه بعشر ثوان كافية» فهذه الثواني العشر كفيلة بأن تقلب عالمه الداخلي رأساً على عقب . إذ فجأة. دو سابق إنذار وبدون أن يتوقف عن السير وبدون أن يطرأ تغيير على أي خلجة من خلجات وجههء يسقط القناع الذي كان يلبسه وتمتلئ نفسه بكراهية أشبه بلهيب مستعر. وفى هذه اللحظة نفسها تقريباً تنطلق الرصاصة إما قبل الأوان أو بعد فواته. سيمزقون عقله إرباً إرباً قبل أن يتمكنوا من إصلاحه» وبذلك يكون التفكير الضال قد أفلت من دون عقاب أو توبة وأصبح بعيداً عن متناولهم. وهم بذلك يكونون قد تسببوا في إحداث ثغرة في نموذجهم تنفي عنهم ما يدّعون من كمال. لقد رأى أن الحرية هي أن يموت وهو وأغمظن ونستون عيثيه» فقد كان الآمرافي ميهوبتة يتعدى مندرد قبول نظام فكري»ء إنه مسألة إذلال النفس والحط من شأنها. إن عليه أن

يغمر نفسه في أقذر الأقذار. وتساءل في نفسه: ترى أي شيء أكثر تقزيزاً للنفس على الإطلاق؟ وهنا خطر على باله الأخ الكبير بوجهه الهائل الضخامة (الذي كان يحسبه لرؤيته على اللوحات الإعلانية يبلغ متراً في عرضه) وشاربيه الأسودين الكثين وعينيه اللتين تلاحقان المرء أينما ذهب. ترى ما هو نوع المشاعر التي كان يكنها للأخ الكبير؟ وفي هذه اللحظة سمع وقع أقدام ثقيلة في الممرء ونتح الباب الحديدي محدثاً صوتاً عالياً ليدلف منه أوبراين إلى الزنزانة يتبعه الضابط الشاب ذو الوجه الكالح والحراس ذوو الزي الأسود. وقال أوبراين: «انهض يا ونستون وتعال إلى هنا!» ووقف ونستون قبالته فأمسك أوبراين كتفي ونستون بيديه القويتين ونظر إليه متأملاً. وقال له: «لقد راودتك أفكار تدعوك لخداعى. لقد كان ذلك رعونة منك . قف على قدميك وشدّ قامتك وانظر إلى عين؛ي . وتوقف عن الكلام ثم مضى يقول ولكن بلهجة أرق: - إن حالتك آخذة في التحسنء فمن الناحية الفكرية لم يعد يعلق بك غير أخطاء طفيفة» أما من الناحية العاطفية فقد أخفقت في إحراز تقدم يذكر. أخبرني يا ونستون؛ ولكن دون كذب أو خداع. ولعلك تدرك الآن أن باستطاعتي أن أعرف متى تكذب في حديثك ومتى تصدق» أخبرني ما هي مشاعرك الحقيقية إزاء الأخ الكبير؟ فأجاب ونستون: إنني أكرهه. فقال أوبراين: «تكرهه؟ حسناً. لقد آن الأوان لأن تخطو الخطوة الأخيرة. يجب أن تحب الأخ الكبير فلا يكفي أن تطيعه وأنت لا تحبه». دفع ونستون دفعة خفيفة نحو الحراس وقال: - خذوه إلى الغرفة 101. 332

الفصل الخامس في كل مرحلة من مراحل سجنه كان ونستون يعرف» أو يبدو كأنه يعرف؛ أنه موجود داخل أقبية البناية الخالية من النوافذ» فقد كان يحس بتغييرات طفيفة في الضغط الجوي., فالزنزانة التي يضربه فيها الحراس كانت تحت سطح الأرض والغرفة التي استجوبه فيها أوبراين كانت فوق سطح الأرضء وأما الغرفة التي يقبع فيها حالياً فتقع في أعماق سحيقة تحت الأرض حيث أعمق نقطة يمكن بلوغها. كانت هذه الغرفة أكثر اتساعاً من معظم الزنزانات التي نزل بها. وكل ما لاحظه حوله هو طاولتين صغيرتين موضوعتين أمامه مباشرة وقد وضع على كل منهما غطاء من نسيج أخضرء تبعد إحداهما عنه متراً أو مترين أما الأخرى فأبعد من ذلك وأقرب إلى الباب. وأما هو فكان مشدود الوثاق بإحكام إلى مقعد يجعله عاجزاً عن تحريك أيٍّ من أطرافه فضلاً عن رأسه. كما كان ثمة ما يشبه الكمادة التي تمسك برأسه من الخلف وتحول بينه وبين الالتفات يسرة أو يمنة. مضت لحظة غمره فيها شعور بالوحدة» ثم فتح الباب ليدلف منه أوبراين. قال له: «لقد سألتنى ذات مرة ماذا فى الغرفة 101 وأجبتك بأنك بالق قدرت السو تيدع سولفب كاده جد ذا نرت الى ف الغرفة أسوأ ما في العالم». 333

ثم فُتح الباب ثانية ليدلف منه حارس يحمل شيئاً مصنوعاً من الأسلاك, لعله صندوق أو سلة من نوع ما. وضعه الحارس فوق الطاولة الأبعد عن ونستون. ولأن أوبراين + كان وأقنا أعالئه :فقن جب عله زوية هذا الشيء أو التحقق منه. وقال أوبراين ن: «إن أسوأ شيء في العالم يختلف من * شخص إلى شخص. فقد يكون لدى البعض هو الدفن حياًء أو الموت حرفا خرن أو بواسطة الخازوق أو غير ذلك من ألوان الموت الشنيع» ومع ذلك تظل هنالك حالات يكون فيها أسوأ ما في العالم لدى الشخص هي أشياء تافهة لا تفضي إلى الموت في أغلب الأحوال». وتنحى أوبراين جانباً كي بيتمكن ونستون من رؤية أفضل لذلك الشيء الموجود فوق الطاولة» لقد كان قفصاً من الأسلاك؛. مستطيل الشكل وله مقبض من أعلى يمكن حمله منه» وقد ثبت في مقدمته شيء بدا مثل قناع مبارزة. ومع أنه كان يبعد عنه متراً أو مترين فقد استطاع ونستون أن يتبين أن القفص مقسم طولياً إلى قسمين وفي كل قسم منهما جرد. وقال أوبراين: «أتعلم أن أسوأ شيء في العالم بالنسبة لحالتك هو الجرذان؟» وسرعان ما سرت في جسد ونستون قشعريرة وتملّكه خوف لم يعرف سببه بمجرد أن ألقى النظرة الأولى على القفصء ثم لم يكد يفطن إلى ذلك الشيء الأشبه بقناع المبارزة والمثبت في مقدمة القفص حتى أحس بأن قلبه يغوص بين ضلوعه وبأن أحشاءه تتقطع . فصرخ ونستون بصوت متحشرج : «لا يمكنك أن تفعل ذلك بي! لا يمكنك ذلك! إن هذا لمستحيل». فقال أوبراين: «هل تذكر نوبة الهلع التي كانت تنتابك أثناء أحلامك؟ حينما كان يتراءى لك جدار من السواد وتسمع زئيراً في أذنيك» لقد كان هنالك شيء شنيع على الجانب الآخر من الجدارء لا بد

أنك كنت تعلم ما هو هذا الشيء ولكنك لم تجسر على الكشف عنه. إنها الجرذان» هي التي كانت على الجانب الآخر من الجدار» . قال ونستون وهو يحاول جاهداً السيطرة على صوته: «أوبراين لعلك تعلم أن ما من ضرورة تدعوك لذلك. ماذا تريد مني أن أفعل؟» لكن أوبراين لم يعطه جواباً مباشراً. وعندما تكلم كانت لهجته هي لهجة المعلم التي كان يتحدث بها أحياناً» ثم نظر أمامه متأملاً كما لو أنه يتخاطن جمهوراً تجلس خلف: ونستوق, وقال: «إن الألم وحده لا يكون دائماً علاجاً كافياً» فهنالك حالات يمكن للإنسان أن يحتمل الألم فيها ولو أدّى ذلك إلى الموت. بيد أن هناك شيئاً لا يمكن لأحد كائناً من كان أن يحتمله بل لا يمكنه حتى التفكير فيه. إنه شيء تستوي فيه الشجاعة والجبن» فإذا كنت تسقط من 0 وإذا أخرجت :من أعماق لمياه فليس من الجبن أن تملا رئتيك بالهواء» فهذه الأعمال تتم بالغريزة لف ل لم م ديا ا ا إليك أمرٌ لا يحتمل» إنها نوع من الضغط الذي لا يمكنك احتماله حتى إن أردت ذلك. وحينئذ ستجد نفسك تفعل ما يطلب منك». فقال ونستون: «ولكنك لم تقل لي ماذا تريد مني؟ كيف تريدني أن أفعل شيئاً لست أدري ما هو؟» وحمل أوبراين القتفص ووضعه على الطاولة الأقرب. كان بمقدور ونستون أن يسمع خرير الدم وهو يقرقر في أذنيه» وانتابه شعور بوحدة قاتلة وخيل إليه أنه فى قلب صحراء شاسعة قاحلة يغمرها ضوء الشمس وتتردد في أرجائها أصداء أصوات الجرذان» كل ذلك رغم أن قفص الجرذان لم يكن يبعد عنه أكثر من مترين. لقد كانا جرذين ضخمين وفي عمر تصبح فيه الجرذان شرسة ويغبرٌ لونها. قال أوتزامن وكانة يوان نخاءلف سيور لا تزف إن الجرذان» ورغم أنها من القوارض» هي من آكلات اللحوم أيضاً. عليك 335

أن تضع ذلك نصب عينيك. لا بد أنك سمعت عن الأحداث المؤسفة التي ثم تقع في الأحياء الفقيرة من هذه المدينة» ففي بعض الشوارع تخشى 50 تترك طفلها وحيداً في البيت ولو لخمس دقائق لأن الجرذان حتماً ستنقض عليه وتحيله في غضون دقائق كومة من العظامء بل إنها أيضا تهاجم المرضيق ومن يختضروة على فراش الموت؛ وهي في ذلك تُظهر ذكاء مذهلا في معرفة متى يكون الإنسان عاجزا ولا يستطيع حتى الدفاع عن نفسه). كانت تنبعث من القفص صرخات حادة خيّل لونستون أنها تأتيه من مكان بعيدء لقد كان الجرذان يتقاتلان ويحاولان تقطيع السياج الفاصل بينهماء لقد سمع أيضاً أنات يأس عميق وهي ما بدا له أنها صادرة من خارج نفسه . وحمل أوبراين القفص ثم ضغط على شيء فيهء فسمع ونستون طقطقة حادة فراح يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يحرر نفسه من القيود التى تشده إلى المقعد ولكن دون جدوىء فقد كان كل جزء من جسمه من رأننه نى اخفيض قدميه مقئذاً يشكل الآ يسيس له بالحركة . ووو ت أوبراين القفص إلى ونستون حتى أصبح لا يبعد عنه أكثر من متر واحد. وقال أوبراين: «لقد ضغطت على المزلاج الأول. لعلك تفهم آلية عمل هذا القفصء إن القناع سينطبق انطباقاً تاماً على رأسك ولن يترك لك أي مخرج» وعندما أضغط على المزلاج الثاني سينفتح باب القفنص لينطلق منه هذان الوحشان الضاريان كطلقتين ناريتين. هلبا لا 3 رأيت جرذاً يقفز في الهواء؟ إنه سيقفز في وجهك ويبدأ في نهشهء وهو أحياناً ينقشّ على العينين أولة؛ لكنه في أحيان أخرى ينخر لنفسه أخاديد في الوجتتين ليلتهم اللسان أولا». وأصبح القفص أكثر قرباً من ونستون» وراح يسمع صرخات حادة متتابعة بدا له أن أصداءها تتردد فوق رأسهء ولكنه قاوم مستميتاً نوبة الهلع التي استولت عليهء وخلص إلى أن التفكير والتفكير وحده. حتى 336

لو لم يبق أمامه سوى جزء من الثانية» هو الأمل الوحيد. وفجأة نفذت إلى خياشيمه هذه الرائحة العفنة النتنة التي تنبعث من الجرذين» فشعر باكتمتواز عليه وكاد يقد الرس وجلل الستواد كلش حوله» :رخدي إليه أن مسّاً من الجنون قد أصابه فراح يصرخ كحيوان يئن. ولكنه خرج من هذه الأجواء حالكة السواد وقد خطرت له فكرة مفادها أن السبيل الوحيد لإنقاذ نفسه هي أن يأتي بشخص آخر ويضعه حائلاً بينه وبين الجرذان . 0 واقترب القناع من وجه ونستون حتى بات يحجب عنه رؤية أي شيء آخر. وأصبح باب القفص لا يبعد عنه بأكثر من شبرين وكان الجرذان يعرفان ما هما مقدمان عليه» فبيئما كان أحدهما يقفز في الهواء لأعلى وأسفل كان الآخر يقف ممسكاً بالقضبان وهو يتشمم الهواء بشيء من الشراسة. كان بمقدور ونستون أن يرى الشعر الطويل للجرذين وأسنانهما الصفراء. وهنا عاد الرعب الأسود يهز أوصاله فعمي عليه كل شيء وتملكه شعور باليأس وجمود في التفكير. وقال أوبراين بطريقتة التعليمية التي اعتادها: «لقد كانت هذه العقوبة شائعة في إمبراطورية الصين القديمة». واقترب القناع من وجهه حتى لامست الأسلاك وجتتيه» وهنا تبين له أن هناك أملاً أو حتى بصيصاً من الأمل لكنه ربما جاء بعد فوات الأوان» فقد أدرك فجأة أن العالم كله ليس فيه سوى شخص واحد يمكن أن يحيل عليه هذا العقاب. أو جسم واحد يمكنه أن يضعه كحائل بينه وبين الجرذين؛ وعلى الفور راح يصرخ كالمجنون: - افعلوا ذلك بجوليا! افعلوا ذلك بجوليا! ليس بي وإنما بجوليا! إنني لا أبالي. مزقوا وجههاء انزعوا لحمها حتى تصبح كومة من العظام ثم كسّروا هذه العظام ولكن لا تفعلوا ذلك بي وإنما بجوليا. وشعر وكأنه يهوي إلى هوة سحيقة بعيداً عن الجرذين» كان لا يزال مشدوداً إلى المقعدء لكنه كان يشعر أنه يسقط إلى أسفل» عبر الجدران» 337

عبر المحيطات,. عبر الأجواء العلياء ثم شعر أنه يندفع عبر الفضاء الخارجي
وعبر المسافات الفاصلة بين النجوم ع نعيداً عن الجرذين حتى بات يفصله عنهما بضع سنوات ضوئية» بيد أن أوبراين ن كان لا يزال وأقنا بتجاتي: ونا زال حي ببالأت كلك النازد تلكسن وحهة. ووسط هذه الظلمة الحالكة التي أحاطت به سمع طقة معدنية أخرى لكنها هذه المرة كانت لإغلاق باب القفص لا لفتحه. 338

الفصل السادس كان مقهى شجرة الكستناء خالياً تقريباً من مرتاديه» وكانت أشعة الشمس المائلة : تخترق نوافذه وتسقط على أسطح الطاولات التي يغطيها الغبار» بينما تشير الساعة إلى الثالثة ظهراً وهى ساعة الاستراحة الوحيدة في هذه الفترة أما شاشة الرصد فراحت تبث مقطوعات موسيقية خفيفة. جلس ونستون في زاويته المعتادة وهو يحملق في كأسه الفارغة . وكان من حين لآخر يلقي نظرة خاطفة على الوجه الضخم الذي ينظر إليه نظرة ثاقبة من الجدار المقابل» وكانت العبارة المعهودة التي تحت الصورة تقول: الأخ الكبير يراقبك. وجاء الساقي دون أن يطلبه أحد وأترع كأس ونستون بشراك حجن التصر وأضاف إليها قطرات من قئينة أخرى كانت تحتوي على سكرين منكه برائحة القرنفل وتلك كانت ميزة المقهى . وكان ونستون يصغي إلى شاشة الرصد التي كانت لا تزال تبث مقطوعات موسيقية خفيفة» بيد أنه كان من المحتمل أن ته تتحول في أية لحظة إلى بث النشرة الخاصة التي تمتدرها وزارة السلام» فقد كانت الأنباء الواردة من الجبهة الأفريقية أنباء مقلقة وكانت تشغل بال ونستون ليل نهارء فالجيش الأوراسي (كانت أوقيانيا في حالة حرب مع أوراسيا ل ترك ل وب اسان حي ا ب ل د مذهلة. ولئن كانت نشرة الظهيرة لم تحدد منطقة بعينهاء فإن الأرجح أن 32039

مصب نهر الكونغو كان هو مسرح العمليات» ولذلك كانت برازافيل وليوبولدفيل في خطرء ولم يكن المرء بحاجة إلى مطالعة الخريطة حتى يدرك الخطر الذي ينطوي عليه ذلك التطورء لم يكن الأمر يقتصر على فقدان مستعمرات أفريقيا الرسطى فحسب. بل إن أوقيانيا نفسهاء وللمرّة الأولى منذ أن دارت رحى الحرب» قد أصبحت مهددة. وقد أثارت هذه الأنباء عاطفة متقدة في ونستون» لم تكن بالطبع الخوف وإنما نوعا من الاستثارة اللامبالية التي سرعان ما تبددت. لكن ونستون توقف عن التفكير في الحرب» إذ لم يعد بمقدروه في هذه الأيام أن يركز ذهنه على الموضوع الواحد لأكثر من لحظات معدودة في كل مرة» فرفع الكأس وازدرد كل ما فيها جرعة واحدة وكعادته دائماً بعد الشراب كانت تنتابه رعشة خفيفة ويتقيأ قليلء فقد كان شراب الجن هذا من النوع القوي الذي لم يستطع السكرين والقرنفل أن يلطفا من رائحته القوية الممرضة» بل الأنكى أن هذه الرائحة التى ترافقه ليل نهار كانت ممتزجة في ذهنه برائحة هؤلاء .... ١. لكنه لم يكن يجرؤ على التلفظ باسمهم أو حتى تسميتهم في ذهنه بل لم يحاول أن يتصورهم في مخيلته أبداً. كانوا شيئاً غائماً يحوم حول وجهه وتنفذ رائحته إلى أنفه» ومع تغلغل الشراب في كل أجزاء جسمه راح ونستون يتجشأ من شفتيه الأرجوانيتين. كان جسم ونستون قد ازداد امتلاء منذ أن أطلقوا سراحه كما أنه كان قد استعاد لون بشرته القديم. جاءه الساقي» مرة ثانية ودون أن يطلبه أحدء وهو يحمل رقعة الشطرنج والعدد الأخير من صحيفة التايمز وقد فتحت على صفحة مسائل الشطرنج» وما إن رأى كأس ونستون فارغة حتى ذهب فأحضر القنينة ثم أترع له كأسهء لم يكن الساقي بحاجة إلى انتظار أوامر ونستون لأنه كان قد عرف عاداته» فرقعة الشطرنج في انتظاره دائما والطاولة في زاوية المقهى كانت محجوزة لهء وحتى حينما كان المقهى يمتلئ بالرواد فإنه كان يجلس إليها بمفرده لأنه ما من أحد كان يرغب في مشاطرته طاولته. 340

ولم يكن ونستون يبالي بعدد الكؤوس التي يحتسيهاء وإن كان مسؤولو المقهى يقدمون له بين الحين والحين قصاصة ورق قذرة يقولون إنها فاتورة الحساب» وكان يدفعها وهو يعتقد دائماً أنهم يتساهلون معه في فاتورة حسابه غير أنه لم يكن ليبالى حتى لو غالوا فيهاء إذ كان المال لديه وفيراً في هذه الأيام حيث كان يشغل وظيفة فخرية (شرفية) تدر عليه دخلا أكبر بكثير مما كان يتقاضاه لقاء وظيفته القديمة. توقفت الموسيقى التي كانت تبثها شاشة الرصد وحل محلها صوت اشرأب ونستون ليصغي له لكن لم يكن ثمة أنباء من الجبهة» لقد كان مجرد بيان موجز من وزارة الوفرة جاء فيه أن الخطة الثلاثية العاشرة قد حققت فائضا فى نصيب الفرد من أربطة الأحذية بنسبة 9/098 . وراح ونستون يفكر في حل مسألة الشطرنج ثم صف القطع وبدأ يحركهاء لقد كانت نهاية خادعة فيما يتعلق بالفرسين: «الأبيض يتحرك فيميت الشاه بحركتين». نظر ونستون متأملاً في صورة الأخ الكبير وقال فى نفسه وقد تملكته نزعة تأملية: إن الأبيض دائماً ينتصر» إنه ينتصر ذانها دان استثناء وكأن ذلك مُعَدّ سلفاء بل لم يحدث أبداً في تاريخ اللعبة أن فاز الأسود. ألا يرمز هذا لانتصار قوى الشير دائماً وأبداً على قوى الشر؟ وتوقف الصوت الصادر عن شاشة الرصد لحظة ثم قال بنبرة مختلفة وأكثر جدية: نحيطكم علما أننا سنذيع نبأ هاما في تمام الثالثة والنصف. إنه نبأ في غاية الأهمية» فاحرصوا على ألا يفوتكم سماعه. لا تنسوا الثالثة والنصف. ثم عادت الشاشة لبث الموسيقى مرة ثانية. وخفق قلب ونستون,ء إن ذلك تنويه بالبلاغ القادم من الجبهة؛ واستشعر بغريزته أن الأنباء القادمة لن تكون سارة» ولم يكن هاجس الهزيمة النكراء التي يمنى به جيش أوقيانيا في أفريقيا قد غاب عن ذهنه لحظة واحدة» بل خيل إليه أنه يرى جيش أوراسيا وهو يجتاح حدود أوقيانيا المنيعة بأعداد هائلة متراصّة كالنمل ويزحف متوغلاً داخل أفريقيا 3041

وتساءل: لماذ لم يكن ممكناً تطويق هذا الجيش بطريقة أو بأخرى؟ كان الساحل الغربي لأفريقيا واضحاً فى ذهئه» وأمسك بالفرس الأبيض نعرقة غر ارق تلك هي النقطة المناسبة. وحتى حينما كان يرى الجحافل السوداء تزحف جنوباً كان يرى قوة أخرى تتجمع على نحو غامض وتباغت هذه الجحافل بالانقضاض على مؤخرتها فتقطع خطوط مواصلاتها برا وبحراً. وشعر بأن مجرد رغبته في حدوث ذلك يمكن أن تأتي بهذه القوة إلى عالم الوجودء ولكن يجب على هذه القوة أن تتحرك سريعاً. فلو استطاع جيش أوراسيا أن يستولي على أفريقيا برمّتها وإذا أصبح لديه مطارات وغواصات في رأس الرجاء الصالحء فإن ذلك سيمكنه من تقطيع أوصال أوقيانياء ولربما أدى ذلك إلى اندحار أوقيانيا اندحاراً نهائيا وإعادة ترسيم خريطة العالم والقضاء على الحزب. وأخذ نفساً عميقا وقد انتابه خليط من المشاعر الغريبة أو بالأحرى طبقات من المسياص يبخيها نوق يعض بحيك لا كن للقرء أناتجلد أيها قرت وأيها تحت لكنها كانت تتصارع داخله. وبعد أن زالت عنه هذه النوبة» أعاد الفرس الأبيض إلى مكانه» لكنه لم يعد قادراً على التركيز في الشطرنج» فقد هامت به أفكاره مرة أخرى ووجد نفسه ودون أن يشعر يخط بإصبعه على الطاولة التي يعتليها الغبار : ١ 220-2 لقد قالت له جوليا ذات مرة: «إنهم لا يستطيعون التغلغل إلى كيانك»»: لكن أوبراين قال له: «إن ما يحدث لك هنا سيلازمك إلى الأبد» وهذا هو القول الصحيح» فما يقترفه المرء من أفعال وما يحدث له من خطوب تظل ملازمة له ولا يمكنه التخلص من آثارهاء إن شيئا قد قتل داحلك وأحرق ثم عولج موضعه بالكي». ولقد رأى جولياء بل وتكلم معها بعد أن أطلق سراحهماء فلم يعد ذلك ينطوي على خطورة» فقد أدرك بغريزته أنهم لم يعودوا يعيرون 242

أفعاله اهتماماً ولذلك كان بوسعه أن يرتب للقاء ثان يجمع بينهما فيما لو شاء أحدهما أو كلاهما ذلك. فلقاؤهما الأول جاء بمحض الصدفة والذي تم في الحديقة في يوم من أيام شهر آذار شديدة البرودة حيث كانت الأرض صلبة كالحديد» وأما الحشائش فكانت شبه ميتة ولم يكن هنالك سوى القليل من براعم الزعفران التي تنتصب في العراء فتفتتها الريح . وكان ونستون يسرع الخطا وقد تجمدت يداه ودمعت عيناه من شدة الريح عندما رآها على مسافة عشرة أمتار» هاله أنها تغيرت على نحو غير محدد» ومر كل منهما بالآخر دونما حتى إشارة» لكنه استدار وتبعها لأنه كان يعرف أن لا خطر في ذلك» وما من أحد عاد يهتم بهما. لكنها ظلت صامتة وتابعت سيرها عبر الحشائش من دون أن تعيره اهتماماً» ثم بدت بعدئذ وكأنها تبطئ من خطوها حتى تتيح له اللحاق بها وكانا قد بلغا آنذاك مجموعة من الأشجار العارية التي لم تكن تصلح للاختفاء أو الاحتماء بها من الريح. وأخيراً توقفاء وكان الجو قارس البرودة والريح تُحدث حفيفاً بين الأغصان وتمزق البراعم الصغيرة» فاقترب منها ونستون وأحاط خصرها بذراعه. لم يكن ثمة شاشات رصدء بيد أنه كان من المؤكد وجود مكبرات صوت مخفاة كما كان من السهولة أن يراهما أحد المارة ولكنه لم يكن يعير أيا من ذلك أدنى اعتبار» فقد كان في استطاعتهما أن يتخذا من الأرض فراشا إذا رغبا أن يعاودا اتصالهما الجنسى» واقشعر جسده عندما خطر بباله ذلك الشيء. لكن جوليا لم تتجاوب معه حين أحاط خصرها بذراعه كما أنها لم تحاول تخليص نفسها منه وحينئذ أدرك كنه التغير الذي طرأ عليهاء كان وجهها قد أصبح أكثر شحوباً وظهرت به ندبة طولية أسدلت شعرها على جزء منهاء بيد أن ذلك لم يكن هو كل ما تغير فيهاء فقد أصبح خصرها أكثر امتلاء وتينّسأء وعلى الفور تذكر كيف أنه وعقب إحدى غارات القصف الصاروخي كان قد ساعد في انتشال إحدى الجثث من تحت الأنقاض وهاله ثقلها وتيبسها غير الطبيعيين وهو

الأمر الذي جعلها تبدو أقرب للحجر منها للّحم. وأحس ونستون بأن جسم جوليا الذي يطوقه بذراعه قد أصبح أشبه بتلك الجثة» كما شعر بأن نسيج جلدها قد بات مختلفاً كلية عما كان عليه من قبل . لم يحاول ونستون تقبيلهاء كما لم ينبس أحدهما بكلمة. وعندما عاودا السير فوق العشب الأخضر نظرت إليه مباشرة لأول مرة» وكانت نظرة ملؤها الازدراء والكراهية. لكن ونستون لم يكن يدر هل كانت هذه الكراهية نابعة مما تنوء به من ذكريات ماضية أو كان مبعثها هو وجهه و ا ص عو وجلسا على مقعدين يديين » جنباً إلى جنب لكن دون أن يقترب أحدهما من الآخر وكانت م ل دلا من اذلاك» بقدمها غصناً يابساً . وقالت غير مكترثة: «لقد خنتك». فقال لها: «وأنا أيضا خنتك» . ورمقته بنظرة أخرى مفعمة بالكراهية» ثم قالت: - إنهم يهددونك أحياناً بشيء لا يمكن احتماله ولا يمكن حتى تخيّله . وحينئذ تقول: لا تفعلوا ذلك بي بل افعلوه بأي شخص آخر. وقد تدّعي فيما بعد بأن ذلك كان مجرد حيلة لجعلهم يكفّون عن تعذيبك وأنك لم تكن تعني ما تقول في واقع الأمر. لكن ذلك لم يكن صحيحاًء ففى ذلك الوقت كنت تعنى ما تقول. وكنت تظن أن لا منجى لك إلا بهذا السبيل» وكدث غلن استعداد لتتلركة ما داقت تتحاتك قيه :ولا تأنها يننا سيترتب على ذلك من معاناة لغيرك. فكل ما يهمك هو نفسك وحسب. فقال مردداً وراءها كرجع الصدى: «كل مايهمك هو نفسك وحسب)». ومضت جوليا تقول: «وبعد ذلك فإنك لا تعود تشعر المشاعر نفسها التي كنت تكنها من قبل لهذا الشخص الآخر؟. 344

فقال مردداً كرجع الصدى: «لاء إنك لا تعود تشعر المشاعر نفسها». وبدا لهما أنه لم يعد لديهما ما يمكن الكلام عنه. وعادت الريح تعصف بهماء وشعرا بالضيق من جلوسهما صامتين» فضلاً عن أن جلوسهما دون حراك كاد يجمد أطرافهما من فرط البرد» ولذلك نهضت جوليا لتنصرف متعللة بأنها تريد اللحاق بالقطار. فقال ونستون: ! يجب أن نلتقي ثانية» . فقالت: «أجل» يجب أن نلتقى ثانية» . وتبعها متردداً وهو يقدم رجلا ويؤخر أخرى» وسار في أثرها مسافة قليلة» لكنهما لم يتبادلا الحديث مرة أخرى». ومع أنها لم تحاول التخلص منه فإنها أسرعت الخطى حتى لا تمكنه من السير إلى جانبها بدا له أن هذا التعقب وسط هذا البرد القارس أمرٌ فيه رعونة وغير محتمل . وعندئذ تملكته رغبة عارمة فى الكف عن متابعة جوليا والعودة إلى مقهى شجرة الكستناء الذي لم يسبق أن شعر نحوه بمثل الانجذاب الذي شعره في تلك اللحظة؛ لقد أحس بالحنين إلى طاولته التي في الزاوية وفوقها الصحيفة ورقعة الشطرنج وكأس الجن المترعة دائماً. وسرعان ما تلكأ في سيره حتى حال بينه وبينها مجموعة من المارة» غير أنه عاد وبذل محاولة مترددة للحاق بها مرة أخرى» لكنه عدل عن ذلك وارتدّ منطلقاً فى الاتجاه المعاكس . وبعد أن صار يفصله عنها خمسون متراً تطلّع خلفه فوجد أنه لم يعد يميزها من المارة رغم أن الشارع لم يكن مزدحماً وأصبح من المحتمل أن تكون هي أي واحدة من عشرات السائرين في الشارع» حيث بات يتعذر عليه تمييزها من الخلف بعد أن هذا جننعها أككرا امتلاة وتيسا: وتذكر قولها: حينما كانوا يعذبونك كنت تعني ما تقول. ورأى أنها 345

أصابت القول» فهو لم يكت بقول ذلك وحسبء, وإنما تمنى حدوثه أيضاًء
فقد تمنى لو أنها هي لا هو التي عُرَضت للجرذان. وكان قد دلف إلى المقهى في تلك اللحظة وأخذ مقعده المعهود وراح يصغي إلى شاشة الرصد حيث كان ثمة تغيير قد طرأ على الموسيقى التي تبثها تمثّل في نغمة تهكمية هازئة بدأت تتخللهاء ثم سمع صوتاً لم يدرِ إن كان من وحي ذاكرته أم من شاشة الرصدء فقد سمع صوتا يشدو: ش تحت شجرة الكستناء ذات الأغصان الوارفة بعتك وبعتني !! واغرورقت عيناه بالدموع ولاحظ الساقي أن كأسه فارغه فرجع له رفع وعترت كأسه وراح يفرغها في جوفه» وكانت رائحتها الكريهة تزداد سوءا مع كل جرعة ولكنها مع ذلك كانت سلواه الوحيدة» فقد باتت هي حياته ومماته وسلواه» فعليها ينام كل ليلة نومة المخدور وعليها يستيقظ كل صباح. وحينما يستيقظ كل صباح» وقلما يكون ذلك قبل الساعة الحادية عشرة ويجد جفونه ملتصقة ببعضها ويحس بالتهاب في حلقه وألم حاد في ظهره؛ كان من المستحيل أن يرفع ظهره لولا قنينة الجن والكأس الموضوعتين بجانب سريره. وخلال ساعات النهار كان يجلس وعلى وجهه علامات الوجوم» والقنينة في متناول يده مصغياً لما تقوله شاشة الرصد. وبدءا من الساعة الثالثة عصراً حتى ساعة إغلاق المقهى كان ونستون بمثابة قطعة أثاث في مقهى شجرة الكستناء» لم يعد أحد يأبه بوجوده أو يكترث لما يفعل» كما لم يعد دويّ الصافرات يوقظه من سباته» وما عاد يزعجه ما يصدر عن شاشة الرصد من صوت. لكنه كان أحياناً؛ ربما مرتين في الأسبوع» يتوجه إلى مكتب مغطى بالغبار يكاد يكون منسياً في وزارة الحقيقة حيث يؤدي عملاً قليلاً أو ما كان 346

يسمى عمل» إذ كان قد عُيّن في عضوية لجنة فرعية منبثقة عن لجنة فرعية كانت بدورها قد انبثقت تعن عدة لااحفض لمن عاق شكلت لمعالجة الصعوبات الطفيفة التي تعترض عملية تصنيف الطبعة الحادية عشرة و تامرعى !الله السيل: . .ركان اعفياه هذه اللحاة يمكقو عن إعداد ما سمي ب «التقرير المؤقت»؛ أما حول أي موضوع كانوا يعدون هذا التقرير» فذلك أمر لم يدركه أحد على وجه التحقيق أبداً. فقد كان شيئاً يتعلق بما إذا كان يجب وضع الفاصلة بداخل الأقواس أو خارجها. وكان يشاركه بهذه اللجنة أربعة أعضاء آخرون حالهم مثل حاله. وكانت تمر أيام يجتمعون فيها ثم ينفضّون ثانية كما اجتمعوا ويفضي بعضهم إلى بعض بكل صراحة بأن ليس هناك ما يمكن عمله؛ إلا أنهم في أيام أخر كانوا ينكبّون على عملهم؛ وقد اعتراهم حماس وتوقّد» ويتظاهرون بأنهم يُدخلون التعديلات التي تمخضت عنها اجتماعاتهم السابقة ويعدون مسودات لمذكرات مطوّلة لا تنتهي أبداً» ثم يحتدم النقاش فيما بينهم حول ما يفترض أنهم يتناقشون حوله حتى يصبح مبهماً 00 مماحكات وخلافات غير واضحة حول التعريفات ويخرجون كثيرا عن الموضوع ثم يتشاجرون ويهدد بعضهم بعضاً برفع الأمر برمته إلى السلطات العليا. ثم فجأة يدخلون في حالة من الصمت بعدما تكون طاقاتهم قد استنفدت» فيتحلقون حول الطاولة وكأنهم أشباح وهم ينظرون إلى بعضهم نظرات شاخصة تتلاشى مع صياح الديكة . ظلت شاشة الرصد صامتة للحظة» فأرهف ونستون السمع لعله يكون في ذلك إشارة إلى قرب موعد نشرة الأنباء؛ ولكن خاب رجازه. تكد أكان ذلك مكرة بعبير [المرشيقيالتزاءكا إمام ناظرية ريس أفريقياء وكانت تحركات الجيوش عليها تأخذ أشكالاً هندسية» فهناك سهم أسود ينطلق رأسياً إلى الجنوب» وآخر أبيض ينطلق أفقياً إلى الشرق ويقطع مؤخرة السهم الأول. وكأنما أراد ونستون أن يبث في نفسه شيئاً من الطمأنينة» فرفع رأسه وتطلّع إلى الوجه رابط الجأش الذي 317

بالصورة ومضى يتساءل: هل من المعقول ألا يكون للسهم الثاني وجود على الإطلاق؟ لكن اهتمامه بذلك فتر مرة أخرىء» فازدرد جرعة أخرى من الجن» والتقط قطعة شطرنج هي الفرس الأبيض وقام بتحريكها حركة ارتجالية ثم أدرك أنها لم تكن حركة صحيحة. وفجأة ومن دون مبرر جاشت الذكرى في ذهنه مرة أخرى» فرأى غرفة مضاءة بالشموع وفيها سرير ضخمء بينما كان هو في سن التاسعة أو العاشرة يجلس على الأرض ويلعب بحجر النرد ويضحك ضحكاً هستيرياً فيما أمه تجلس قبالته وتضحك هي الأخرى. لا بد أن ذلك كان قد وقع قبل أن تختفي أمه بشهر واحدء لقد كانت لحظة من لحظات الوئام التي ينسى فيها ألم الجوع الذي ينهش أحشاءه ويعاوده فيها حبه لأمه. إنه يذكر ذلك اليوم جيداًء لقد كان بويا عاصفا ماطرا حيث كان الماء يجري فوق زجاج النافذة من الخارج بينما كان الضوء داخل الغرفة خافتاً بحيث تتعذر القراءة » وكانت حالة الضجر التي تملكت الطفلين وهما وسط هذه العتمة قد بانت لا تطاق» فراح ونستون يتأوه وينتحب وهو يطالب بالطعام دون جدوى؛ ثم أخذ يحور ويدور في الغرفة وهو يركل أسفل الحائط بقدميه حتى ضج الجيران واحتجوا على ذلك الصخبء» بينما انخرطت الطفلة الصغيرة فى البكاء على نحو متقطع . وأخيراً نطقت أمه قائلة: اكن لطيفاً وسأشتري لك لعبة» لعبة جميلة ستحبها». وعندئذ خرجت من المنزل تحت زخات المطر ومضت إلى حانوت صغير كان لا يزال مفتوحاً بالقرب منهم ثم عادت إليه بعلبة من الكرتون تحتوي على أدوات لعبة السلم والشعبان. وهو لا يزال يذكر رائحة الكرتون الرطب الذي صنعت منه اللعبة» لقد كانت أدوات اللعبة في حالة مزرية» فاللوح مشقق وحَجَرا النرد المصنوعان من الخشب كانا غير منتظمين فى تقطيعهما. نظر ونستون إلى اللعبة نظرة عابسة وبلا أدنى اهتمام؛ وعندئذ أضاءت أمه

كبجعة وجليا على الأرقن هنا :وراضا ولميان سيان م انشرط ونستون في ضحك صاخب حينما رأى الثعبان يتسلق السلم حتى يسقط ثم يعيد الكرة ثانية وهكذا دواليك. وقد لعبا ثمانية أشواط فاز كل منهما بأربعة. وأما أخته الصغيرة فقد جلست تحدق فى الوسادة وراحت تضحكء ليس لأنها تفهم ما يجري أمامها نما لآن أمهنا:واغاها يضحكان. وهكذا أمضى أمسية هانئة مثل تلك التي كان يمضيها في طفولته الأولى. ولكن ونستون أقصى هذه الذكرى عن ذهنه لأنها كانت ذكرى زائفة من تلك الذكريات التي تقض مضجعه بين الحين والآخرء فبعضها يتعلق بأشياء وقعت والبعض الآخر يتعلق بأشياء لم تقع على الإطلاق. ثم التفت إلى رقعة الشطرنج والتقط الفرس الأبيض مرة أخرىء ولكنه لم بكها قعل عض سقظ الفرس' فين وده مضلا عيرتا غالبا أباته و كقد انتفض كما لو أن دبوساً قد عرز في لحمه. وشق نفيرُ بوق عنان السماء»ء لقد جاءت النشرة أخيراً. إنه النصرء فقد كان نفير البوق يعني حينما يسبق الأنباء أن نصراً تحقق» وسرى ما يشبه الصدمة الكهربية في جميع رواد المقهى» حتى السقاة تسمروا في أماكنهم وأصاخوا السمع . كان نفير البوق قد أعقبته جلبة وضجيج من الحضورء كما كان ثمة صوت يدوي من شاشة الرصدء لكن الأصوات الهادرة التي انبعثت من الحناجر طغت عليه. وسرت الأنباء بين الناس من شارع إلى شارع سريان النار في الهشيمء ومع ذلك تناهت إلى سمع ونستون بعض العبارات التي تحقق من خلالها أن الأمور قد سارت تماماً على النحو الذي تصورهء فقد عرف أن أسطولاً ضخماً تم حشده في سرية تامة قد أصاب مؤخرة العدو إصابة قاتلة» لقد قطع السهم الأبيض مؤخرة السهم الأسود. واستطاع ونستون أن يلتقط بعض العبارات من هذا الضجيج: «كانت مناورة استراتيجية بارعة - تم تحقيق الانسجام التام بين 319

القنوات- اندحار تام للعدو - نصف مليون أسير - بسط السيطرة على كامل أفريقيا - الحرب قاب قوسين أو أدنى من نهايتها - إنه أعظم نصر عرفه تاريخ البشرية ... النصرء النصرء النصر!» وبدأت قدما ونستون تقومان بحركات لاإرادية. ومع أنه لم يقم من مقعده إلا أن عقله كان يركض ويركض بسرعة» لقد تخيل نفسه يركض في الخارج مع الجماهير التي كان هتافها يصمّ الآذان» وتطلّع ونستون مرة أخرى إلى صورة الأخ الكبير الذي كان يقف كالطود الشامخ والعالم تحت قدميه! إنه الصخرة التى ارتطمت بها الجحافل الزاحفة من آسيا فخارت قواها! وراح ونستون يفكر كيف أنه منذ عشر دقائق فقطء كان قلبه لا يزال حائراً حول ما إذا كانت أنباء الجبهة ستأتي بالنصر أم بالهزيمة. لقد تغير كثيراً منذ اليوم الأول الذي وطأت فيه قدماه وزارة الحب» ومع ذلك فإن التغير النهائي الذي لا مناص منه لم يتحقق حتى هذه اللحظة . كان الصوت الصادر عن شاشة الرصد لا يزال يروي قصة الأسرى والغنائم والمذابح» ولكن كان الهتاف الذي في الخارج قد هدأت حدته. وبدأ السقاة يعودون إلى أعمالهم» واتجه أحدهم صوب ونستون وملا له كأسه. لكن ونستون لم ينتبه لذلك فقد كان يحلّق في سماء حلم بهيج» لم يكن فيه يركض مع الراكضين أو يهتف مع الهاتفين» وإنما عاد فيه إلى وزارة الحب وقد غفروا له ما تقدم من ذنب وصفت روحه حتى أصبحت كالثلج الأبيض. ثم تصور نفسه ماثلاً في قفص الاتهام أمام الجماهير وهو يعترف بكل صغيرة وكبيرة ويشي بكل شخص يعرفه. وسرعان ما رأى نفسه يجتاز الممر المكسو بالقرميد الأبيض؛ ويتملكه شعور بأنه يسير في ضوء الشمس فيما كان يسير حارس مسلح خلفه» وحيتئذ جاءته تلك الرصاصة. الأمل الذي طال انتظاره» لتمزق دماغه. حدق ونستون في الوجه الضخمء لقد استغرق الأمر منه أربعين سنة حتى فهم معنى الابتسامة التي كان يخفيها الأخ الكبير تحت شاربيه 330

الأسودين وقال في نفسه: أي غشاوة قاسية لم يكن لها داع تلك التي رانت على فهمي. وعلام كان العناد والنأي من جانبي عن هذا الصدر الحنون. وانسالت دمعتان سخيّتان على جانبي أنفه. وكان لسان حاله يقول: لكن لا بأس. لا بأس فقد انتهى النضال» وها قد انتصرتْ على نفسي وصرتْ أحب الأخ الكبير. 3051

جورج أورويل 1] 4 على مدى سنوات طويلة, كلت رراية ومووور» لجووج افَرَويل سوفاد يعود إليها الكتّاب الذين تخدترن عن الديكتاتورية والأنظمة الشمولية. وعلى مدى سئوات طويلة: ظلت هذه الرواية حبة وتقرا سبي« جماليتها الأدبية وبسبب الصورة السياسية التي قدّمتها. البريادة وفى ترجمة جديدة؛ نقدم ر هذه الرواية التي ورت بطربقةاتفبوية يجسيها شسموليا يخضع لديكتاتورية فئة تحكم باسم «الأخ الكبير» الذي يعثل الحرب الشاكك :ويس سلطنه على القمع والتعذيت وتزوير الوقائع والتاريخ, باسم الدفاع عن الوطن والبروليتاريا. ممتردا على الناس أنفاسهم تتحول العلاقاتث الانسانية والحب والزواج والعمل والأسيرة إلى غلاقات مراقية تجرد التاش من أي تفرد وتخضعهم لنظام واحد, لا ينطبق على مسؤولي الحزب. إنها رواية تقرأء ثم تقرأ من جديد. 9953-68-144-9 ارك |! © المكزالثتان الع ص ب 1/0 ببروت- لمنان ص .ب 06 - الدار البيضاء - المغرب 1 99956